

أسلوب العَدُول في القرآن الكريم

دراسة تحليلية

عبد الجواد السيوطي





www.lotusfreepub.com

أسلوب العدول في القرآن الكريم

دراسة تحليلية

عبد الجواد السيوطي



أسلوب العدول في القرآن الكريم

دراسة تحليلية

عبد الجواد السيوطي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

منتورات دار لوتس للنشر الحر

القاهرة الكبرى:

- ١٦ شارع محمد موسى متفرع من أول
- شارع فيصل - قرب محطة مترو فيصل
- ١٨ ميدان المساحة - الدقي
- هاتف: 01211313730 - 01091985809

المغرب: الدار البيضاء

- ٢٧ زقة ١٦ - حي البركة - مولاي رشيد
- هاتف: 0664391261

مشروع النشر الحر

أول مشروع من نوعه يمنح الكاتب كافة الحقوق،
والحرية الكاملة لنشر كتابه بدون احتكار لمجهوده
في عملية تجارية.

لتواصل مع الدار والمشروع:

هاتف / واتس أب:

+2 01211313730 | +2 01091985809

الموقع الإلكتروني

www.lotusfreepub.com

البريد الإلكتروني

Lotusfreepub@gmail.com

صفحة فيسبوك

[FB/lotusfreepub](https://www.facebook.com/lotusfreepub)



مشروع
النشر الحر

الإصدار

119



إصدار: نوفمبر ٢٠١٨

رقم الإيداع

2018MO5491

الترقيم الدولي ISBN

978-9920-790-63-5

الترخيص

مرخص بموجب رخصة المشاع
الإبداعي - نسب المصنّف
٠ - ٤ - دولي



الغلاف والإخراج الفني:

دار لوتس للنشر الحر

كل ما ورد بهذا الكتاب
مسؤولية مؤلفه من حيث
الآراء والأفكار والمعتقدات،
وكونه أصيل له غير منقول،
وأية خلاصات قانونية بهذا
الشان لا تتحملها دار النشر

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز
طريقة دون موافقته أو موافقة دار النشر



هَدَاءٌ

أهدي هذا البحث إلى خير الأنام سيدي وقرّة عيني محمد صلى الله عليه وسلم.
 وإلى والدي رحمه الله - ووالدي أطال الله عمرها في طاعته، فلولاها لما وُجِدْتُ في
 هذه الحياة، ومنهما تعلّمت الصمود، مهما كانت الصعوبات.
 إلى أخي الشقيق محمود، وزوجتي وأولادي الذين ضحّوا براحتهم من أجلي..
 إلى أساتذتي وإخواني جميعا وهم كثر، منهم استقيتُ الحروف، وتعلّمت كيف أنطق
 الكلمات، وأصوغ العبارات، وهم - بعد الله - من وضعوا قدمي على طريق
 الهداية، طريق الدعوة إلى الله.
 إلى كل الإخوة والأخوات، الذين لم يدّخروا جهدًا في إمدادي بالمعلومات والبيانات.
 إلى الشعوب الإسلامية جميعا، وخاصة المرابطين في الأقصى وبلاد الشام..
 داعيًا المولى سبحانه وتعالى أن يُكَلِّلَ هذا العمل بالنجاح والتوفيق والقبول.



شكر وعرfan

أتقدم بالشكر لله سبحانه أولاً على أن يسر لي إتمام هذا البحث على الوجه الذي أرجو أن يرضى به عني، فاللهم لك الحمد، أشكرك ربي على نعمك التي لا تُعد، وآلائك التي لا تُحُد.

ثم أتوجه بالشكر إلى جمهورية السودان حكومة وشعباً على ما قدموه لي ولكل طلاب العلم من تسهيلات حتى نكمل مسيرتنا العلمية، فجزاهم الله خير الجزاء.

والشكر كل الشكر لمن رعاني طالبا في برنامج الماجستير، ومُشرفاً لهذا البحث أستاذي الأستاذ الدكتور: فضل المولى عبد الوهاب حماد إبراهيم، الذي له الفضل - بعد الله تعالى - عليّ فله مني الشكر والتقدير والعرfan.

وأقدم بشكري الجزيل في هذا اليوم إلى أساتذتي الموقرين في لجنة المناقشة رئاسة وأعضاء لتفضلهم عليّ بقبول مناقشة هذه الرسالة، فهم أهل لسد خللها وتقويم معوجّها وتهذيب نتوءاتها، والإبانة عن مواطن القصور فيها، سائلاً الله الكريم أن يثيبهم عني خيراً. كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذتي الفضلاء بجامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم، وأرى أن أقف شاكراً لأستاذي الفذ الدكتور محمد فضل المولى عبد الوهاب الذي أعتبط بالأخذ عنه وصحبته منذ عرفته، فكان نعم المعين والموجه والصاحب حضراً وسفراً، فجزاه الله عني خيراً. كما أشكر جميع الإخوة الذين ساعدوني ولو بكلمة نصح وتوجيه وكل من أعانني على إنجاز هذا البحث، فلهم في القلب منزلة وإن لم يتسع المقام لذكرهم، فجزى الجميع خيراً.



مستخلص البحث

يهدف البحث إلي بيان التعرف على الأهداف التي عدل الله تعالى فيها من أسلوب إلى أسلوب آخر، والسر البلاغي والإعجازي في هذا العدول، وذلك ابتداءً من سورة الفاتحة إلى سورة مريم. كما يحاول البحث التعرف على أسلوب العدول في الضمائر، فعندما تطالع كتاب الله تعالى تجد السياق يتحول من طريقة إلى أخرى ومن وجهة إلى وجهة تغيورها، حتى تبدو تلك المخالفة في ظاهرها كأنها من المعضل والمشكل وهي في غاية البيان، وكأنها ملتبسة وهي في غاية الوضوح، ولا يوجد في القرآن موطن ظاهره يُرى مشكلاً إلا وراءه سرٌ بيانيٌّ عظيم وإن عجز عن فهمه العلماء وقصُر دونه نظر البلغاء.

وتظهر أهمية هذا البحث في العناية بدراسة كلام الله وبيان إعجازه وأسراره، وكذلك الحاجة إلى فهم كلام الله ومعرفة معناه.

كما توصلت الدراسة إلى بعض النتائج والتي منها: كثرة المصطلحات الدالة على مفهوم العدول، كالاتفات، والرجوع، والانحراف، والصرف، والنقل، والتحول، إلا أنه يبقى العدول هو المصطلح الجامع لمعاني هذه الألفاظ كلها، فضلاً عن كونه الأنسب في الاستعمال في مستويات اللغة.

وتوصلت كذلك إلي أن للعدول غرضاً رئيساً عاماً، وهو رفع السامة من الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب، فينتقلون عن الخطاب إلى الغيبة، وعن المتكلم إلى الخطاب أو الغيبة وهكذا، فيحسن الانتقال من بعضها إلى بعض؛ لأن الكلام المتوالي على ضمير واحد لا يستطاب في لغة العرب.

جاء العدول لأغراض بلاغية أخرى فرعية في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وقد تنوعت أغراضه تنوعاً واسعاً، ومن هذه الأغراض التهديد والتخويف.

كذلك من الاغراض الفرعية للعدول التشريف والرفع من شأن المخاطب أو التنشيط للسامع وقصد المبالغة في الحث.



مقدمة الكاتب

الحمد لله الذي أودع في كتابه أسرار البيان، وجعله علماً على الهدى ورسالة خالدة على مرّ الزمان، وتحدّى به الناس على اختلاف ملكاتهم وتعدد قدراتهم، ليظل آيته الخالدة وهداه المحكم ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(١) ثم وفق أهل العلم إلى تفسيره وبيان أحكامه والكشف عن دلالاته وإظهار إعجازه للعالمين.

وبعد:

فإن اللغة التي اختارها الله لتكون وعاءً لكتابه لا شك أنها لغة عالية بليغة، لأن هذه اللغة تحمل مراد الله إلى خلقه فلقد رأينا أحد الأعراب خرّ ساجداً حينما وقع على سمعه قوله ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) فقد سجد للغة والبيان قبل أن يسجد لمن خلق الإنسان وعلمه البيان، وإن العرب وهم أصحاب النخوة والكبرياء، وأساطين البلاغة الفصحاء فضّلوا أن يوصفوا بالعجز وأثروا أن يوصموا بالعار عن أن يأتوا بشيء مثله فوقفوا مذهولين مشدوهين أمام كلمات القرآن.

فجوانب الإعجاز فيه لن تخضع للإحصاء أو يحيط بها استقصاء ولغته خرقت العادة وخرجت عن الإلف وفاقته حد العرف. فالفصح من العرب كان يصنع خطبته أو قصيدته يستفرغ فيها جهده ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً ثم تعطى لنظيره فيأخذها بقريحة خاصة فيبدل فيها وينقح، ثم لا تزال فيها مواضع للنظر والبدل، أما كتاب الله تعالى فمنذ أكثر من أربعة عشر قرناً وهو على ما هو بين أيدينا الآن، لم يتغير

(١) - فصلت، الآية (٤٢)

(٢) - الحجر، الآية (٩٤)



منه حرف بل ولا حركة ولا احد يستطيع ذلك، كيف لا وهو كما قال الله عنه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْدٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ (١)

فلو نزعنا منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم ولن تجد، بل لو أخرت أو وضعت كلمة مكان كلمة ما استقام المعنى. (٢)

ولقد كان القرآن الكريم دقيقاً في اختيار ألفاظه وانتقاء كلماته، فإذا اختار اللفظ معرفة كان ذلك لسبب، وإذا جاء اللفظ نكرة كان ذلك لغرض، أرأيت قول الله جل وعلا ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِئْتًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ (٣) كيف نكّر الإناث وعرف الذكور، كذلك إذا كان اللفظ مفرداً كان ذلك المقضى يطلبه، وإذا كان مجموعاً كان الحال يناسبه، وقد يختار الكلمة ويهمل مرادفها الذي يشترك معها في بعض الدلالة، وقد يفضل كلمة على أخرى والكلمتان ظاهراً بمعنى واحد، بل قد يردف لفظة على أخرى وهما في الظاهر بمعنى واحد، وفي مواطن جمع القرآن بين لفظين وهما بمعنى واحد أو على الأقل بينهما تشابه كبير في الاستعمال والدلالة، خذ مثلاً قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ (٤) كيف جمع بين السنة والعام في آية واحدة و خذ قوله تعالى ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا

(١) - فصلت، الآية (٤١ - ٤٢)

(٢) تعظيم القرآن والتذكير ببعض خصائصه وفضائله وذكر وظائفه من أصول تفسيره وتدبره، محمد خلف سلامة، الشبكة العنكبوتية ملتقى أهل الحديث، بتصرف.

(٣) الشورى، الآية (٤٩)

(٤) العنكبوت، الآية (١٤)



عَلَى قَلْبِهَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ (١) كيف جمع بين القلب والفؤاد في آية واحدة؟

وإنك لتجد القرآن ينتقل بك مسرعاً بين الماضي والحاضر، ويحلّق إلى آفاق المستقبل فيقدّم ويؤخّر، ويعدل بالقارئ والسامع عن المتكلم إلى الغيبة ويخاطبه وهو يحدث عن غيره، وهو كذلك يتحدث عن الواحد بصيغة الجمع، فيكثر قليله ويعظم حقيقه، ويخرج الجمع في صورة الواحد ليجعل كثرته قلةً، وتكبره ذلةً، وهذا فن من فنون المجاز، وهذا لون من ألوان الإيجاز والإعجاز.

ولا شك أن القرآن الكريم أعلى لفظاً في العربية وأقواها من حيث صحة سنده، وينفرد عن غيره من نصوص العربية، بأنه روي سماعاً شياً عن شيخ يبلغون به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن رب العالمين، وليس نص تحققت فيه هذه الميزة إلا القرآن الكريم.

لذا أحببت أن أكتب عن أسلوب العدول في القرآن الكريم (الضمائر نموذجاً) دراسة من سورة الفاتحة وحتى سورة مريم رغبة في خدمة كتاب الله.

(١) القصص، الآية (١٠)



تقديم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١)

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ النَّافِعَ، فَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ فَقَدْ أَخَذَ بِالْحَبْلِ الْوَافِرِ، وَإِنَّ مِنْ أَشْرَفِ الْعُلُومِ وَأَعْلَاهَا، وَأَحْسَنِ الْفُهُومِ وَأَسْنَاهَا، مَا تَعَلَّقَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَلَاوَتِهِ عَلَى أَهْلِ الذِّرَابَةِ وَالرِّوَابَةِ بِالْإِسْنَادِ الْمُتَّصِلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجْرَةً لِنِ بُيُوتِ﴾^(٢)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
(إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ قَالَ: أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ) رواه ابن ماجه.

(١) آل عمران (١٠٢ - ١٠٣)

(٢) فاطر (٢٩)

والإنسان لا يَشْرُفُ إلا بما يَعْرِفُ، ولا يُفْضَلُ إلا بما يَعْقِلُ، ولا يُنْجَبُ إلا بما يَصْحَبُ، وخير صاحب في هذا الزمان مقرئ القرآن الذي تتلقى عنه كلام الله تعالى مشافهة، فإذا تعلمت منه آية من كتاب الله كانت لك خيراً من ناقة زهراء كوماء، وآيتين خيراً لك من ناقتين، ومن أعدادهن من الإبل.

فَتَنَّهُلُ من ينبوع علمه وتروي ظمأكَ، فينجلي ظلامَ جهلك، وتأخذ من دَرَرِهِ وحكمه ما تُشْكِلُ به عُقوداً تَزِينُ جِدِكَ، وهذه الفوائد جعلت طلاب العلم يزدحمون بالركب عند العلماء، ويقيدون الفوائد، فالعلم صيدٌ والكتابة قيّدٌ، وما لم يفهموه سألوا عنه، وإنما شفاء العيِّ السؤال. قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ: بِمِ أَصَبْتَ هَذَا الْعِلْمَ قَالَ: بِلِسَانِ سَأُولٍ، وَقَلْبِ عَقُولٍ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ شَهَابٍ الرَّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعِلْمُ حَزَائِنٌ وَتَفْتَحُهَا الْمَسَائِلُ. وَقَالَ: كَانَ يُصْطَادُ الْعِلْمَ بِالْمَسَاءِلَةِ كَمَا يُصْطَادُ الْوَحْشُ.

ولله دَرُّ الشافعي حيث قال رحمه الله:

أخي لن تنال العلم إلا بسة سأنبيك عن تفصيلها ببيان
نكاءً وحرصاً واجتهاداً وبلغاً وصحبةً أستاذٍ وطولُ زمانٍ

وكان السلف الصالح من الصحابة ي والتابعين ومن بعدهم، لا يُقِيمُونَ على القرآن شيئاً ولا يرضون لطالب العلم أن يبدأ في طلب الحديث والعلوم إلا بعد أن يحفظ القرآن.

قال الشافعي رحمه الله: من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم.

وقد أطلعني الشيخ الدكتور/ عبد الجواد السيوطي المصري على كتابه (العدول في القرآن الكريم إلى سورة الكهف دراسة تحليلية)



وقد رأيتَه مفيد في بابه فَمَا أَجْمَلَ الْعَيْشَ بَيْنَ صَفَحَاتِهِ؛ ومن يقرأه يعيش معه حلاوة التدبر، ويطلع على بعض أسرار القرآن البلاغية، ويحسن الفهم لكتاب الله تعالى. فجزاه الله خير الجزاء، وأخيرا أسأل الله تعالى له التوفيق والسداد...

وَلِلَّهِ دَرُّ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ حَيْثُ قَالَ:

أعزُّ مكانٍ في الدنى سرجُ سابحٍ وخير جليس في الزمان كتابُ

كَتَبَهُ توفيق إبراهيم صَمْرَةَ الأردني
مُدَرِّسُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْمَسْجِدِ الْحُسَيْنِيِّ الْكَبِيرِ
وَالْمُجَازُ بِإِقْرَاءِ الْعَشْرِ الصَّغْرَى وَالْكَبْرَى
وَدَوَاوِينِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ



أسباب اختيار الموضوع

ولأهمية الموضوع جمعت ما يتعلق به ليكون دراسة مستقلة وكان لهذا الاختيار أسبابه ومن أهمها:

١/ كون هذا الموضوع متعلقاً بأعظم كتاب وهو القرآن الكريم الذي هو كلام الله تبارك وتعالى.

٢/ كونه متعلقاً بأعظم لغة وهي اللغة العربية التي وسعت كلام الله.

٣/ كونه يجيب عن أسئلة واستفسارات يحتاجها القارئ والدارس لكتاب الله تكشف عن مدى بلاغة القرآن الكريم وإعجازه.

٤/ كون هذا الموضوع يحتاج إلى جمع وعناية به فهو من الموضوعات المهمة التي يحتاجها الدارسون لاسيما المشتغلون بالتفسير وعلومه.

مشكلة البحث:

يحاول البحث أن يجيب عن لماذا عدل الله تعالى من أسلوب الى أسلوب آخر، وما السر البلاغي والإعجازي في هذا العدول؟

وما هو أسلوب التحول والعدول في الضمائر؟

وما هي الآيات التي تناولت العدول في القرآن الكريم؟ والاستنباطات التي فهمت من مراد الله تعالى من هذا العدول؟



أهمية الموضوع

ولأهمية اللغة في فهم القرآن شدد العلماء على وجوب من يتصدى للنظر في القرآن، واشتروا شروطاً لا يجوز أن يتكلم فاقدوها في القرآن الكريم، كأن يكون عالماً باللغة العربية ماهراً بفنونها، قال مجاهد لا يحل لأحد أن يتكلم في كتاب الله ما لم يكن عالماً بلغات العرب، وقال مالك لا أوتى برجلٍ يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً^(١)، وقد دعا الله إلى تدبره فقال ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢) وقال ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٣)

وأشير هنا إلى أن العدول في القرآن، يُعدّ من الظواهر الأسلوبية التي تتسع فيها الاحتمالات وتتنوع فيها الأسرار، وليس بوسع أحد أن يقف على كل أسرار النصّ القرآني إلا بقدر ما أعطاه الله من الفهم، قال عبد الله التستري^(٤) رحمه الله - « لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودع الله في كتابه؛ لأنه كلام الله،

١) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة أولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ج ١، ص ٣٨٨.

٢) سورة النساء، الآية (٨٢)

٣) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، ولد بمدينة تستر في سنة ٢٠٠هـ، وقيل: ٢٠١هـ وصفه أبو عبد الرحمن السلمي بأنه «أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات»، أصله من «تستر» إحدى مدن محافظة خوزستان الموجودة حالياً في إيران، توفي بالبصرة سنة ٢٨٣هـ، وقيل سنة ٢٧٣هـ، وقيل ٢٩٣هـ، بعد حياة مباركة. طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، دار الكتب العلمية، ط ٢٠٠٣

٤) سورة محمد، الآية (٢٤)

وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية، فكذاك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كلُّ بمقدار ما يفتح الله على قلبه، وكلام الله غير مخلوق، ولا يبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة»^(١)

أهداف البحث

يهدف إلى التعرف على:

الأسباب التي عدل الله تعالى عنها من أسلوب إلى أسلوب آخر، وما السر البلاغي والإعجازي في هذا العدول.

مصادر جمع المعلومات:

تتمثل في الكتب والدوريات والمراجع البحثية المتوفرة والرسائل الجامعية والمجلات والإنترنت.

منهج البحث

اتبعت المنهج الوصفي الاستقرائي في بيان «أسلوب العدول في القرآن الكريم» والتزمت بالآتي:

عزوت كتابة الآية محل الشاهد بنصها مشيراً إلى رقمها واسم السورة من المصحف العثماني.

عند توثيق الكتاب أكتب اسم الكتاب واسم الكاتب ومحققه ودار النشر

(١) تفسير البسيط، أبو الحسن الواحدي، تحقيق، مجموعة من الباحثين، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، طبعة أولى، عام ١٤٣٠هـ، ١/ ٣٤.



ومكان النشر وعام النشر والجزء والصفحة، وعندما يرد الكتاب مرة أخرى اكتب اسم الكتاب ومؤلفه والجزء والصفحة فقط

كتبت الآية محل الشاهد بنصها أذكر وأشير إلى موطن العدول.

ذكرت ما أورده العلماء من الأقوال عن علة العدول على سبيل الإيجاز، عازياً كل قول منها إلى قائله من العلماء تحت عنوان الدراسة.

ذكرت ما أورده العلماء من الأقوال وخلصتها في أسرار العدول وعمله ما أمكن..

قمت بمناقشة الآراء والأقوال والتوفيق والجمع بينها إن أمكن، وذكرت القول الراجح منها بالمناقشة والترجيح مستعيناً في هذا الترجيح - بالله تبارك وتعالى أولاً - ثم بأقوال أئمة التفسير واللغة و أصحاب كتب معاني القرآن والبلاغة، مع الإشارة إلى أنني أعقب على جل الأقوال ولا أتركها بلا تعقيب أو ترجيح إلا في مواضع قليلة.

قمت بتخريج الأحاديث الوارد ذكرها في هذا البحث من كتب الأحاديث فما كان منها في الصحيحين أو في أحدهما اكتفي به مشيراً إلى الكتاب والباب والجزء والصفحة، وما كان من هذه الأحاديث في غير الصحيحين من بقية الكتب الستة أو غيرها، من كتب الصحاح والمصنفات والمعاجم والزوائد و المسانيد، أعزو ذلك إلى موضعه منها مع الحكم على الحديث ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

قمت بالترجمة لبعض الأعلام على حسب ما يحتاج إليه المقام مستمداً ذلك من كتب التاريخ والتراجم.



الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات السابقة لهذا الموضوع - فحسب علمي - لم يحظ بدراسةٍ مستقلةٍ تجمع متفرّقه، وتقفُ على أسرارهِ، وتتناول صورهِ وأشكالهِ، وقد وقعتُ على دراساتٍ تناولتُ الأسلوبَ القرآني من زوايا مختلفة، كالعدول في صيغ الإفراد والتنثنية والجمع أو الحذف والإثبات، وغير ذلك من الأساليب البلاغية في القرآن لكن من زوايا مختلفة، ويأتي من أهمها:

١. العدول في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف^(١)

وقد أشارت الباحثة إلى العدول وأسلوبه في القرآن من الناحية البلاغية، وكان البحث في تمهيد وبيان وخاتمة يتخللهما عدة مباحث وفصول.

٢. أسلوب العدول في البلاغة القرآنية للدكتور حسن طبل^(٢)، وقد أشار الباحث إلى العدول بين صيغ العدد، وتناولها تناولاً سريعاً وخاطفاً، ووقف مع بعض أمثلتها.

يضاف إلى ذلك أننا نجد إشارات متعددة عند البلاغيين والمفسرين ماثرة هنا وهناك، للعدول بين صيغ ألفاظ «الإفراد والتنثنية والجمع» في القرآن الكريم، غير أن إيرادهم لتلك الأمثلة لم يكن في الغالب من أجل تحليلها، والوقوف على أسرارها.

ولا شك أن هذه الدراسات كانت بمثابة إضاءات استرشدت بها في دراستي وكان لها فضل السبق في إثارة الموضوع كما كانت حافزاً

(١) العدول في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف رسالة ماجستير للطالبة، خديجة محمد أحمد البناني، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤١٤هـ.
(٢) أسلوب العدول في البلاغة القرآنية: للدكتور حسن طبل، دار الفكر العربي، بتاريخ ١٩٩٨م.



لاستثمار الجهد في معرفة أبعاد النص القرآني و سبر أغواره.
هيكل البحث:

أما عن هيكل البحث: فيحتوى هذا البحث على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس وبيانها كالاتي:

فأما المقدمة ففيها بيان منهجي في البحث وأسباب اختياري لهذا الموضوع.

الفصل الأول: وفيه مبحثان

الأول: نبذة مختصرة عن القرآن الكريم ومدى أهميته وفضله على الفرد والمجتمع.

الثاني: المفهوم العام من حيث تعريف العدول في اللغة، ومفهوم العدول في الاصطلاح.

الفصل الثاني: أسلوب العدول في الضمائر من سورة الفاتحة وحتى سورة التوبة، وفيه تسعة مباحث.

الفصل الثالث: أسلوب العدول في الضمائر من سورة يونس وحتى سورة مريم، وتحتة عشرة مباحث.

والخاتمة وقد تضمنت أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.
ثم الفهارس.

الفصل الأول

القرآن الكريم ومفهوم العدول



المبحث الأول القرآن الكريم أهميته وفضله

القرآن كلام الله تعالى، وسبيل هدايته الخلق، وهو عماد لغة العرب الأسمى، تدين له العربيّة في بقائها وسلامتها، وتستمدُّ منه علومها ومعانيها

وقد وردت في فضل القرآن الكريم أحاديث كثيرة تجعل المسلم يتمسك به قراءة وعملاً نأخذ طرفاً منها بإيجاز قبل الدخول لموضوع البحث.

ومن هذه الأحاديث الواردة في فضائله وفضائل حامله وقارئه:

روى الإمام البخاري (1) في صحيحه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (2).

وروى أبو داود (3) في سننه عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارتنق، ورتل

(١) البخاري، هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الإمام الحافظ صاحب الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلموسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري. ولد سنة ١٩٤ هـ في بخارى ونشأ يتيمًا، قام برحلة طويلة في طلب العلم. وكان آية في الحفظ وسعة العلم والذكاء، سمع نحو ألف شيخ، توفي رحمه الله سنة ٢٥٦ هـ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط، أولى، ١٤٢٢ هـ. حديث رقم، (٥٠٢٧) /٦ /١٩٢.

(٣) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، الإمام، العلم، إمام الأئمة في الحديث، ولد سنة ٢٠٢ هـ، جمع وصنّف ودافع عن السنن. له مصنغات عديدة منها السنن وهو أحد الكتب الستة، وله: المراسيل؛ الزهد؛ البعث وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٢٧٥ هـ.



كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرأها» (١).

وروى الإمام أحمد^(٢) عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن لله أهلين من الناس، حملة القرآن هم أهل الله وخاصته» (٣).

وروى الترمذي^(٤) عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ حرفاً من كتاب الله عز وجل فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» (٥).

١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب: استحباب الترتيل في القرآن، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، حديث رقم (١٤٦٤) ج، ٢، ص ٧٣

٢) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ولد سنة ١٦٤هـ، الفقيه والمحدث، صاحب المذهب، ولد ببغداد ونشأ بها، مات والده وهو صغير فتعهدته أمه ووجهته إلى دراسة العلوم الدينية، فحفظ القرآن وتعلم اللغة، رحل في طلب العلم كثيرا، كان من أكبر تلاميذ الشافعي ببغداد، أمتحن في مسألة خلق القرآن ولكنه كان صامدا ولم يجيبهم إلى ما يقولون، توفي رحمه الله، سنة ٢٤١هـ.

٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، كتاب فضائل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث، القاهرة، طبعة، أولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، حديث رقم (١٢٢٧٩)، ج ١٩، ص ٢٩٦.

٤) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، مصنف كتاب الجامع. حافظ، علم، إمام، بارع طاف البلاد وسمع خلقاً كثيراً، كان يضرب به المثل في الحفظ. هذا مع ورعه وزهده. صنف الكثير، تصنيف رجل عالم متقن. ومن تصانيفه، كتابه الشهير الجامع؛ العلل؛ الشمائل النبوية وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٢٧٩هـ.

٥) أخرجه الترمذي، في سننه، باب، ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، الناشر، مكتبة، مصطفى البابي الحلبي، مصر. ج ٥، ص ١٧٥

وروى مسلم^(١) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»^(٢).

روى البخاري عن سالم عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» البخاري^(٣)

وروى أبو داود عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال: النبي صلى الله عليه وسلم «إن من إجلال الله: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»^(٤).

١) هو مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الإمام الحافظ الحجة، المصنف الشهير في الحديث وعلومه، صاحب الجامع الصحيح. ولد بنيسابور، سنة ٢٠٤هـ، وكان من أشهر الحفاظ، حتى قيل حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة البصري، ومسلم بنيسابور، وعبد الله الدارمي بسمرقند، والبخاري ببخارى. له مصنفات كثيرة أشهرها الجامع الصحيح، كتبه في ١٥ سنة. قال مسلم: ما وضعت شيئاً في كتابي هذا المسند إلا بحجة وما أسقطت منه شيئاً إلا بحجة. توفي رحمه الله بنيسابور، سنة ٢٦١هـ.

٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، حديث رقم (٨٠٤)، ج ١، ص ٥٥٣

٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل يقول لو أوتيت مثل ما أوتي هذا فعلت كما يفعل. تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط، أولى، ١٤٢٢هـ. حديث رقم (٧٥٢٩)، ج ٩، ص ١٥٤.

٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب باب في تنزيل الناس منازلهم، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، رقم الحديث



وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران» (1)

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب» (2).

وروى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأثرجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيب، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر» (3).

وروى البخاري أيضاً عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصيلاً من الإبل في عقلها» (4)

(٤٨٤٣)، ج ٤، ص ٢٦١.

(١) أخرجه أبو داود، كتاب تفرع أبواب الوتر، باب في ثواب قراءة القرآن، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، رقم الحديث (١٤٥٤)، ج ٢، ص ٧٠.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، الناشر، مكتبة، مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م - رقم الحديث (٢٩١٣)، ج ٥، ص ١٧٧، وقال حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط، أولى، ١٤٢٢ هـ. رقم الحديث (٥٤٢٧)، ج ٧، ص ٧٧.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط، أولى، ١٤٢٢ هـ، رقم الحديث (٥٠٣٣)،



وروى أيضا عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» البخاري⁽¹⁾.

وروى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين»⁽²⁾

وروى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان يفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة»⁽³⁾.

وروى مسلم عن النواس بن سميان أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: «وإنهما غامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرٌّ أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما»⁽⁴⁾.

ج ٦، ص ١٩٣.

(١) أخرجه: البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط، أولى، ١٤٢٢هـ، رقم الحديث (٥٠٠٩)، ج ٦، ص ١٨٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، رقم الحديث (٨١٧)، ج ١، ص ٥٥٩.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة. تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبدالله عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، رقم الحديث (٧٨٢١) ج ١٣، ص ٢٢٤.

(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت. حديث رقم (٨٠٥)، ج ١، ص ٥٥٤.



وروى مسلم عن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة» (1).

وروى الدارمي (2) عن عبد الله بن مسعود قال: «إن هذا القرآن مأدبة الله، فخذوا منه ما استطعتم، فإني لا أعلم شيئاً أصفر من خير، من بيت ليس فيه من كتاب الله شيء. وإن القلب الذي ليس فيه من كتاب الله شيء، خرب كخراب البيت الذي لا ساكن له» (3).

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «جمعت المحكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم»، فقلت له: وما المحكم؟ قال: «المفصل» (4).

وروى مسلم عن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن، يجهر به» (5).

١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت. رقم (٨٠٤)، ج ١، ص ٥٥٣.

٢) الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي التميمي السمرقندي، ولد سنة ١٨١هـ كان أحد الرخالين في طلب الحديث، وأحد الموصوفين بالحفظ والإتقان، من أهل الورع في الدين ممن حفظ وجمع، استقضى على سمرقند فأبى، فألح السلطان عليه حتى يقّله، وقضى قضية واحدة، ثم استغفى فأعفى، وكان فاضلاً فقيهاً. من تصانيفه: المسند؛ التفسير؛ الجامع. توفي رحمه: ٢٥٥هـ.

٣) أخرجه الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل من قرأ القرآن، تحقيق، حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المعنى للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط، أولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م رقم الحديث (٣٣٥٠)، ج ٤، ص ٢٠٨٣.

٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط، أولى، ١٤٢٢هـ، رقم الحديث (٥٠٣٦)، ج ٦، ص ١٩٣.

٥) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت



المبحث الثاني المفهوم العام للعدول لغة واصطلاحاً

العدول في السياق القرآني ظاهرة بارزة تشمل كل مظاهر التحولات في الضمائر والأفعال والحروف والتراكيب والعدد وغير ذلك.

والعدول لغة: من العَدَل والعَدْل ضد الجور، وعدل عن الحق إذا جار، وعدل عن الشيء حاد، وعن الطريق جار.

ويعرفه العكبري بقوله: والعدل هو أن يقام بناء مقام بناء آخر من لفظه، فالمعدول عنه أصل للمعدول.

وقال القزويني: هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنهم بأخر منها. ويتفق هذا التعريف مع المفهوم العام للعدول وهو ترك الشيء والتحول عنه إلى غيره^(١).

أما العدول فهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية للسامع وتجديداً لنشاطه وصيانة لخاطره عن الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سماعه^(٢). ويفهم من هذا التعريف أن العدول باعتباره عدولاً يكون لأسباب منها تنوع الأساليب توخياً للبلاغة وجلباً للسامع واختياراً للأسلوب الأوقع في الفؤاد وأقرب للعقول.

إذا فالعدول هو إخراج للأصل عن بابيه إلى الفرع ومن كانت هذه حاله أفتق منه البعض ولم يجب أن يشبع في الكل^(٣).

بالقرآن، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، رقم الحديث (٧٩٢)، ج ١، ص ٥٤٥.

(١) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع ص ٤٣

(٢) البرهان، للإمام الزركشي، ٣/٣٦٢، ٣٦١

(٣) الخصائص، للإمام الفتح بن جني تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م، ١٠٣/١



الأسلوب العدولي: هو بناء لغوي متميز يستمد مقومات تميزه من داخله أي من طبيعة سماته اللغوية وخواصه النوعية التي يتميز بها من نمط الخطاب العادي، ذلك أنه لا يساير الشائع المؤلف من قواعد اللغة وأعرافها، بل هو بالأحرى كسر لتلك القواعد وخروج متعمد عن تلك الأعراف، تتفجر به طاقات التعبير والإيحاء ما تعجز عنه اللغة في مستواها النمطي السائد عن تحقيقه.^(١)

إن العدول لا يعني أن يكون النص المعدول به مفارقاً للسياق العام الذي جاء به، وإنما هو مُنبه بلاغي يستدعي التأني والتأمل وإعمال الفكر لمعرفة الهدف منه.

وما يعنينا في هذا البحث هو «أسلوب عُدُول الضمائر في القرآن» وهو موضوع حريٌّ بأن يُدرس ويُبحث بحثاً جاداً، وتصنّف صورته وتحلل وتستنبط أسراره البلاغية من ذلك التحول، ولذلك سوف نتناول بعض المفاهيم في هذا البحث ومن أهمها:

أولاً: مفهوم العدول في اللغة:

ورد في الموروث البلاغي والنقدي عددٌ من المصطلحات التي تدلُّ على ظاهرة «التحول الأسلوبي» الذي نوّد في هذا البحث رصد أحد معالمه واستجلاءً دقائقه البيانية، وجمالياته الفنية.

ولقد آثرَ مصطلحُ «العُدُول» عنواناً لظاهرة التحول الأسلوبي للضمائر في القرآن الكريم؛ لشيوعه، وكثرة تردده في الموروث البلاغي القديم، ومن يتأمل في المادة اللغوية لكلمة «العُدُول» يجد ما يدعّم الإيثار له في هذا البحث.

ثانياً: تعريف علماء اللغة للعدول:

(١) أسلوب العدول في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٤٠



ففي كتاب العين قال الخليل ((^١)): «العَدْلُ: أن تعدلَ الشيء عن وجهته فتميله... وَعَدَلْتُ الشَّيْءَ: أقمته حتى اعتدلَ» ((^٢))

وقال ابن فارس ((^٣)): العين والادل واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين: أحدهما يدلُّ على استواء، والآخر يدلُّ على اعوجاج فمن الأصل الأول: العَدْلُ من النَّاسِ: المرضيُّ المستويُّ الطريقة، يقال: هذا عَدْلٌ، وهما عَدْلٌ وتقول: هما عَدْلَانِ أيضاً، وهم عُدُولٌ، وإن فلاناً لَعَدْلٌ بَيْنَ العَدْلِ والعُدُولَةِ.

والعدل: الحكم بالاستواء ويقال للشيء يساوي الشيء: هو عَدْلُهُ، والمشرك يَعْدِلُ بربه، كأنه يسوي به تعالى غيره، وعَدْلُ الموازين والمكاييل: سواها، وَعَدَلْتُ فلاناً بفلان إذا سوَّيتَ بينهما، والعدل قيمة الشيء وفدائه، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ((^٤))، أي: فدية، وكل ذلك من المعادلة، وهي المساواة، والعدل: ما قام

١) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، ويقال: الفرهودي نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن مضر الأزدي البصري، العروضي النحوي اللغوي: سيد الأدباء في علمه وزهده. قيل: أول من سمي في الإسلام أحمد أبو الخليل. ويكنى أبا عبد الرحمن وهو من أعمال عمان من قرية من قراها، وانتقل إلى البصرة. مات سنة خمس وسبعين ومائة عن أربع وسبعين سنة معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي تحقيق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ٣/١٢٦٠.

٢) كتاب العين، الخليل الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، ٣٩/٢، مادة: (ع د ل).

٣) أحمد بن فارس بن زكريا بن مُحَمَّد بن حبيب، أَبُو الْحَسَنِ الرَّازِي، وقيل الْقُرُونِي، المعروف بالرازي المالكي اللغوي، نزيل هَمْدَانَ وصاحب الْمُجْمَل فِي اللُّغَةِ. وُلِدَ بِقُرُون، ونشأ بهَمْدَانَ، وكان أكثر مقامه بالرِّيِّ رَوَى عَنْ: أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقَطَّانِ، وسليمان بن يزيد القامي، تُوفِّي فِي صَفَر، سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي، الناشر: المكتبة التوفيقية ٢٧/٢٢٩.

٤) سورة البقرة من الآية ١٢٣.



في النفوس أنه مستقيم، وهو نقيض الجور، تقول: عدَل في رعيته، ويوم معتدل، إذا تساوى حالاً حرّه وبزده، وكذلك في الشيء المأكول، ويقال: عدَلته حتى اعتدل، أي أقمته حتى استقام واستوى، والعدل: التزكية، يقال: عدَل الرَّجُل: أي زكاه، وأما الأصل الآخر: فيقال في الاعوجاج: عدَل، وانعدل، أي: انعرج قال ذو الرمة⁽¹⁾:

واني لأنحي الطرف عن نحو غيرها حياء ولو طاوعته لم يُعادل⁽²⁾

وعَدَل عن الشيء يعدل عدلاً وُعْدولاً حاداً، وعن الطريق: جار وعَدَل إليه عُدولاً: رجع وما له مَعْدِلٌ ولا مَعْدولٌ، أي: مصرف وعدل الطريق: مال ويقال: أخذ الرجل في معدل، الحق ومعدل الباطل، أي: في طريقه ومذهبه ويقال: انظروا إلى سوء معادله، ومذموم مدخله، ومسالكه⁽³⁾

وفي المحكم لابن سيده⁽⁴⁾:

«عَدَل عن الشيء يعدل عدلاً وُعْدولاً: حاد...، وعدل إليه عدولاً: رجع»⁽⁵⁾.

(١) غَيْلَانُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ بُهَيْشِ بْنِ مَسْعُودِ الْعَدَوِيِّ، مَضْرِي، مِنْ فُحُولِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ فِي عَصْرِهِ، ت ١١٧هـ. يَنْظُرُ، الشَّعْرَ وَالشَّعْرَاءَ لِابْنِ قَتَيْبَةَ تَحْقِيقَ، أَحْمَدُ مُحَمَّدُ شَاكِرُ النَّاشِرِ، دَارُ الْحَدِيثِ، الْقَاهِرَةَ، طَبْعَةٌ ١٤٢٣هـ، ١/٥١٥.

(٢) الْبَيْتُ مِنَ الطَّوِيلِ يَنْظُرُ: دِيْوَانَهُ اعْتَنَى بِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمِصْطَاوِيُّ طَبْعَةٌ دَارُ الْمَعْرِفَةِ بِيْرُوتِ طَبْعَةٌ أُولَى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ص ٢٢٠.

(٣) مَقَائِيسُ اللُّغَةِ لِابْنِ فَارِسٍ تَحْقِيقَ وَضَبْطَ، عَبْدُ السَّلَامِ هَارُونَ، دَارُ الْفِكْرِ بَدُونِ تَارِيخَ، ٤/٢٤٧، ٢٤٦٠ وَالْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ لِابْنِ سَيِّدِهِ، تَحْقِيقَ، د/عَبْدُ الْحَمِيدِ هِنْدَاوِيُّ النَّاشِرِ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ طَبْعَةٌ ٢٠٠٠م، ٢/١٥، ١٢، وَتَاجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ لِلزَّبِيدِيِّ تَحْقِيقَ، مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ نَشْرَ، دَارُ الْهَدَايَةِ (ع د ل)، ٢٩/٤٤٩، ٤٥٠.

(٤) عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَيِّدِهِ اللَّغَوِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ أَبُو الْحَسَنِ الضَّرِيرُ وَكَانَ أَبُوهُ أَيْضًا ضَرِيرًا، مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، مِنْ مَوْفَلَاتِهِ الْمَخْصُصِ، وَكُتَابُ شَرْحِ إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ، مَاتَ ابْنُ سَيِّدِهِ بِالْأَنْدَلُسِ ٤٥٨هـ، يَنْظُرُ: مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ لِيَاقُوتِ الْحَمَوِيِّ ٤/١٦٤٨

(٥) الْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ، ابْنُ سَيِّدِهِ، تَحْقِيقَ عَبْدُ الْحَمِيدِ هِنْدَاوِيُّ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بِيْرُوتِ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى ١٤٢٠هـ، ٢/١٤ مادة: (ع د ل).



مفهوم العدول في الاصطلاح

في ضوء المعنى اللغوي لكلمة «العدول» يظهر في المفهوم الاصطلاحي الذي استقرَّ عليه الدرسُ البلاغي، أن العدول وهو: «مجاورةُ السُنَنِ المألوفةِ بينَ الناسِ في محاوراتهم، وضروبِ مُعاملاتهم؛ لتحقيقِ سِمَةِ جمالية في القولِ، تُمنَعُ القارئُ، وتُطربُ السامعُ، وبها يصيرُ نصاً أدبياً. (1)

ذلك أن هناك شبه اتفاق على أن في «العدول» معنى الخروج، أو التحول عن المألوف، ونقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر مطلقاً، هذا الانتقال له أثره الفني، والجمالي في النص الأدبي، فالصياغة المعدول عنها تمثلُ اللغة في مستواها الأصلي، بينما تمثلُ الصياغة المعدولُ إليها اللغةَ في مستواها الفني، ولعلَّ هذا ما جعل الدكتور تمام حسان يؤكد أن الالتزام بـ «أصل اللغة» يعد أصولياً، يعتمد على القرائن، وربما لدواعٍ أدبية وذوقية ونفسية، وإلحاحاتٍ تأثير معين يعدل عن الأصل فيصير (أسلوباً أدبياً) ذا تأثير، وهو عدول مقبول مستحب.

وضَّح ذلك بقوله: قد يجعل واحدة من القرائن زائدة على مطالب وضوح لمعنى؛ لأن غيرها يُغني عنها فيكون الترخُّص بتجاهل التمسك بهذه القرينة كالترخُّص في رفع الثوب ونصب المسمار في قول العرب: (خرق الثوب المسمار) أغنت قرينة التضام، الى جانب قرائن أخرى كاسمية الفاعل ورتبته متأخراً عن الفعل وغيرها أمكن تجاهل دلالة الإعراب على المعنى النحوي» (2)

(١) العدول عن النمطية في التعبير الأدبي، عبد الموجود متولي بهنسي، عام ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ٥.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، نشر: عالم الكتب، الطبعة الخامسة ٢٠٠٦، ص ٢٣٣. ٢٣٦.



ومصطلحُ العدول بمفهومه السابق من شأنه أن يمنحنا مفهوماً عن العدول أوسع من الدائرة التي حصرها بعضُ البلاغيين في المخالفة بين الضمائر (1)

وقد استثمرَ هذه الرؤيةَ يحيى بنُ حمزة العلوِيُّ (2)، فمنح العدول مفهوماً أوسعَ ليشمل كل مغايرة في الأسلوب، وَحَدَّه بقوله: «الْعُدُولُ من أسلوبٍ في الكلامِ إلى أسلوبٍ آخرٍ مُخَالِفٍ للأوَّلِ». (3)

وهذا التعريف يوسع دائرة العدول، ويجعل مفهومه يقوم على فكرة المغايرة بين أسلوب، وأسلوب، وبين لفظ، ولفظ في أداء المعاني. ثم بيّن السّر في إثارة هذا التعريف بقوله: «وهذا أحسنُ من قولنا: هو العدولُ من غيبةٍ إلى خطابٍ، ومن خطابٍ إلى غيبةٍ؛ لأن الأول يعم سائرَ العدولَاتِ كُلِّها، والحدُّ الثاني إنما هو مقصورٌ على الغيبة والخطاب، لا غير»

وهذا ما ذهب إليه بعضُ البلاغيين المتأخرين عندما عرّفوا العدول بأنه: «نقلُ الكلامِ من حالةٍ إلى حالةٍ أخرى مطلقاً». (4)

ومن خلال ما سبق يتضح للباحث أن للعدول مفهوماً خاصاً يتمثل في المخالفة بين ضمائر التكلم، والخطاب، والغيبة، ومفهوماً عاماً يتمثل في العدول من أسلوب إلى آخر مطلقاً، وهذا المفهوم العام (1) العلوِيّ، أبو إدريس يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوِي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله، ألف كتاب الانتصار، الذي يعتبر من أهم الكتب الشرعية القانونية للزيديين، وكتاب الدعوة العامة، لتشجيع العمل من أجل النضال الإيماني الحقيقي، توفي رحمه الله سنة ٧٤٩هـ.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ١/٥٦، ومفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، القاهرة، عام ١٣٥٦هـ ص ٨٨، والإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، دار إحياء العلوم، بيروت، ص ٧٤.

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوِي، المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ٧١/٢.

(٤) عروس الأفراح، بهاء الدين السبكي (شروح التلخيص)، القاهرة، عام ١٩٣٧هـ، ١/٤٦٤.



يشكل ظاهرة تتميز بها هذه اللغة بما تملكه من طاقات إبداعية وجمالية.

وقد أشار ابن جنِّي^(١) رحمه الله إلى جمال هذه الظاهرة بقوله: «وكلام العرب كثير الانحرافات ولطيف المقاصد والجهات، وأعذب ما فيه تلفته وتثنيته»^(٢)

(١) عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد، عن نحو ٦٥ عاماً. وكان أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي. من تصانيفه رسالة في « من نسب إلى أمه من الشعراء، وتصريف أبي عثمان المازني »، وكتاب يُلقب بـ « المُحتسب »، وكتاب « الخصائص » توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.. البداية والنهاية لابن كثير القرشي الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، ٣٣١/١١، وتاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم. للمفضل بن محمد بن مسعر التتوخي المعري، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر، القاهرة، طبعة: ثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ص ٢٥.

(٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جنِّي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٠ م. ٨٦ / ٢



الفصل الثاني

أسلوب العدول من سورة الفاتحة وحتى سورة التوبة

وفيه تسعة مباحث



المبحث الأول سورة الفاتحة

العدول عن الغيبة إلى الخطاب.

الموضع الاول: قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (1)

١/ موضع العدول:

ورد العدول في الآية الكريمة في قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) حيث جاءت الآية بصيغة الخطاب، ومقتضى الظاهر في ظننا أن يقال: إِيَاهُ نَعْبُدُ وَإِيَاهُ نَسْتَعِينُ، لملائمة صيغة الغيبة في الآيات التي قبلها في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (2)

٢/ سبب العدول:

أما عن سبب العدول في الآية الكريمة فهو إظهار كمال العبادة والخضوع لله - سبحانه - وهذا ما تبينه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفاسير نجد أن أبي حيان: (3) ذهب إلى أن تغيير

١) سورة الفاتحة، الآية (٥).

٢) سورة الفاتحة، الآيات (٢، ٣، ٤).

٣) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، ولد سنة ٦٥٤هـ، الإمام أثير الدين الأندلسي الغرناطي، النّفْزِي، نسبة إلى نَفْزَة قبيلة من البربر. وأخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع، والعربية عن أبي الحسن الأَبْذِي وجماعة، وسمع الحديث بالأندلس وإفريقيا والإسكندرية ومصر والحجاز من نحو خمسين وأربعمائة شيخ، من تصانيفه: البحر المحيط في التفسير، ومختصره النهر، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، توفي رحمه الله، ٧٤٥هـ، ينظر: الأعلام لخير الدين بن محمود الزركلي الناشر: دار العلم للملايين، طبعة: خامسة عشر



الأسلوب فائدته إظهار كمال العبادة والخضوع لله سبحانه فقال في سر العدول: « وفائدته في ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أنه لما ذكر أن الحمد لله المتصف بالربوبية والرحمة والملك لذلك اليوم أقبل الحامد مخبراً بأثر ذكره الحمد المستقر له منه ومن غيره، أنه وغيره يعبده ويخضع له، ولذلك أتى بالنون التي تكون له ولغيره، فكما أن الحمد يستغرق الحامدين كذلك العبادة تستغرق المتكلم وغيره) (1)

وعلة العدول عند ابن كثير (2) هي مناسبة الكلام بعضه لبعض. قال: «وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبة؛ لأنه من أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى فهذا قال: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (3)

وأفاض أبو السعود (4) فقال: «ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائعة الدالة على أن تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى أنه لما أجرى عليه من النعوت الجليلة التي أوجبت له تعالى أكمل تميز، وأتمّ ظهور، بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ، ١ / ٤٣.

(٢) أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، سنة ٧٠١هـ، حافظ مؤرخ فقيه، وانتقل مع أخيه إلى دمشق، ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق ٧٧٤هـ، تناقل الناس تصانيفه في حياته. من كتبه البداية والنهاية، والتفسير، ينظر الأعلام للزركلي ١ / ٣٢٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة: أولى، ١٤١٩هـ، ١: ٤٩.

(٤) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود، مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد بقرب القسطنطينية سنة ٨٩٨هـ، ودرس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء في بروسه، ثم القسطنطينية، فالروم، وأضيف إليه الإفتاء سنة ٩٥٢هـ، توفي رحمه الله سنة ٩٨٢هـ وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ينظر: الأعلام للزركلي ٧ / ٥٩.

استعمال صيغة الخطاب والإيذان بأن حق التالي بعد ما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الأقدس المستوجب للعبودية، وامتيازته بذاته عما سواه بالكلية، واستبداده بجلائل وأحكام الربوبية المميزة له عن جميع أفراد العالمين، وافتقار الكل إليه في الوجود ابتداءً، وبقاء على التفصيل الذي مرت الإشارة إليه، أن يترقى من رتبة البرهان إلى طبقة العيان، وينتقل من عالم الغيبة إلى معالم الشهود، داعياً يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة، فإن كل ما سواك كائناً ما كان، بمعزل من استحقاق الوجود فضلاً عن استحقاق أن يُعبد أو يُستعان ولعلّ هذا هو السرُّ في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلاة⁽¹⁾

وأضاف الألوسي⁽²⁾ رحمه الله قائلاً: «ويحتمل أن يكون السرُّ أن الكلام من أول السورة إلى هنا ثناء. والثناء في الغيبة أولى، ومن هنا إلى الآخر دعاء، وهو في الحضور أولى، والله تعالى حي كريم.. وأيضاً أنه لما لم يكن في الحمد مزيد كلفةٍ بخلاف العبادة فإن خطبها أعظم، ومن أدب المحب تحمل المشاق العظيمة في حضور المحبوب، قرن سبحانه العبادة بما يُشعر بحضوره ليأتي بها العابد خالية من الكلال عارية من الفتور والملال، مقرونة بكمال النشاط موجبة لتمام الانبساط.. وأيضاً أن الحمد ليس إلا إظهار صفات الكمال على الغير فما دام للأغيار وجود في نظر السالك فهو يواجههم بإظهار مزايا المحبوب عليهم ويخاطبهم بذكر مآثره الجميلة لديه..»⁽³⁾

١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١/ ١٥، ١٦.
٢) عبد الله (بهاء الدين) بن محمود (شهاب الدين) بن عبد الله الألوسي، ولد سنة ١٢٤٨هـ، فقيه بغدادي من قضاة الشافعية، ترفع عن مناصب الدولة وعكف على التدريس من مؤلفاته: المتان في علمي المنطق والبيان، والواضح في النحو، وتوفي رحمه الله، سنة ١٢٩١هـ، ينظر: الأعلام للزركلي ٤/ ١٣٥، ١٣٦.
٣) روح المعاني، الألوسي، تحقيق علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ١/ ٩٢ بتصرف.



واستمر الألوسي في سرد وجوه الجمال والكمال لله سبحانه وبيان اتصافه بها مما أوجب على العبد طاعته وعبادته والاستعانة به من دون غيره. وقد انتهى الألوسي إلى بيان رأيه فقال: (وعندي وهو من نسائم الأسحار أن الله سبحانه بعد أن ذكر يوم الدين وهو يوم القيامة عدل إلى الخطاب للإشارة إلى أنه إذا قامت القيامة على ساق وكان إلى ربك يومئذ المساق، هنالك يفوز المؤمن بلذة الحضور ويتبلج جبينه بأنوار الفرح والسرور ويخلو به الديان وليس بينه وبينه ترجمان ويكشف الحجاب وتدور بين الأحباب كؤوس الخطاب، فتأمل في عظيم الرحمة كيف قرن سبحانه هذا الترهيب برحمتين...) (1)

وقال ابن عجيبة⁽²⁾ ناقلاً كلام البيضاوي⁽³⁾: «ثم إنه لما ذكر الحقيق بالحمد، ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات، وتعلق العلم بمعلوم معين، خوطب بذلك، أي يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة؛ ليكون أدل على الاختصاص وللترقى من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود، فكأن المعلوم صار عياناً والمعقول مشاهدًا والغيبة حضورًا، ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتثقيطاً للسامع، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد» (4)

- ١) روح المعاني، الألوسي، ١ / ٩٢، مرجع سابق.
- ٢) ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري، ولد سنة ١١٦٠هـ، مفسر صوفي مشارك، من أهل المغرب، وتوفي رحمه الله سنة ١٢٢٤هـ ودفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان) له كتب كثيرة، منها البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ينظر: الأعلام للزركلي ١ / ٢٤٥.
- ٣) البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي، قاض، مفسر، علامة، ولد في مدينة البيضاء (بقارس، قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة، وُصِفَ عن القضاء، فرحل إلى تبريز، ومكث فيها حتى توفي رحمه الله سنة ٦٨٥هـ، من تصانيفه: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة المتوفى: ٨٥١هـ تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان دار النشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ، ٢ / ١٧٢، والأعلام للزركلي ٤ / ١١٠.
- ٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق محمد عبدالرحمن المرعشلي،



وأرى في ضوء ما سبق من كلام العلماء أن سر هذا العدول هو أن الحامد لمّا حمد الله تعالى ووصفه بعظيم الصفات، بلغت به الفكرة منتهاها فتخيل نفسه في حضرة الربوبية فخطب ربه بالإقبال، ولذلك تخلص الكلام من التثاء إلى الدعاء، والدعاء يقتضي الخطاب، إذا الانتقال من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن نظرية لنشاطه، فالتثاء يحسُن فيه الإعلان العام، وهذا يلائمه أسلوب الحديث عن الغائب، والعبادة الدَّعَاءُ يحسُن فيها مواجهة المعبود المدعو بالخطاب.

ومما يزيد العدول وقعا في الآية، أنه تخلّص من التثاء إلى الدعاء، ولا شك أن الدعاء يقتضي الخطاب فكأن قوله: ﴿يَا كَتَبْتُ﴾، تخلصا يجيء بعده، اهدنا الصراط المستقيم.

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا أَضْطَاجِينَ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، بصيغة الغيبة (٢) حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى ﴿أَنْعَمْتَ

دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، ٢٨/١، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، تحقيق أحمد عبدالله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، ١٤١٩ هـ، ٦٠/١.

(١) (سورة الفاتحة، الآية، (٧).

(٢) قلت: إن المفسرين والبلاغيين لم يتفقوا على وضعها تحت عنوان واحد، فبعضهم يجعلها في ضمن الانتقال عن الخطاب إلى الغيبة، وهم الأكثر، وبعضهم يضعها تحت عنوان (بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه)، وعلي الرغم من اختلافهم في هذا الوضع نجد اتفاقهم على العلة أو الفائدة التي من أجلها تحول أسلوب الكلام من حال إلى آخر، ألا وهي التأدب في الخطاب مع الله وذلك بعدم نسبة ما يعيب أو يضر إليه تعالى، وكذا تعظيم المخاطب



عَلَيْهِمْ ﴿﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: غير الذين غضبت عليهم. كما قال: ﴿﴾ مِرَطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿﴾.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو إظهار التأدب في الخطاب مع الله وعدم نسبة هذا الغضب إليه، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب اللغة والتفسير يتبين أن ابن جني تحدث عن العدول في الآية فقال: ﴿﴾ مِرَطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿﴾ فصرح بالخطاب لَمَّا ذَكَرَ النِّعْمَةَ، ثم قال: ﴿﴾ غَيْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴿﴾ ولم يقل: غير الذين غضبت عليهم؛ وذلك أنه موضع تقرب من الله بذكر نعمه، فلما صار الكلام إلى ذكر الغضب قال: ﴿﴾ غَيْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الصَّالِينَ ﴿﴾، حتى كأنه قال: غير الذين غضب عليهم، فجاء اللفظ مُنْحَرَفًا به عن ذكر الغاضب، ولم يقل: غير الذين غضبت عليهم، كما قال: (الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) فأسند النعمة إليه لفظاً، ورَوَى عنه لفظ الغضب تحسناً ولطفاً» (١)

وذكر ابن جماعة (٢) أن السبب في العدول في الآية الكريمة هو من باب الأدب من السائل فقال: «صريح بإضافة النعم إليه دون ذلك بترك مخاطبته بإسناد العيب إليه، ينظر: العدول في الجملة القرآنية، د. عبد الله خضر حمد، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، ص ٢٥٢. (١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، ١/ ١٤٦.

(٢) مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدِ اللَّهِ بْنِ جَمَاعَةَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ جَمَاعَةَ بْنِ حَازِمِ بْنِ صَخْرٍ قَاضِيِ الْفُضَاةِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بَدْرُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكِنَانِيُّ الْحَمَوِيُّ الشَّافِعِيُّ الْمُفَسِّرُ وُلِدَ فِي رَجَبِ الْأَخْرِ سَنَةَ ٦٣٩ هـ بِحِمَاةٍ. وَقَرَأَ بِهَا الْقُرْآنَ وَالْفِقْهَ، وَأَنْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ فَتَفَقَّهَ بِهَا، وَسَمِعَ مِنْ أَصْحَابِ الْبُوصَيْرِيِّ، وَإِبْنِ كُلَيْبٍ، وَتُوفِّيَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ٧٣٣ هـ، ينظر: معجم الشيوخ الكبير للذهبي، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف - المملكة العربية السعودية، طبعة: أولى، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م، ٢/ ١٣٠.



الغضب، فإذلك لم يقل: غير الذين غضبت عليهم كما قال أنعمت عليهم، وهو من باب الأدب من السائل في حال السؤال ومنه: ببيدك الخير ولم يقل والشر» (١)

وقال أبو السعود مبيناً السر في العدول: «والعدول عن إسناد الغضب إليه كالإنعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات إليه ﷺ دون أضعافها؛ لأن مخاطبة الربّ تبارك وتعالى بإسناد النعمة إليه تعظيم لخطابه، وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغضب إليه تعظيم لخطابه» (٢).

وقال الألويسي: «وإنما أسند النعمة إليه تعالى تقرباً، والمقصود طلب الهداية إلى صراط من ثبت إنعام الله عليه وتحقق، ولذلك أتى بالفعل ماضياً وانحرف عن ذلك عند ذكر الغضب إلى الغيبة تأديباً، ولأن من طلب منه الهداية ونسب الأنعام إليه لا يناسب نسبة الغضب إليه؛ لأنه مقام تطف وترفق وتذلل لطلب الإحسان فلا يناسب مواجهته بوصف الانتقام» (٣)

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة التأدب مع الله تبارك وتعالى.

(١) كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ابن جماعة الكناي الحموي الشافعي، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، الناشر: دار الوفاء، المنصورة طبعة: أولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٨٧.
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ١٩/١.
(٣) روح المعاني، للألويسي، ٩٩/١.



المبحث الثاني سورة البقرة

العدول عن الغيبة إلى الخطاب

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (1)

١/ موضع العدول:

ورد العدول في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ وهو خطاب عام بعد أن كان الخطاب خاصاً لكل فرقة نعتها الله تعالى بصفة مغايرة للفرقة الثانية.

٢/ سبب العدول:

المطالع للآية يجد أن السبب للعدول هو التشييط للسامع وهذا ما تكشفه الدراسة عند الحديث عن آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

ورد في تفسير البيضاوي: «لَمَّا عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم، أقبل عليهم بالخطاب على سبيل العدول، هزأً للسامع وتشييطاً له واهتماماً بأمر العبادة وتقخيماً لشأنها وجبراً لكلفة العبادة بلذة المخاطبة» (2)

فالفائدة المتحققة في العدول - في نظر البيضاوي - هي هزُّ السامع وتشييطه.

(١) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٢) أنوار التنزيل، للبيضاوي، ١/٢١٥.



وقال أبو السعود مبيناً الغرض من العدول: «إثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم، وتحزب الناس في شأنه إلى ثلاث فرق، مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع والأحكام، وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق، وأخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق، ونعت كل فرق منها بما لها من النعوت والأحوال، وبين مالهم من المصير والمآل، أقبل عليهم بالخطاب على نهج العدول هزاً لهم إلى الإصغاء وتوجيهاً لقلوبهم نحو التلقي وجبراً لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فأمرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الإشراف به» (1)

والى مثل ذلك أشار الألويسي بقوله: «لما بين سبحانه فرق المكلفين وقسمهم إلى مؤمنين وكفار ومذبذبين، وشرح ما ترجع إليه أحوالهم دنيا وآخرة، أقبل عز شأنه بالخطاب على نهج العدول هزاً لهم إلى الإصغاء، وتوجيهاً لقلوبهم نحو التلقي، وجبراً لما في العبادة من الكلفة بلذذ المخاطبة» (2)

ويتبين للباحث أن الله خاطب كل الناس مطالباً إياهم بالعبادة له؛ لأنه خالقهم، وفي ذلك إشارة إلى عظيم قدره وارتفاع شأنه وعلو منزلته وسطوة سلطانه، وكأنه بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أراد التنبيه والتذكير بنعمة ربوبيته عليهم، فيأيتها الناس الذين هذه صفاتكم وهذه فئاتكم وتلك انقساماتكم، أنا ربكم الخالق لكم ولمن قبلكم، فاعبدوني وارجعوا إلى الفطرة التي فطرتكم عليها حنفاء غير مشركين بي شيئاً، ولا تختلفوا في كوني خالقكم وإلي مرجعكم.

وفي وجود (يا) التي أفادت التنبيه ما يعضد كون الأمر هنا للتذكير بألاء الله على الناس.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٥٨/١.

(٢) روح المعاني، للألويسي، ١٨١/١.



مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلُوءًا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا مَعَهُ، مَتَى نَصَرَ اللَّهُ الْآلَاءِ إِنَّ نَصَرَ اللَّهُ فَرِيبٌ ﴿(1)﴾

١/ موضع العدول:

ورد العدول في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ حيث
جاء بصيغة الخطاب، حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى:
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (2)،
ومقتضى الظاهر في ظننا أن يقال: أم حسبوا لملائمة السياق.

٢/ سبب العدول:

السبب في العدول هو أن يكون الموقف، والمقام حاسماً، والحقيقة
مكشوفة لشذذ الهمم للصبر والمصابرة وهذا ما تكشفه الدراسة في
آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالرجوع إلى كتب التفاسير نجد أن الزمخشري (3) رحمه الله قد بين
أن العدول في الآية أبلغ فقال: «ولما نكر ما كانت عليه الأمم من
الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعاً لرسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه

(١) سورة البقرة، الآية، (٢١٤).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢١٣).

(٣) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو
القاسم ولد سنة ٤٦٧هـ، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في
زمخش (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله. وتنقل
في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي بها سنة ٥٣٨هـ،
من كتبه: أساس البلاغة والمفصل والمقامات والجبال والأمكنة والمياه. ينظر:
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين
السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، لبنان،
صيد، ٢١/ ٢٧٩، والأعلام للزركلي ٧/ ١٧٨.

من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له - قال لهم على طريقة العدول التي هي أبلغ، أم حسبتم ولَمَّا فيها معنى التوقع»^(١)

ونكر الألوسي، أن العدول غير صريح في الآية، وقد علل للعدول في الآية فقال: «وفي الكلام عدول، إلا أنه غير صريح من الغيبة إلى الخطاب، لأن قوله سبحانه كان الناس أمة واحدة كلام مشتمل على ذكر الأمم السابقة والقرون الخالية، وعلى ذكر من بعث إليهم من الأنبياء وما لقوا منهم من الشدائد، وإظهار المعجزات تشجيعاً للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر على أذى المشركين، أو للمؤمنين خاصة، فكانوا من هذا الوجه مرادين غائبين، ويؤيده فهدي الله الذين آمنوا إلخ فإذا قيل: بعد أم حسبتم كان نقلاً من الغيبة إلى الخطاب، أو لأن الكلام الأول تعريض للمؤمنين بعدم التثبت والصبر على أذى المشركين، فكأنه وضع موضع كان من حق المؤمنين التشجيع والصبر تأسياً بمن قبلهم»^(٢).

والأحظ: في ضوء تعليل الزمخشري والألوسي، أن العدول عن صيغة الغيبة إلى صيغة الخطاب في الآية الكريمة، قد جاء مناسباً لهذه المواجهة في هذا المقام الحاسم لتشدد الهمم، ويصبح الصبر والثبات الغاية القصوى إلى رضوان الله ورضائه، والفوز بالكرامة عنده، والمواجهة بالخطاب هي أبلغ وسيلة لتحقيق هذه المقاصد جميعها.

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، ١/ ٢٥٦.
٢) انظر روح المعاني، للألوسي، تحقيق علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، ١/ ٤٩٩، والعدول في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، رسالة ماجستير، للطالبة/ خديجة محمد أحمد البناني، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى، ١٤١١ هـ، ص ٩٤، بلاغة فن العدول في القرآن الكريم رسالة دكتوراه للطالب/ ظاهر الدين جامعة بشاور باكستان ١٩٩٣م، ص ٤٨.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمْ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَّ وَالسَّلَوى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

ورد موضع العدول في قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَظَلَلْنَا وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ، رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقول: وما ظلمتمونا ولكن أنفسكم تظلمون.

٢/ سبب العدول:

المطالع لنص الآية يتبين له أن سبب العدول هو التلويح بغضب الله الشديد عليهم وأنهم ليسوا أهلاً للخطاب، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال البقاعي موضحاً السر في العدول: « قال الحرالي (٢): وفيه إشعار بتحذير هؤلاء أن يروا نحواً مما رأوا فينالهم نحو مما نالوه، لأن قصص القرآن ليس مقصوده مقصوداً على ذكر الأولين فقط، بل كل قصة منه إنما ذكرت لما يلحق هذه الأمة في أمد يومها من شبه أحوال من قص عليهم قصصه. انتهى» (٣)

(١) (سورة البقرة، الآية، (٥٧).

(٢) الحرالي، أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التُّجَيْبِيُّ الأندلسي، مفسر، من علماء المغرب. أخذ العربية عن أبي الحسن بن خروف، وأبي الحجاج ابن نمر، وحج، ولقي العلماء، وجال في البلاد، وتغرب، وتوفي رحمه الله سنة ٦٣٨ هـ، من كتبه «مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن والمعقولات الأول، والوافي في الفرائض، ينظر: الأعلام للزركلي ٤/ ٢٥٦، ٢٥٧

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي،



وقال أبو السعود: «كلامٌ عدلٌ به عن نهج الخطاب السابق للإيدان باقتضاء جنائيات المخاطبين للإعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباشرة»^(١)

وقال ابن عاشور: «وَعَيَّرَ الْأَسْلُوبَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ إِذِ انْتَقَلَ مِنْ خِطَابِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الْحَدِيثِ عَنْهُمْ بِضَمِيرِ الْغَيْبَةِ لِقَصْدِ الْإِتْعَاطِ بِحَالِهِمْ وَتَعْرِيفِهَا بِأَنَّهُمْ مُتَمَادُونَ عَلَى غَيْبِهِمْ وَلَيْسُوا مُسْتَفِيدِينَ مِنْ صَلَاحِهِمْ فَهُمْ بِحَيْثُ لَا يَعْرِوْنَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ»^(٢).

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول هو التعريض وقصد الاتعاظ بحالهم.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتَبِئُ بِهَا الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا ۗ قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۗ أَحْبَبُوا مِصْرًا ۖ فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَ يَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٣)

١/ موضع العدول:

ورد العدول في قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلُ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: ضربت عليكم.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الإذلال لهم والإعراض عنهم وهذا ما ستبينه الدراسة في آراء العلماء.

القاهرة ١/ ٣٩٠.

١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ١/ ١٠٤.

٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١/ ٥١٢.

٣) سورة البقرة، الآية (٦١).



٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا السر في العدول: «تذكيرٌ لجناية أخرى لأسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل وإخلاصهم إلى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة وإسنادُ القول المحكي إلى أخلاقهم وتوجيه التوبيخ إليهم لما بينهم من الاتحاد»^(١).

وقال الشوكاني: «وظاهر السياق أن القائلين هذه المقالة هم قوم موسى، وقيل: هم السبعون الذين اختارهم، وذلك أنهم لما سمعوا كلام الله قالوا له بعد ذلك هذه المقالة، فأرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم، ثم دعا موسى ربه فأحياهم»^(٢).

وقال بعض المحدثين: «وهذا ما ابعدهم عن شرف الخطاب وجعل قصتهم حكاية تروى لخلق الله أجمعين، وضمير الغائب يدل على أن ذلك راجع إلى جميع اليهود وشامل المخاطبين أيضا»^(٣).

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة، هو الإذلال لهم والإعراض عنهم.

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٤)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ أَسْتَكْبِرْتُمْ فَرَفِقًا كَذَبْتُمْ وَرَفِقًا تَقْدِرُونَ ﴾^(٥)، ومقتضى الظاهر أن يقال: وقلتم قلوبنا غلْفٌ بَلْ لَعَنَكُمُ اللَّهُ بِكُفْرِكُمْ فَقَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ.

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١٠٦/١.

(٢) فتح القدير، للشوكاني، ١/ ٢٦٢.

(٣) العدول في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، لخديجة البناي، ص ١٤٠.

(٤) سورة البقرة، الآية (٨٨).

(٥) سورة البقرة، الآية (٨٧).



٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الإعراض عن خطابهم والإبعاد لهم عن مشهد الحضور، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالرجوع إلى كتب التفسير نجد أن أبي السعود قال: موضعا سر العدول في الآية الكريمة: «﴿ وَقَالُوا ﴾ بَيَانٌ لِّفَنٍ آخَرَ مِنْ قِبَائِهِمْ عَلَى طَرِيقِ الْعَدُولِ إِلَى الْغَيْبَةِ، إِشْعَارًا بِإِبْعَادِهِمْ عَنْ رُتْبَةِ الْخِطَابِ لِمَا فَصِّلَ مِنْ مَخَازِيهِمْ الْمَوْجِبَةِ لِلْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ، وَحِكَايَةِ نَظَائِرِهَا لِكُلِّ مَنْ يَفْهَمُ بَطْلَانَهَا وَقِبَاحَتَهَا مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ» (١)

والى مثل هذا ذهب الألوسي فقال: « وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ عَطْفٌ عَلَى اسْتَكْبَرْتُمْ أَوْ عَلَى كَذِبْتُمْ فَتَكُونُ تَفْسِيرًا لِلْاسْتِكْبَارِ، وَعَلَى التَّقْدِيرِ فِيهِ عَدُولٌ عَنِ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ إِعْرَاضًا عَنْ مَخَاطَبَتِهِمْ وَإِبْعَادًا لَهُمْ عَنِ الْحَضُورِ» (٢)

وبين ابن عاشور حسن العدول في الآية فقال بعد ذكر الآية: « إما عطف على قوله: استكبرتم، أو على كذبتهم، فيكون على الوجه الثاني تفسيراً للاستكبار، أي يكون على تقدير عطفه على كذبتهم من جملة تفصيل الاستكبار، بأن أشير إلى أن استكبارهم أنواع، تكذيب، وتقتيل، وإعراض، وعلى الوجهين ففيه عدول عن الخطاب إلى الغيبة، وإبعاد لهم عن مقام الحضور، فهو من العدول الذي نُكِّتته، أن ما أجري على المخاطب من صفات النقص والفضاعة، قد أوجب إبعاده عن البال وإعراض البال عنه، فيشار إلى هذا الإبعاد بخطابه بخطاب البعد فهو كناية، وقد حسن العدول لأنه مؤذن بانتقال الكلام إلى سوء مقابلتهم للدعوة المحمدية، وهو غرض جديد، فإنهم لما تحدث

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ١/ ١٢٧.

(٢) روح المعاني، للألوسي، ١/ ٣١٨.



عنهم بما هو من شؤونهم مع أنبيائهم، وجه الخطاب إليهم، ولما أريد الحديث عنهم في إعراضهم عن النبي صلى الله عليه وسلم صار الخطاب جارياً مع المؤمنين وأجرى على اليهود ضمير الغيبة» (١)

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإعراض عن خطابهم والإبعاد لهم عن مشهد الحضور تحقيراً لهم.

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: من آمن منهم بك، وذلك تماشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو تأدب سيدنا إبراهيم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - مع ربه، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود بعد ذكر موطن العدول: « خصهم بالدعاء إظهاراً لشرف الإيمان، وإبانةً لخطره، واهتماماً بشأن أهله، ومراعاةً لحسن الأدب، وفيه ترغيب لقومه في الإيمان، وزجر عن الكفر، كما أن في حكايته ترغيباً وترهيباً لفريش وغيرهم من أهل الكتاب» (٢)

وإلى مثل هذا ذهب ابن عاشور فقال: « وخص إبراهيم المؤمنين بطلب الرزق لهم، حرصاً على شيوع الإيمان لساكنيه، لأنهم إذا علموا

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١/ ٥٩٩.

(٢) ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف ١/ ١٥٩.



أن دعوة إبراهيم خصت المؤمنين تجنبوا ما يحيد بهم عن الإيمان، فجعل تيسير الرزق لهم على شرط إيمانهم باعثاً لهم على الإيمان، أو أنه أراد التأدب مع الله تعالى فسأله سؤالاً أقرب إلى الإجابة، ولعله استشعر ذلك من رد الله عليه عموم دعائه السابق» (١)

إن تأدب إبراهيم -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- مع ربه، جعله يختار الكلمات المناسبة لكل مقام، فاختار كلمة (رب) لما فيها من لين وتحن وإقرار بالربوبية لله وحده، وهى حبيبه لسيدنا إبراهيم، فقد تكررت على لسانه الطاهر كثيراً، وأما في مجال العقيدة، فيجب أن تكون القوة والحزم والوضوح التام، ولا يتناسب مع هذا المقام إلا لفظ الجلالة الجامع لكافة الأسماء والصفات، فكان العدول إليها بصيغة الغائب هو الأنسب والأوضح» (٢).

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء، أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإظهار لشرف الإيمان والإبانة لخطره والاهتمام بشأن أهله ومراعاة لحسن الأدب مع الله.

الموضع الخامس: قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لَتَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٣).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن

صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: مَنْ يَتَّبِعُكَ، وذلك تماشياً مع سابقه.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، بتصرف، ١/ ٧١٦.

(٢) العدول في القرآن الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناني ص ١٤٧.

(٣) سورة البقرة، الآية، (١٤٣).



٢/ سبب العدول:

الم تأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو إشعار كل المطيعين للنبي صلى الله عليه وسلم في تغيير القبلة، أن الخطاب موجه لهم، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبيناً سر العدول: « **مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ** ﴿١﴾ في التوجّه إلى ما أمر به من الدين أو القبلة والعدول إلى الغيبة مع إيراده عليه السلام بعنوان الرسالة للإشعار بعلّة الاتباع » (١)

وإلى مثل هذا ذهب الألوسي قائلاً: « والمعنى أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة - كما هو الآن - وما جعلنا قبلك بيت المقدس لشيء من الأشياء إلا لتعلم أي في ذلك الزمان من يتبع الرسول أي يتبعك في الصلاة إليها » (٢)

وعليه فقد أراد الله اختيار العرب الذين كانوا يقدسون المسجد الحرام، فجاء الاتجاه إلى المسجد الأقصى لتجريد المؤمنين من كل ما يلتبس في النفوس من العادات القديمة أولاً، ثم ليدرب المؤمنين على الطاعة لله، رغم أعرافهم وتقاليدهم التي ألفوها من تقديس للمسجد الحرام، وليعلم من يطيع الأوامر ممن ينقلب على عقبيه أخيراً، فلما تجردت النفوس لله واتجهت حيث أمرها الله، جاء الأمر بالتحول إلى الكعبة استجابة لتضرع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « (٣)

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإشارة إلى علة الاتباع في الحكم الشرعي للنبي ومدى استجابة الناس له.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ١/١٧٣.

(٢) روح المعاني، للألوسي، ١/٤٠٥.

(٣) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، لعبد السلام أحمد الراغب، الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، طبعة: أولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٢٥٦.



الموضع السادس: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَلِينَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، ومقتضى الظاهر أن يقال: يَعْرِفُونُكَ، وذلك تماشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو التفضيم والتهويل والإشعار بأن شهرته وكونه علماً معلوماً مسلماً به، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو حيان موضحاً سر العدول: « هذا من باب العدول، لأنه قال تعالى: ﴿قَدْ زُرَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٣)، ثم قال: ﴿ولئن أتيت الذين﴾ إلى آخر الآية، فهذه كلها ضمائر خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عدل عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة، وحكمة هذا العدول، أنه لما فرغ من الإقبال عليه بالخطاب، أقبل على الناس فقال: الذين آتيناهم الكتاب واخترناهم لتحمل العلم والوحي، يعرفون هذا الذي خاطبناه في الآية السابقة وأمرناه ونهيناه، لا يشكون في معرفته،

(١) سورة البقرة، الآية، (١٤٦).

(٢) سورة البقرة، الآية، (١٤٥).

(٣) سورة البقرة، الآية، (١٤٤).



ولا في صدق أخباره، بما كلفناه من التكليف التي منها نسخ بيت المقدس بالكعبة، لما في كتابهم من ذكره ونعته، والنص عليه يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل»^(١).

وقال أبو السعود: «والعدول إلى الغيبة للإيذان بأن المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر، بل من حيث كونه مسطوراً في الكتاب منوعاً فيه بالنعوت التي من جملتها أنه سيصلي إلى القبلتين، كأنه قيل الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه، وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم، وقيل هو إضمارٌ قبل الذكر للإشعار بفخامة شأنه - عليه الصلاة والسلام - أنه علم معلوم بغير إعلام فتأمل، وقيل الضمير للعلم أو سببه الذي هو الوحي أو القرآن أو تحويل القبلة»^(٢).

وأرى من خلال العرض السابق لأراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإيذان بأن المراد ليس معرفتهم له - عليه السلام - من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطوراً في الكتاب منوعاً فيه بالنعوت التي من جملتها أنه صلى الله عليه وسلم سيصلي إلى القبلتين.

الموضع السابع: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ عَابُوا اللَّهَ الْأَكْبَرَ﴾^(٣)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل

عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ

(١) البحر المحيط، أبو حيان، ٢/ ٣٣.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ١/ ١٧٦.

(٣) سورة البقرة، الآية، (١٧٠).



حَلَاكًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١١١﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: وإذا قيل لكم - تماشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو التسجيل بكمال ضلالهم، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الطبري (١٢) « وفي هذه الآية وجهان من التأويل، أحدهما: أن تكون «الهاء والميم» من قوله: « وإذا قيل لهم» عائدة على «من» في قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾، فيكون معنى الكلام: ومن الناس من يتخذ من دُونِ اللَّهِ أندادًا، وإذا قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله. قالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا.

والآخر: أن تكون «الهاء والميم» اللتان في قوله: « وإذا قيل لهم»، من ذكر «الناس» الذين في قوله: ﴿ يَتَّيَّهَا النَّاسُ كُؤُومًا فِي الْأَرْضِ حَلَاكًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ فيكون ذلك انصرافًا من الخطاب إلى الخبر عن الغائب، قال أبو جعفر: وأشبهه عندي بالصواب وأولى بتأويل الآية أن تكون «الهاء والميم» في قوله: «لهم»، من ذكر «الناس»، وأن يكون ذلك رجوعًا من الخطاب إلى الخبر عن الغائب. لأن ذلك عقيب قوله: ﴿ يَتَّيَّهَا النَّاسُ كُؤُومًا فِي الْأَرْضِ حَلَاكًا ﴾ فلأن يكون خبرًا عنهم، أولى من أن يكون خبرًا عن الذين أخبر أن منهم ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ﴾ مع ما بينهما من الآيات، وانقطاع (١) سورة البقرة، الآية، (١٦٨).

(٢) الطبري، هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب، إمام المفسرين. ولد سنة ٢٢٤هـ، بطبرستان، وبدأ في طلب العلم في السادسة عشرة من عمره، ثم رحل إلى بغداد، ترك عدة مؤلفات نافعة أبرزها تفسيره الكبير، جامع البيان في تأويل أي القرآن، المشهور بين الجمهور بتفسير الطبري، له كتابًا كبيرًا في التاريخ لم يؤلف مثله، سماه تاريخ الأمم والملوك، وله أيضًا: تهذيب الآثار وغير ذلك. وتوفي سنة ٣١٠هـ ببغداد، ينظر: الأعلام للزركلي ٦/ ٦٩، ٧٠.



قَصَّصَهُمْ بِقِصَّةِ مُسْتَأَنَفَةٍ غَيْرِهَا، وَأَنْهَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ الْيَهُودِ قَالُوا ذَلِكَ» (١)

وقال أبو السعود السر في العدول بعد ما ذكر الآية: «عدول إلى الغيبة تسجيلاً بكمال ضلالهم، وإيداناً بإيجاب تعداد ما ذكر من جنائياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه إلى العقلاء وتفصيل مساوي أحوالهم لهم على نهج المباشرة أي إذا قيل لهم على وجه النصيحة والإرشاد» (٢)

وأضاف الألوسي: «والعدول عن الخطاب إلى الغيبة للتبويه على أنهم لفرط جهلهم وحمقهم ليسوا أهلاً للخطاب، بل ينبغي أن يصرف عنهم إلى من يعقله، وفيه من النداء لكل أحد من العقلاء على ضلالتهم ما ليس إذا خوطبوا بذلك» (٣).

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة التحقير من شأنهم، وجاء للتبويه على أنهم لفرط جهلهم وحمقهم ليسوا أهلاً للخطاب بل ينبغي أن يصرف عنهم إلى من يعقله.

الموضع الثامن: قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْمْ مَنَسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْكَدَ ذِكْرًا فَمِنَ النَّكَاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ (٤)

١/ موضع العدول:

(١) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، طبعة: أولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٢/ ٣٠٤، ٣٠٥.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ١/ ١٨٨.

(٣) روح المعاني للألوسي، بتصرف، ١/ ٤٣٨.

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٠٠).

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَسِكَكُمُ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: فَمِنْكُمْ مَنْ يَقُولُ وذلك تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو لما كان المقام مقام ذكر وتقرب إلى الله، خاطبهم مواجهة رفعة لشأنهم، وهذا ما استنبهه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو حيان موضحاً سر العدول في الآية الكريمة: «والذي يظهر أن هذا تقسيم للمأمورين بالذكر بعد الفراغ من المناسك، وأنهم ينقسمون في السؤال إلى من يغلب عليه حب الدنيا، فلا يدعو إلا بها، ومنهم من يدعو بصلاح حاله في الدنيا والآخرة، وأن هذا من العدول، ولو جاء على الخطاب لكان فمنكم من يقول، وحكمة هذا العدول أنهم ما وجهوا بهذا الذي لا ينبغي أن يسلكه عاقل، وهو الاقتصار على الدنيا، فأبرزوا في صورة أنهم غير المخاطبين بذكر الله بأن جعلوا في صورة الغائبين، وهذا من التقسيم الذي هو من جملة ضروب البيان، وهو تقسيم بديع يحصره المقسم إلى هذين النوعين»^(١)، والمراد به الحث على الإكثار والانتظام في سلك الآخرين^(٢).

وقال الألوسي: «وفي الآية عدول من الخطاب إلى الغيبة خطأ لطالب الدنيا عن ساحة عن الحضور، ولا يخفى أن الأول هو المناسب لإبقاء الناس على عمومته»^(٣).

(١) البحر المحيط، أبو حيان، ٢/ ٣٠٩.

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، بتصرف، ١/ ٢٠٩.

(٣) وحي المعاني، للألوسي، بتصرف، ١/ ٤٨٦.

وأرى من خلال العرض السابق لأراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة التشريف والتعظيم ورفعة قدر المخاطبين.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة

الموضع الاول: قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: (مِن رَّبِّهِمْ) بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَزَقْنَهُمْ يُفْقُونَ﴾^(٢)، ومقتضى الظاهر أن يقال: على هدى منا، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أن المقام مقام هداية، وهي من أهم مقاصد التربية، وهذه الهداية منحة من رب العباد، ووَصَفِ الْهُدَى بِأَنَّهُ مِنْ رَبِّهِمْ، تعظيم للهدى الذي هم عليه، وهذا ما كشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال السمعاني^(٣): «وفيه بيان أن الْهُدَايَةَ من الله تعالى وَمَنْ كَلِمَةً كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السَّنَةِ»^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية، .

(٢) سورة البقرة، الآية، .

(٣) منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي، العلامة الحنفي، ثم الشافعي، ولد سنة ٤٢٦هـ، برع على والده أبي منصور في المذهب، وسمع أبا غانم الكراعي وطائفة، ثم تحوّل شافعيًا، وصنّف التصانيف، وخرّج له الأصحاب، توفي في ربيع الأول، سنة ٤٨٩هـ، عن ٦٣ سنة، له تفاسير السمعاني، والانتصار لأصحاب الحديث، ينظر: العبر في خبر من غير، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ٣٦١/٢، والأعلام للزركلي ٣٠٣/٧.

(٤) تفسير السمعاني، لمنصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر



وقال الزمخشري «ومعنى هدى من ربهم، أي منحوه من عنده وأوتوه من قبله، وهو اللطف والتوفيق لأعمال الخير، والترقي إلى الأفضل»^(١)

وحرف الاستعلاء (على) «بَيَانٌ لِّتَمَكُّنِهِمْ مِنَ الْهُدَى وَاسْتِقْرَارِهِمْ عَلَيْهِ حَيْثُ شَبَّهَتْ حَالَهُمْ بِحَالِ مَنْ اعْتَلَى الشَّيْءَ وَرَكِبَهُ»^(٢) وقال أبو حيان «ومناسبة ذكر الرب هنا واضحة، أي أنه لكونه ربهم بأي تفاسيره فسرت ناسب أن يهيئ لهم أسباب السعادتين الدنيوية والأخروية، فجعلهم في الدنيا على هدى، وفي الآخرة هم مفلحون، «وإنما وصف الهدى بأنه من ربهم للتبويه بذلك الهدى وتشريفه، مع الإشارة بأنهم بمحل العناية من الله، وكذلك إضافة الرب إليهم هي إضافة تعظيم لشأن المضاف إليه»^(٣).

وقال أبو السعود «أي على هدى كائن من ربهم، وهو شامل لجميع أنواع هدايته تعالى وفنون توفيقه، والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم؛ لغاية تفخيم الموصوف، والمضاف إليهم وتشريفهما وزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبُه ويقتضيه»^(٤)

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن المقام مقام هداية وهذه الهداية هي منحة من الله سبحانه والسر هو تفخيم الموصوف بها، والمضاف إليهم وتشريفهما.

بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، طبعة: أولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ٤٥/١.

١) الكشاف، للزمخشري، ٤٥/١، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد القمي تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى، ١٤١٦هـ، ١/١٤٨، وحاشية الشهاب على تفسير البصاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، نشر، دار صادر، بيروت ١/٢٤٨.

٢) مفاتيح الغيب، للرازي ٢/٢٧٨، ٢٧٩.

٣) البحر المحيط، أبو حيان، ١/٧٣.

٤) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١/٣٤، وروح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١/٤٣.



الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: من دوني، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الإيذان بكمال سخافة عقولهم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبيناً سر العدول: «فوجه العدول الإيذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الألوهية الجامعة لجميع صفات الكمال» (٢).

وقال القاسمي: «والعدول لإدخال الروعة، وتربية المهابة» (٣).

والمعنى: ادعوا آلهتكم بقرينة قوله: من دون الله، أي ادعوهم من دون الله كدأبكم في الفزع إليهم عند مهماتكم معرضين بدعائهم واستجادهم عن دعاء الله واللجأ إليه، ففي الآية إدماج توبيخهم على الشرك في أثناء التعجيز عن المعارضة، وهذا الإدماج من أفانين البلاغة وذلك بأن يكون مراد البليغ غرضين، فيقرن الغرض المسوق له الكلام بالغرض الثاني، وفيه تظهر مقدرة البليغ إذ يأتي بذلك الاقتران بدون خروج عن غرضه المسوق له الكلام» (٤).

(١) سورة البقرة، الآية، (٢٣).

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١/ ٦٥.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي، بتصرف ١/ ٢٦٩.

(٤) التحرير والتتوير، لابن عاشور، بتصرف ١/ ٣٣٩.



وقال الألوسي: «والعدول إما لإدخال الروح وتربية المهابة، أو للإيدان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الألوهية الجامعة عبادة كل ما هو أحقر منه»^(١)

في ضوء ما سبق من آراء يتبين للباحث أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تعظيم القرآن عن أن يأتوا ولو بأية منه، وإيداننا بكمال سخافة عقولهم.

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٢)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى - ﴿ أَنَّ اللَّهَ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (إننا أو إني)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول، هو تربية المهابة والإشعار بمناط الحكم، فإن شمول القدرة لجميع الأشياء من أحكام الألوهية، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا سر العدول «والعدول بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والإشعار بمناط الحكم فإن شمول القدرة لجميع الأشياء من أحكام الألوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه»^(٣)

(١) روح المعاني، للألوسي، ١/ ١٩٩.

(٢) سورة البقرة، الآية، (١٠٦).

(٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١/ ١٤٣.



وقال الألويسي: «والعدول بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة، ولأنه الاسم العلم الجامع لسائر الصفات، ففي ضمنه صفة القدرة فهو أبلغ في نسبة القدرة إليه من ضمير المتكلم المعظم» (١)

وقال بعض الباحثين: «والسر في هذا العدول أن الله العظيم لم يشأ أن يسند الكفر والضلال صراحة لهؤلاء المخاطبين رحمة منه جل وعلا حتى لا يقطع الأمل في هدايتهم وعودتهم الى الطريق المستقيم» (٢)

في ضوء ما سبق من آراء يتبين للباحث أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تربية المهابة والإشعار بمناط الحكم فإن شمول القدرة لجميع الأشياء من أحكام الألوهية، وحتى لا ينقطع الرجاء في هداية هؤلاء الضالين.

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْتَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ (٤) ومقتضى الظاهر أن يقال: (إذ قلنا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول: المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو لإظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الرازي: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ﴾ هذا إخبار عن المغيبة فكيف

(١) روح المعاني، للألويسي، ١/٣٥٣.

(٢) العدول في القرآن الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناني، ٢٠٨.

(٣) سورة البقرة، الآية، (١٣١).

(٤) سورة البقرة، آية، (١٣٠).

يعقل أن يكون هذا النظم واجداً؟ قلنا: هَذَا مِنْ بَابِ الْعُدُولِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مَرَارًا. الثَّانِي: أَنَّهُ نَصَبَ بِإِضْمَارٍ أَذْكَرَ كَأَنَّهُ قِيلَ: أَذْكَرَ ذَلِكَ الْوَقْتَ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ الْمَصْطَفَى الصَّالِحَ الَّذِي لَا يَرِغَبُ عَنْ مِلَّةِ مِثْلِهِ» (١)

قال أبو السعود «والعدول مع التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إليه عليه السلام لإظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته» (٢)

وقال بعض العلماء: «هو من باب العدول إذ السياق (إِذْ قَالَ) والعدول من محاسن البيان، والتعرض بعنوان الربوبية (رَبُّهُ) لإظهار مزيد اللطف والاعتناء بتربيته كما أن جواب إبراهيم جاء على هذا المنوال ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولم يقل: أسلمت لك للإيدان بكمال قوة إسلامه وللاشارة إلى أن من كان رباً للعالمين لا يليق إلا أن يتلقى أمره بالخضوع وحسن الطاعة» (٣)

وقال بعض المحدثين: «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: أَسْلِمِ التَّفَاتِ عَنِ الْحُضُورِ إِذِ السِّيَاقِ: (قُلْنَا) إِلَى الْغَيْبَةِ. وَرَبُّهُ لإظهار مزيد اللطف والاعتناء بتربيته. وجواب إبراهيم أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ دليل على قوة إسلامه، وفيه إشارة إلى وجوب الخضوع لله تعالى، وفيه التفات من الخطاب إلى الغائب» (٤)

في ضوء ما سبق من آراء يتضح للباحث أن السر في العدول في الآية الكريمة هو إظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته.

الموضع الخامس: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ (٥)

١) مفاتيح الغيب، للرازي، بتصرف، ٤/ ٦٣.

٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف ١/ ١٦٣.

٣) صفوة القاسير، للصابوني، ١/ ٨٦.

٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، ٣١٦/ ١.

٥) سورة البقرة، الآية، (١٥٩).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنْ آيَاتِنَا وَهُمْ كَادِبُونَ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (نَلَعْنُهُمْ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو إظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة وإدخال الروعة والإشعار، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود: «والعدول إلى الغيبة بإظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة وإدخال الروعة والإشعار بأن مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الإنزال والتبيين من وصف الجمال والرحمة» (١)

وقال الألوسي مبينا سر العدول: «العدول إلى الغيبة بإظهار اسم الذات لتربية المهابة والإشعار بأن مبدأ صدور اللعن صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الإنزال والتبيين من صفة الجمال» (٢)

وقال بعض العلماء: وفي قوله: ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ عدول؛ إذ لو جرى على سنن الكلام، لقال: (نَلَعْنُهُمْ)؛ لقوله: (أَنْزَلْنَا)، ولكن في إظهار هذا الاسم الشريف ما ليس في الضمير». (٣)

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ١/ ١٨٢.

(٢) روح المعاني، للألوسي، ١/ ٤٢٦.

(٣) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة: أولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٣/ ١٠٧.



وقال بعض المحدثين: « فيه التفات من ضمير المتكلم إلى الغيبة إذ الأصل (تَلَعْنَهُمْ) ولكن في إظهار الاسم الجليل ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ إلقاء الروعة والمهابة في القلب» (١)

وقال بعض العلماء: « يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ فيه التفات من ضمير المتكلم » نلعنهم» إلى الغيبة، وذكر اسم الجلالة لإلقاء المهابة في القلب» (٢)

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو إظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة وإدخال الروعة والإشعار .

الموضع السادس: قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيْدِنَاهُ رُوحَ الْقُدُسِ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ ائْتَلَفُوا فِيهِمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (٣)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ فَضَّلْنَا ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (كلمنا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو قوله: مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ. كَلَّمَ اللَّهُ أَهْيَبُ وَأَكْتَرُ وَقَعًا، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

(١) صفوة التفسير، للصابوني ١/ ٩٧

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، ٤٦ / ٢ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٣ .



٣/ آراء العلماء:

قال الرازي: «إن الله تعالى قال ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ثم عَدَلَ عَنْ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْكَلَامِ إِلَى الْمُغَائِبَةِ فَقَالَ: ﴿مَنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ ثُمَّ عَدَلَ مِنَ الْمُغَائِبَةِ إِلَى النَّوْعِ الْأَوَّلِ فَقَالَ:

﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ فما الفائدة في العدول عن المخاطبة إلى المغيبة ثم عنها إلى المخاطبة مرة أخرى؟ والجواب أن قوله: ﴿مَنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ أهيب وأكثر وقعا من أن يقال منهم من كلمنا، ولذلك قال: وكلم الله موسى تكليما، فلهذا المقصود اختار لفظة الغيبة، وأما قوله: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ فإنما اختار لفظ المخاطبة، لأن الضمير في قوله: ﴿وَأَتَيْنَا﴾ ضمير التعظيم وتعظيم المؤتى يدل على عظمة الإيتاء»^(١)

وقال أبو السعود: «وإيراد الاسم الجليل بطريق العدول إنما هو لتربية المهابة والرمز إلى ما بين التكليم والرفع، وبين ما سبق من مطلق التفضيل، وما لحق من إيتاء للبينات والتأييد بروح القدس من التفاوت»^(٢)

وقال الألوسي: «وفي إيراد الاسم الجليل بطريق العدول تربية للمهابة ورمز إلى ما بين التكلّم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما لحق من إيتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت»^(٣)

والمعنى: أشار القرآن الكريم إلى من تقدم الكلام عليهم من الرسل الكرام بإشارة البعيد لعلو مكانتهم وسمو درجاتهم، وقد فضل بعضهم على بعض بتخصيصه بمفخرة ليست لغيره، فمنهم من شرفه بالكلام

(١) مفاتيح الغيب، للرازي، بتصريف واختصار، ٦/ ٥٢٨.

(٢) انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ١/ ٢٤٦.

(٣) روح المعاني، للألوسي، بتصريف، ٢/ ٤٠٢.



مشافهة كموسعليه السلام ورفع بعض الأنبياء على من عداه درجات في الفضل والشرف - الله أعلم بها - وأتى الله عيسى ابن مريم الآيات الواضحات: كتكليمه في المهد، وإحياءه الموتى، وإبراء الأكمه والأبصر، وأيدّه بروح القدس - جبريل - مع روحه الطاهرة ونفسه الصافية»^(١)

ويتضح للباحث من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التشريف والتعظيم، ولتربية المهابة وإدخال الروعة لمن آتاه الله هذا الفضل..

العدول عن الغيبة إلى التكلم:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣) ومقتضى السياق أن يقال: (مما نزل على عبدنا) ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التشريف والتتويه والتبني على اختصاصه به عز وجل في التنزيل، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

(١) التفسير الواضح، لمحمد محمود حجازي، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت، طبعة، العاشرة ١٤١٣هـ، ١/١٦٦.
(٢) سورة البقرة، الآية (٢٣).
(٣) سورة البقرة، الآية (٢٢).



٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير وجدت أن أبي السعود قد ذكر السر في العدول فقال: «وفي ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية مع الإضافة إلى ضمير الجلالة من التشريف والتتويه والتبنيه على اختصاصه به عز وجل، وانقياده لأوامره تعالى ما لا يخفى، والمراد به - صلى الله عليه وسلم - وأمته، أو جميع الأنبياء - عليهم السلام - ففيه إيذان بأن الارتياح فيه ارتياح فيما أنزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيما عليه»^(١)

وقال الألوسي: «وفي ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية مع الإضافة إلى ضمير الجلالة، تنبيه على عظم قدره واختصاصه به وانقياده لأوامره، وفي ذلك غاية التشريف والتتويه بقدره صلى الله عليه وسلم ويحتمل أنه أريد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته لأن جدوى المنزل والهداية الحاصلة به لا تختص به وحده، بل يشترك فيها المتبوع والتابع، فجعل كأنه نزل عليه وعلى أمته، ويحتمل أن يكون أريد به النبي محمد وإخوانه النبيون - عليهم السلام - الذين أنزل عليهم الوحي، أول مقصود وأسبق داخل لأنه الذي طلب معاندوه بالتحدي في كتابه، وفيه إيذان بأن الارتياح فيه ارتياح فيما أنزل من قبله، لكونه مصدقا له ومهيما عليه»^(٢) وإلى مثل هذا ذهب القاسمي^(٣)

وعلى بعض المفسرين لمجيء الفعل على لفظ التنزيل دون الإنزال، قائلا: «فإن قلت: لم قيل: ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا﴾ على لفظ التنزيل دون الإنزال؟ قلت: لأن المراد النزول على سبيل التدرج والتتجيم، وهو من إعجاز القرآن أيضاً لمكان التحدي لمن نزل فيهم وغيرهم من باب أولى،

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ١/٦٤.

(٢) روح المعاني، الألوسي، بتصرف، ١/١٩٥.

(٣) محاسن التاويل، محمد جمال الدين القاسمي، بتصرف، ١/٢٦٨.



وذلك أنهم كانوا يقولون: لو كان هذا من عند الله مخالفاً لما يكون من عند الناس، لم ينزل هكذا نجوماً بعد سورة وآيات بعد آيات، على حسب النوازل والحوادث، وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر، من وجود ما يوجد منهم مفرقا حيناً فحيناً، وشيئاً فشيئاً حسب ما يعين لهم من الأحوال المتجددة والحاجات السانحة، لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة»⁽¹⁾

ووجه اتصالها بما قبلها أنّ الله سبحانه لمّا ذكر في الآية الأولى الدلالة على وحدانيته وقدرته ذكر بعدها الدلالة على نبوة نبيه وأنّ ما جاء به ليس مفترى من عنده»⁽²⁾

وجاءت جملة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ من البعث بلفظ (إن) مع المرتابين، فإما لقصد التوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على ما يخرجها عن أصلها، وتصوير أن المقام لا يصلح إلا لمجرد الفرض للارتباب كما قد تفرض المجالات متى تعلقت بفرضها أغراض، كقوله تعالى «ولو سمعوا ما استجابوا لكم» والضمير في سمعوا للأصنام ويتأبى أن يقال وإذا ارتبتم»⁽³⁾

والمعنى: لا ترتدوا أيها المؤمنون، وتجعلوا لله أندادا بعد علمكم الذي هو نفي الجهل بأن الله واحد، وهذه الآية تعطي أن الله تعالى أغنى الإنسان بنعمه هذه عن كل مخلوق، فمن أحوج نفسه إلى بشر مثله بسبب الحرص والأمل والرغبة في زخرف الدنيا، فقد أخذ بطرق

(١) لكشاف، الزمخشري، بتصرف ٩٦/١، واللباب في علوم الكتاب لعمر بن علي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة: أولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م، ٣/ ٢٨٠.
(٢) تفسير القرطبي، ١/ ٢٣٢.

(٣) مفتاح العلوم، محمد بن علي السكاكي، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه، نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة: ثانية، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م، ١/ ٢٤١، والإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين القزويني الشافعي، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر، دار الجيل، بيروت، طبعة: ثالثة، ٢/ ١٢٠.



من جعل لله ندا، عصمنا الله تعالى بفضله وقصر آماننا عليه بمنه وطوله، لا رب غيره» (1)

في ضوء ما سبق من تحليل العلماء للآية الكريمة يرى الباحث أن السر في مع الإضافة إلى ضمير الجلالة (نا) تنبيه على عظم قدره واختصاصه به وانقياده لأوامره، وفي ذلك غاية التشريف والتتويه بقدره صلى الله عليه وسلم.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنهَا جَمِيعًا فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢﴾

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿أَهْبَطُوا مِنهَا جَمِيعًا﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (منا) وذلك ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أن الله خاطب عبده خطابا مباشرا تأكيد على قبول توبته، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

خاطب الله عبده خطابا مباشرا تأكيد على قبول توبته فقال بعض المفسرين مبينا السر في العدول: ﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا﴾ استئناف مبني على

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية، ١/ ١٠٦.

(٢) سورة البقرة، الآية، (٣٧، ٣٨).



سؤال ينسحبُ عليه الكلامُ، كأنه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته، فقيل ﴿فَلَمَّا أَهَبُوا مِنْهَا﴾ كُرِّر الأمرُ بالهبوطِ إيداناً بتختم مقتضاه وتحققه لا محالة، ودفعاً لما عسى أن يقع في أمنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك وإظهار لنوع رافةٍ به عليه السلام لما بين الأمرين من الفرق النير، كيف لا والأول مشوبٌ بضرب سخطٍ مذيّل ببيان أن مهبطهم دار بليّة وتعادٍ لا يخلدون فيها، والثاني مقرون بوعد إيتاء الهدى المؤدي إلى النجاة والنجاح»⁽¹⁾

وقال بعض الباحثين: «إن هناك مقاصد تربوية عظيمة تفرع أذن السامع وتنبهه الى واجبه عندما يقع في الزلل، والمطلوب منه عند سقوطه في الخطأ فهذه جبلته وخلقته التي فطر عليها وجبل، فكل ابن آدم خطأ، فعدل إلى كلمة رب بما تحمله من العطف وما تضمنه من الرحمة والتربية والهداية لاسيما في إسنادها إلى ضمير آدم»⁽²⁾.

أما الكلمات التي تلقاها ادم فقال بعض المفسرين: «في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَهَبُوا مِنْهَا﴾ كَلِمَتٌ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّجِيمُ﴾ قَالَ: هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾»⁽³⁾

وقد قرأ ابن كثير المكي⁽⁴⁾ ﴿فَلَمَّا أَهَبُوا مِنْهَا﴾ بنصب آدم ورفع كلمات، جعلهن المتكليات، وقرأ غيره برفع آدم وكسر كلمات فجعل

- ١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ١/ ٩٢.
- ٢) العدول في القرآن الكريم الى آخر سورة الكهف، بتصرف، للطالبة، خديجة البناني، ص ٢٠٤.

- ٣) سورة الأعراف، الآية، ٢٣. وتفسير عبد الرزاق لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، الناشر: دار الكتب العلمية دراسة وتحقيق، د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ / ٢٦٨.
- ٤) عبد الله بن كثير أبو معبد المكي الداري، ولد بمكة سنة ٤٥ للهجرة، لقي كثيرا من الصحابة، أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن السائب، ومجاهد بن جبر، كان فصحا بليغا مفوها، ذا سكينه ووقار، عالما بالعربية، ظل إمام القراءة بمكة حتى مات، توفي رحمه الله، سنة ١٢٠هـ.



آدم المتلقي، فأما من قرأ فَتَلَقَى آدَمُ بِالرَّفْعِ فمعناه أخذ وقيل من ربه، ومن قرأ ينصب آدَمَ، يعني استقبلته كلمات من ربه، يقال: تلقيت فلاناً بمعنى استقبلته، ومعنى ذلك كله: أن الله تعالى ألهمه كلمات، فاعتذر بتلك الكلمات وتضرع إليه، فتاب الله عليه» (١)

في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة يرى الباحث أن السر في العدول في الآية الكريمة، القرب والقبول والتشريف، هو أن الله خاطب عبده خطاباً مباشراً تأكيد على قبول توبته.

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٢)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعُنُونَ﴾ (٣) ومقتضى الظاهر أن يقال: (منأ) ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول، هو الإظهار لقيمة التوبة وعظمتها عند الله، ورفعة لشأن التائبين، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

١) معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي الأخفش الأوسط، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، بتصرف، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، طبعة أولى، ١٤١١هـ: ١٩٩٠م، ٧٤/١، وبحر العلوم لنصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي تحقيق: د. محمود مطرجي دار النشر: دار الفكر - بيروت والوسيط في تفسير القرآن المجيد ل محمد بن علي الواحدي، النيسابوري تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرطه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م / ١٢٥.

٢) سورة البقرة، الآية، (١٦٠).

٣) سورة البقرة، الآية، (١٥٩).



٣ / آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير وجدت أن أبي السعود قد ذكر السر في العدول فقال: «والعدول إلى التكلم للافتتان مع ما فيه من الرمز إلى اختلاف مبدأ فعلية السابق واللاحق»^(١)

وإلى مثل هذا ذهب الألويسي^(٢) وقال بعض المفسرين: «وقد جرى الله تعالى التائبين العاملين المؤكدين لتوبتهم بالبيان للحق والإصلاح بأنه يقبل توبتهم، فقال تعالت كلماته: ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ هنا عدول عن الإخبار إلى التكلم، فالله تعالى أخبر عنهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ إلى آخر الآية، ثم التفت من الإخبار إلى التكلم عند الجزاء، وكذلك الأمر في أكثر البيان يكون ذكر المعاصي والتوبة منها بالإخبار أو الخطاب؛ ويكون الجزاء من الله تعالى بضمير المتكلم تربية للمهابة، والإشراق في النفس، والإشعار بالرضا، وإن قبول التوبة أحب إلى العاصي التائب من كل ما في الوجود، وهو رفع له من ذلة الذنب وخسته إلى رفعة الحق وعزته؛ ولذا قال عز من قائل: ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ الإشارة إلى الموصوفين بالتوبة الذين بينوا ما كتّموا وأقاموا الإصلاح مكان الإفساد، وكما قلنا وكررنا الإشارة إلى الموصوف بيان أن العلة هي الوصف، فقبول التوبة سببه التوبة النصوح، والعمل على نقيض المعصية وما ترتب عليها»^(٣)

وفي الربط بالفاء إشارة إلى إسراع استنفاد توبة الله عليهم، من نار الخوف والندم، رحمة منه لهم برفعهم إلى موطن الإنس، لأن نار الخوف في الدنيا للمقترف رحمة من عذاب النار؛ تقديرة من نار

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ١/١٨٣.

(٢) روح المعاني، الألويسي، ١/٤٢٧.

(٣) زهرة التفسير، أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى، الناشر: دار الفكر العربي، ١/٤٨١.



السطوة في الآخرة، من لم يحترق بنار المجاهدة أحرقتة نار الخوف،
فمن لم يحترق بنار الخوف أحرقتة نار السطوة^(١)

والمعنى أن من تاب بعد هذا وتبين منهم أن ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم حق، قبل الله توبته، إنه يقبل التوبة، ويرحم ويغفر الذنب، الذي لا غاية بعده. ^(٢)

قال الشيخ المراغي: ^(٣) وفي الآية ترغيب للقلوب الواعية التي تخاف سخط الله وشديد عقابه، في التوبة عما فرط من الذنوب، وطرّد لليأس من رحمة الله مهما ثقلت الذنوب وكثرت الآثام. ^(٤)

وفي ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة، يرى الباحث أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تنشيط السامع بتغيير الأسلوب، والافتتان في صيغة العدول، مع ما فيه من ترغيب للقلوب الواعية في التوبة والرجوع إلى الله.

العدول عن التكلم إلى الخطاب.

١) تراث أبي الحسن الخَزَالِي المراكشي في التفسير الخَزَالِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ مستخرجة من تفسير البقاعي «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، تصدير: محمد بن شريفة، عضو أكاديمية المملكة المغربية تقديم وتحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياط، أستاذ بكلية أصول الدين تطوان الناشر: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي - الرباط الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م / ١ / ٢٩٣.

٢) معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل الزجاج تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م / ١ / ٢٣٥.

٣) محمد مصطفى المراغي ولد سنة ١٨٨١م، عالم أزهري، وقاض شرعي مصري، شغل منصب شيخ الأزهر، من كتبه، الأولياء والمجورون، بحث في وجوب ترجمة القرآن الكريم، تفسير المراغي، وغيرها، توفي رحمه الله، سنة ١٣٦٤هـ. الأعلام للزركلي ١٠٣/٧.

٤) تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، بتصرف، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م / ٢ / ٣١.



الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُواوَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (١١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿كُلُواوَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (فَقُلْنَا لَهُمْ كُلُوا وَأَشْرَبُوا) ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة وجدت أن سبب العدول جاء ليسجل عليهم منة عظمى تستحق الشكر والحمد والثناء المستمر الذي لا ينقطع، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

ورد العدول في قول الله تعالى: ﴿كُلُواوَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ بصيغة الخطاب لبني إسرائيل، ولكل واقف على الآية وذلك بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا﴾ وكان مقتضى السياق إعادة هذا القول مرة ثانية قبل قوله تعالى: ﴿كُلُواوَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ لتصبح فقلنا لهم كلوا واشربوا، ولكنه - سبحانه وتعالى - أتى بصيغة الخطاب المباشر ليسجل عليهم منة عظمى، تستحق الشكر والثناء والحمد الدائم.

قال الألوسي: «كُلُوا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ، على إرادة القول، وفي ذكر الرزق مضافا تعظيم للمنة، وإشارة إلى حصول ذلك لهم من غير تعب ولا تكلف، وفي هذا عدول ولفتة دقيقة في كتاب الله، إذ تقدم فقلنا اضرب ولو جرى على نظم واحد لقال من رزقنا، ولو جعل الإضمار قبل كَلُوا مسندا إلى موسى - أي وقال موسى كلوا واشربوا - (١) سورة البقرة، الآية، (٦٠).



لا يكون فيه ذلك، والرزق- هنا بمعنى المرزوق وهو الطعام المتقدم من المنّ والسلوى، وبالمشروب من ماء العيون، وقيل: المراد به الماء وحده لأنه يشرب ويؤكل مما ينبت منه ويضعفه أنه لم يكن أكلهم في التيه من زروع ذلك الماء»⁽¹⁾

قال الرازي: «فَقُلْنَا لَهُمْ أَوْ قَالَ لَهُمْ مُوسَى: كُلُوا وَاشْرَبُوا، وَإِنَّمَا قَالَ: كُلُوا لِيُوجِهِينَ، أحدهما: لما تقدم من ذكر المنّ والسلوى، فكأنه قال: كلوا من المنّ والسلوى الذي رزقكم الله بلا تعب ولا نصب واشربوا من هذا الماء. والثاني: أن الأغذية لا تكون إلا بالماء، فلما أعطاهم الماء فكأنه تعالى أعطاهم المأكول والمشروب، واحتجت المعتزلة بهذه الآية على أن الرزق هو الحلال، قالوا: لأن أقل درجات قوله: كلوا واشربوا الإباحة، وهذا يقتضي كون الرزق مباحا، فلو وجد رزق حرام لكان ذلك الرزق مباحا وحراما وإنه غير جائز»⁽²⁾

ومعنى الآية الكريمة: واذكروا يا بنى إسرائيل، وقت أن أصاب آباءكم العطش الشديد وهم في صحراء مجدبة، فتوسل إلينا نبيهم موسى- عليه السلام- في خشوع وتضرع أن أمدهم بالماء الذي يكفيهم، فأجبناه إلى ما طلب، إذ أوحينا إليه أن اضرب بعصاك الحجر ففعل، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا بمقدار عدد الأسباط، وصار لكل سبط

منهم مشرب يعرفه ولا يتعداه إلى غيره، وقلنا لهم تمتعوا بما منّ الله به عليكم من مأكول طيب ومشروب هنيء رزقكم الله إياه من غير تعب ولا مشقة، ولا تغنّوا في الأرض مفسدين فتتحول النعم التي بين أيديكم إلى نقم وتصبحوا على ما فعلتم نادمين»⁽³⁾

وأرى في ضوء ما سبق أن العدول جاء في الآية الكريمة. التشریف

(1) روح المعاني، الألويسي، بتصرف، ٢/٢٧٢، العدول في القرآن الكريم الى آخر سورة الكهف، ٤٢٣.

(2) مفاتيح الغيب، الرازي، بتصرف ٣/٥٣٠.

(3) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، ١/١٤٤.

والتعظيم من الله لبني إسرائيل، ليسجل عليهم مئة عظمى تستحق الشكر والحمد والثناء المستمر الذي لا ينقطع.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قُلُوبَهُمْ الْعَجَلُ بِكُفْرِهِمْ﴾ (1)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (وقلنا خذوا) ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول أن المقام يحتاج إلى القوة ووجوب الالتزام بالأمر، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

جاء العدول في قول الله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾

بصيغة الخطاب المباشر وذلك بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ وكان مقتضى السياق (وقلنا خذوا) قال الطبري: «اختلف أهل العربية في تأويل ذلك، فقال بعض نحويي أهل البصرة، هو مما استغني بدلالة الظاهر المذكور عما ترك ذكره له، وذلك أن معنى الكلام ورفعنا فوقكم الطور، وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم بقوة، وإلا قذفناه عليكم» (2)

(١) سورة البقرة، الآية، (٩٣).

(٢) جامع البيان، الطبري، بتصرف، ٢/ ١٦٠، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، بتصرف، ١/ ١٣٣.



ولما كان الخطاب المباشر له تأثير قوي على المخاطب والسامع، أثره سبحانه على أسلوب الحكاية وحذف فعل القول، قال المفسرون: خذوا على إرادة القول»⁽¹⁾، أي: خذوه بجد وعزيمة كاملة وعدول عن التغافل والتكاسل⁽²⁾

وأرى في ضوء ما سبق أن العدول جاء في الآية الكريمة لأن المقام يحتاج إلى القوة ووجوب الالتزام بالأمر.

الموضع الثالث: قيل تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَهٖمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَهٖمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾⁽³⁾

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَهٖمَ مُصَلًّى﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا﴾ ومقتضى السياق أن يقال: (وقلنا لهم اتخذوا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التنبيه على أهمية هذه الصلاة واستحبابها وعلو منزلتها وشأنها عند الله، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا وموضحا السر في العدول: «﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَهٖمَ مُصَلًّى﴾ على إرادة قولٍ هو عطفٌ على جعلنا أو حالٌ من فاعله، أي وقلنا أو قائلين لهم اتخذوا الخ، وقيل هو بنفسه معطوفٌ

(١) الكشاف، الزمخشري، ١/ ١٤٤.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢/ ١٠٨.

(٣) سورة البقرة، الآية، (١٢٥).



على الأمر الذي يتضمنه قوله عز وجل مَثَابَةٌ لِّلنَّاسِ كَأَنَّهُ قِيلَ ثُبُوبًا
إِلَيْهِ وَاتَّخَذُوا الْخَيْبَ، وقيل على المضمرة العامل في إذ، وقيل هي جملة
مستأنفة، والخطاب على الوجوه الأخيرة له - عليه السلام - ولأمته،
والأول هو الأليق بجزالة النظم الكريم، والأمر صريحاً كان أو مفهوماً
من الحكاية للاستحباب»^(١)

وقال الدكتور الخطيب^(٢) « وفي قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ
مُصَلًّى ﴾ عدول من غيبة إلى حضور، ومن خبر إلى أمر، للتبويه
بشأن هذا البيت المعظم عند الله، وبالأمر المتعلق به»^(٣)

والمعنى: واذكر لهم إذ جعلنا البيت الحرام (الكعبة) مثابة للناس
وملجأ، وجعلناه آمناً، من دخله كان آمناً ويتخطف الناس من حوله،
واتخذوا أيها المسلمون من مكان إقامة إبراهيم مصلى، أي: فضله
على غيره في الصلاة لشرفه بقيام إبراهيم فيه، فالأمر للندب لا
للوجوب، وقد أمرنا إبراهيم وإسماعيل بأن يقيما بتطهير البيت من
الأوثان ومن كل دنس ورجس يطهرانه للذين يطوفون به ويقومون
عنده، والذين يركعون فيه ويسجدون^(٤)

وأرى في ضوء ما سبق أن العدول جاء في الآية الكريمة، للتبويه على
أهمية هذه الصلاة واستحبابها وعلو منزلتها ومدى شأنها عند الله،
وذلك تكريماً لما قام به سيدنا إبراهيم من بناء البيت الحرام، وشرف
الكعبة وشرف من بناها وكذلك من عبد الله فيها.

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، بتصرف، ١/ ١٥٧.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، بتصرف، ١/ ١٤٠، و العدول في
القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، ص ٤٢٩.

(٣) عبد الكريم محمود يونس الخطيب، مفكر إسلامي معاصر، باحث معروف،
ومفسر ضليع، ولد سنة، ١٣٢٨هـ، في قرية "الصوامعة غرب" محافظة سوهاج
من صعيد مصر، حفظ القرآن الكريم، عكف على كتابة الدراسات والبحوث،
فأصدر مجموعة قيمة من المؤلفات الدينية والأدبية، أهمها التفسير القرآني للقرآن
توفي رحمه الله سنة، ١٤٠٦هـ.

(٤) التفسير الواضح، لمحمد محمود الحجازي، بتصرف، ١/ ٧٢.



المبحث الثالث سورة آل عمران

العدول عن الغيبة إلى الخطاب.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي بِبَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلِذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفِرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّةٍ بَّحْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١١﴾

١/ موضع العدول:

جاء العدول في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي بِبَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ حيث جاء بصيغة الخطاب في قوله تعالى ﴿مِّنْكُمْ﴾ فعدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ هو ومقتضى السياق أن يقال: منهم لملائمة أسلوب الغيبة في لفظة (استجاب).

٢/ سبب العدول:

السبب في العدول عن الغيبة إلى الخطاب هو الإظهار بكمال الاعتناء وبشأن الاستجابة، ولتشريف الداعين بشرف الخطاب، وهذا ما توضحه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير وجدت أن بعض العلماء قال في تعليل العدول: «والعدول عن الغيبة للخطاب إنما هو لإظهار كمال الاعتناء بشأن»

(١) سورة آل عمران، الآية، (١٩٥).



الاستجابة وتشريفِ الداعين بشرف الخطاب، والمراد تأكيدها ببيان سببها والإشعارُ بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء»^(١) وإلى مثل هذا ذهب الألوسي أيضاً.^(٢)

ويرى الباحث في ضوء تعليل أبي السعود، والألوسي أن العدول عن صيغة الغيبة إلى صيغة الخطاب في الآية الكريمة، إنما جاء لبيان شرف الخطاب المباشر للرجال والنساء وتعظيم لحالهم عند الله تبارك وتعالى.

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾^(٣)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾^(١) بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ ومقتضى السياق أن يقال: إنك لا تخلف الميعاد تمثيلاً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الإخبار لمحمد صلى الله عليه وسلم وأُمَّته، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ١٣٣/٢.

(٢) روح المعاني، الألوسي، ٣٧٨/٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية، (٩).



ذكر الكرمانى^(١) العدول ولم يعلل له فقال: «فعدّل من الخطاب إلى لفظ الغيبة في أول السورة، واستمر على الخطاب في آخرها؛ لأن ما في أول السورة لا يتصل بالكلام الأول، كاتصال ما في آخر السورة به»^(٢)

وقد وجه المفسرون السر في العدول فقال ابن عطية: «يحتمل أن يكون إخبارا منه محمدا عليه السلام وأمته، ويحتمل أن يكون حكاية من قول الداعين، ففي ذلك إقرار بصفة ذات الله تعالى، والميعاد مفعال من الوعد»^(٣)

وقال الطبري: «معنى الكلام، ربنا إنك جامع الناس ليوم القيامة، فاغفر لنا يومئذ واعف عنا، فإنك لا تخلف وعدك لمن آمن بك، واتبع رسوك، وعمل بالذي أمرته به في كتابك، أنك غافره يومئذ، وإنما هذا من القوم مسألة ربهم أن يثبتهم على ما هم عليه من حسن بصيرتهم»^(٤)

وأرى من خلال العرض السابق لأراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة، تعظيم الله سبحانه والثناء عليه من خلال دعائه سبحانه، ويحتمل أن يكون إخبارا منه لمحمد - عليه السلام - وأمته، ويحتمل أن يكون حكاية من قول الداعين.

- ١) محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء، عالم بالفقرات، نقل في (التفسير) آراء مستنكرة، في معرض التحذير منها، كان الأولى إهمالها. أثنى عليه ابن الجزري، وذكر بعض كتبه، ومنها: لباب التفسير، توفي رحمه الله سنة ٥٠٥هـ، ينظر: الأعلام للزركلي ٧ / ١٦٨.
- ٢) أسرار التكرار في القرآن، المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، بتصرف، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، الناشر: دار الفضيلة، ص ٨٨، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين الفيروز آبادى، بتصرف، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١ / ١٦١.
- ٣) المحرر الوجيز، ابن عطية، بتصرف، ١ / ٤٠٥.
- ٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ٦ / ٢٢١.



الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ ومقتضى سياق الكلام أن يقال: وأنت أعلم - تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الإظهار لغاية الإجلال والتشريف للماخاطب، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتعظيم لشأنه، وتجهيل لها بقدره، أي والله أعلم بالشئ الذي وضعته وما علق به من عظام الأمور، حيث جعلها الله وابنتها آية للعالمين وهي غافلة عن ذلك، والجملة اعتراضية وقرئ (وَضَعْتُ) على خطاب الله تعالى لها، أي إنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما أودع الله فيه من علو الشأن وسمو المقدار، وقرئ وَضَعْتُ على صيغة التكلم مع العدول عن الخطاب إلى الغيبة، إظهاراً لغاية الإجلال، فيكون ذلك منها اعتذاراً إلى الله تعالى، حيث أتت بمولود لا يصلح لما نذرت من السدانة، أو تسليّة لنفسها على معنى لعل الله تعالى جعل في مولودها سرّاً وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر، فوجه العدول حينئذ ظاهر» (٢)

(١) سورة آل عمران آية ٣٦.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصريف، ٢ / ٢٨.



وقال الشوكاني: « قوله: والله أعلم بما وضعت قرأ أبو بكر، وابن عامر، بضم التاء فيكون من جملة كلامها ويكون متصلاً بما قبله، وفيه معنى: التسليم لله والخضوع والتزويه له أن يخفى عليه شيء، وقرأ الجمهور: وضعت، فيكون من كلام الله سبحانه على جهة التعظيم لما وضعت، والتفخيم لشأنه، والتجليل لها، حيث وقع منها التحسر والتحزن، مع أن هذه الأنثى التي وضعتها سيجعلها الله وابنها آية للعالمين وعبرة للمعتبرين، ويختصها بما لم يختص به أحدا»^(١)

وقال ابن عاشور: «وقوله: والله أعلم بما وضعت جملة معترضة، وقرأ الجمهور: وضعت - بسكون التاء - فيكون الضمير راجعاً إلى امرأة عمران، وهو حينئذ من كلام الله تعالى، وليس من كلامها المحكي، والمقصود منه: أن الله أعلم منها بنفاسة ما وضعت، وأنها خير من مطلق الذكر الذي سألته، فالكلام إعلام لأهل القرآن بتعليطها، وتعليم بأن من فوض أمره إلى الله لا ينبغي أن يتعقب تدبيره، وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، ويعقوب: بضم التاء، على أنها ضمير المتكلمة امرأة عمران فتكون الجملة من كلامها المحكي، وعليه فاسم الجلالة التفات عن الخطاب إلى الغيبة، فيكون قرينة لفظية على أن الخبر مستعمل في التحسر»^(٢).

وقال بعض العلماء: « قوله ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ عدول عن الخطاب إلى الغيبة إظهاراً لغاية الإجلال»^(٣).

وأرى من خلال العرض السابق لأراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تعظيم الله سبحانه وتعالى وإظهار لغاية الإجلال، وفيه معنى: التسليم لله والخضوع والتزويه له أن يخفى عليه شيء.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُوبُهُمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(٤)

(١) فتح القدير، للشوكاني، بتصرف، ١/ ٣٨٤.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣/ ٢٣٣.

(٣) الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي، ٣/ ١٦٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية، (١١).



١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن

صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾، ومقتضى السياق أن يقال (أخذناهم)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو علو الله وعظمته وهوان لمن كذب بآيات الله وذل لهم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

وقد علل الكرمانى للعدول في الآية بعلّة لفظية فقال: « سؤال: لِمَ قال: (بِآيَاتِنَا)، ثم قال: ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ ﴾ ولم يقل: فأخذناهم؟

الجواب: لما عدل في قوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) إلى لفظ الغيبة، كذلك ها هنا، ليكون الكلام على منهاج واحد»^(١)

وذكر أبو حيان موضع العدول ولم يعلل له فقال: « فأخذهم الله بذنوبهم رجع من التكلم إلى الغيبة»^(٢)

وقال أبو السعود: «والعدول إلى التكلم، أولاً للجرى على سَنَنِ الكبرياءِ وإلى العيبة ثانياً بإظهار الجلالة لتربية المهابة وإدخال الروعة»^(٣)

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو إظهار الجلالة لتربية المهابة وإدخال الروعة.

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة الكرمانى، الناشر: دار القبله للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، بتصرف، ١/ ٢٤٤.

(٢) () البحر المحيط، أبو حيان، بتصرف، ٣/ ٣٨.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ٢/ ١١.



الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ فَيُوَفِّيهِمْ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ فَأَعَذِبْنَاهُمْ ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (فَأُوَفِّيهِمْ

أُجُورَهُمْ) ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو للإيذان بما بين مصدرى التعذيب والإثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال، وهذا ما تكشفه المناقشة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو حيان « بَدَأَ أَوَّلًا بِقِسْمِ الْكُفَّارِ، لِأَنَّ مَا قَبْلَهُ مِنْ ذِكْرِ حُكْمِهِ تَعَالَى بَيْنَهُمْ هُوَ عَلَى سَبِيلِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ لِلْكَفَّارِ، وَالْإِخْبَارِ بِجَزَائِهِمْ، فَتَنَاسَبَتِ الْبَدَاءَةُ بِهِمْ، وَلِأَنَّهُمْ أَقْرَبُ فِي الذِّكْرِ بِقَوْلِهِ: فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَكُونُ الْكَلَامُ مَعَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيسَى وَرَأَمُوا قَتْلَهُ، ثُمَّ أَتَى ثَانِيًا بِذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَّقَ هُنَاكَ الْعَذَابَ عَلَى مُجَرَّدِ الْكُفْرِ، وَهُنَا عَلَّقَ تَوْفِيَةَ الْأَجْرِ عَلَى الْإِيمَانِ وَعَمَلِ الصَّالِحَاتِ تَنْبِيْهَا عَلَى دَرَجَةِ الْكَمَالِ فِي الْإِيمَانِ، وَدُعَاءَ إِلَيْهَا» (٢)

وقال أبو السعود: «ولعل العدول إلى الغيبة للإيذان بما بين مصدرى

(١) سورة آل عمران، الآيتان، (٥٦ : ٥٧).

(٢) البحر المحيط، أبو حيان، بتصرف، ٣/ ١٨١.



التعذيب والإثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال» (١)

وقال الألويسي: «ولعل وجه العدول إلى الغيبة على القراءة الأولى الإيدان بأن توفية الأجر مما لا يقتضي لها نصيب نفس لأنها من آثار الرحمة الواسعة ولا كذلك العذاب» (٢)

وقال بعض المحدثين: «﴿فَيُؤْفِقُهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ فيه عدول من ضمير المتكلم إلى ضمير الغيبة، تنويهاً للفصاحة، ثم إلى مَرَجِعِكُمْ فيه عدول عن الغيبة إلى الخطاب» (٣)

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو، جمال الأسلوب القرآني في مخاطبة القلوب، والإيدان بما بين مصدرَي التعذيب والإثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال، وتنويهاً للفصاحة.

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ (٤)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ) بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: (نَتْلُوهَا)، ومقتضى السياق أن يقال: (وَمَا نُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

- ١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ٤٥/٢.
- ٢) روح المعاني، للألويسي، بتصرف، ١٧٧/٢.
- ٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، باختصار، ٢٣٧/٣.
- ٤) سورة آل عمران، الآية، (١٠٨).



المتأمل في الآية الكريمة، يجد أن سبب العدول هو الإشعار بعلّة الحكم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا علة العدول: «والعدول إلى الاسم الجليل إشعارا بعلّة الحكم بيان لكمال نزاهته - عز وجل - عن الظلم بما لا مزيد عليه، أي ما يريد فرداً من أفراد الظلم لفرد من أفراد العالمين في وقتٍ من الأوقات فضلاً عن أن يظلمهم، فإن المضارع كما يفيد الاستمرار في الإثبات يفيد في النفي بحسب المقام، كما أن الجملة الإسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت، وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام»^(١) وما ذهب إليه أبو السعود ذهب إليه بعض المحدثين فقال: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ العدول إلى الاسم الجليل إشعارا بعلّة الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه، أي: ما يريد فرداً من أفراد الظلم لفرد من أفراد العالمين»^(٢)

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء، أن السر في العدول في الآية الكريمة، هو الإشعار بعلّة الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم، والنفي لما وصفه به اليهود.

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

١/ موضع العدول:

- (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٩٨/٢.
- (٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي ٤ / ٢٧٣.
- (٣) سورة آل عمران، الآية، (١٥١).



جاء العدول في قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِيْكُمْ بِصِيغَةِ الْغَيْبَةِ حَيْثُ عَدَلَ عَنْ صِيغَةِ التَّكْلِمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِمَا أَشْرَكُوا﴾ وَمَقْتَضَى السِّيَاقُ أَنْ يُقَالَ: (سَيُلْقِي)، لِيُوَافِقَ مَا قَبْلَهُ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ.

٢/سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أن المقام يتطلب هذه العظمة والكبرياء والتخويف والترهيب، لأنه مقام حرب وفي الجهة الثانية هو تطمين لقلوب المؤمنين الذين هم جند الله في هذه المعركة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود موضحاً السر في العدول: «سَنُلْقِيْ بِنُونِ الْعِظْمَةِ عَلَى طَرِيقَةِ الْعَدُولِ جَرِيًّا عَلَى سَنَنِ الْكِبْرِيَاءِ لِتَرْبِيَةِ التَّعْظِيمِ وَالْمَهَابَةِ»^(١).

وقال الألويسي: «وَعَبَّرَ بِنُونِ الْعِظْمَةِ عَلَى طَرِيقِ الْعَدُولِ جَرِيًّا عَلَى سَنَنِ الْكِبْرِيَاءِ لِتَرْبِيَةِ الْمَهَابَةِ، وَالسَّيْنِ لِتَأْكِيدِ الْإِلْقَاءِ»^(٢).

وقال بعض المحدثين: «العدول في قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِيْكُمْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ حَيْثُ عَبَّرَ بِنُونِ الْعِظْمَةِ عَلَى طَرِيقِ الْعَدُولِ عَنِ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكْلِمْ، جَرِيًّا عَلَى سَنَنِ الْكِبْرِيَاءِ لِتَرْبِيَةِ الْمَهَابَةِ»^(٣).

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة، هو التشريف والتعظيم للمؤمنين لعدم شركهم بالله، وهزاً لقلوب الكافرين لكفرهم بالله.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٢/٩٨.

(٢) روح المعاني، للألويسي، ٢/٣٠٠.

(٣) الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، بتصرف، ٤/٣٣٤.



العدول عن الغيبة إلى التكلم:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾^(١).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ نَتْلُوهَا ﴾ بصيغة التكلم، حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ ﴾، ومقتضى الكلام أن يقال: (يَتْلُوهَا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول، هو التشريف وإظهار كمال العناية بالتلاوة والتمتو عليه، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالرجوع إلى كتب التفاسير وجدت أن أبي السعود قد ذكر السر في العدول فقال: «والعدول إلى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل - عليه السلام - وذلك لإبراز كمال التعظيم والتشريف العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى»^(٢).

وقال أبو حيان: «وفي: نتلوها، عدول لأن قبله ضمير غائب في قوله: هم فيها، وأضاف التلاوة إلى نفسه، وإن كان الملك هو التالي تشريفاً له، فجعل تلاوة المأمور كأنها تلاوة الأمر»^(٣).

وقال الألويسي: « وفي عدوله عن الحقيقة مع العدول إلى التكلم بنون

(١) سورة آل عمران، الآية، (١٠٨).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف واختصار، ٦٩/٢، ٧٠.

(٣) البحر المحیط، أبو حيان، بتصرف واختصار، ١٨٢/٣.

العظمة ما لا يخفى من العناية بالتلاوة والتمتو عليه، والجملية الفعلية في موضع الحال من الآيات، والعامل فيها معنى الإشارة، ويجوز أن تكون في موضع الخبر (لتلك)، وآياتٌ بدل منه، وقرئ (يتلوها) على صيغة الغيبة» (١).

والمعنى: تَلَّكُ آيَاتُ اللَّهِ الْوَارِدَةِ فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ مَلْتَبَسَةً بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ مِنْ جِزَاءِ الْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ بِمَا يَسْتَوْجِبَانِهِ، وَمَا اللَّهُ يَرِيدُ ظُلْمًا فَيَأْخُذُ أَحَدًا بِغَيْرِ جُرْمٍ، أَوْ يَزِيدُ فِي عِقَابِ مُجْرِمٍ، أَوْ ثَوَابِ مُحْسِنٍ، وَنَكَرَ ظُلْمًا وَقَالَ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ عَلَى مَعْنَى مَا يَرِيدُ شَيْئًا مِنَ الظُّلْمِ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَسَبْحَانَ مَنْ يَحْلُمُ عَمَّنْ يَصِفُهُ بِإِرَادَةِ الْقَبَائِحِ وَالرِّضَا بِهَا» (٢).

وجعل - سبحانه - تلاوة جبريل للقرآن تلاوة له فقال: ﴿تَلَّكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ وذلك للإشعار بشرف جبريل، وأنه ما خرج في تلاوته عما أمره الله به، فهو رسوله الأمين إلى رسله المكرمين، وجملية ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ في محل نصب حال من الآيات، والعامل فيها معنى الإشارة» (٣).

في ضوء ما سبق من تحليل العلماء للآية الكريمة يرى الباحث أن السر في العدول في الآية الكريمة، هو التشريف والتكريم، وإظهار كمال العناية بالتلاوة والتمتو عليه.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا﴾ (١) روح المعاني، الألوسي، بتصريف واختصار، ٢/ ٢٤٣، والجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، بتصريف، ٤/ ٢٧٢. (٢) الكشف، الزمخشري، بتصريف، ١/ ٤٠٠، وجامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن الإيجي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، بتصريف، طبعة أولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م / ١/ ٢٨١. (٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، بتصريف، ١/ ٥٧٥.



مُوجِبًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا
وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١١﴾

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ بصيغة التكم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا يَأْذَنُ اللَّهُ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (يُؤْتِهِ وَسَيَجْزِي)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الإشارة إلى علو شأن هذا المؤتي، حيث نسبه الله إلى نفسه، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالرجوع إلى كتب التفسير وجدت أن أبي السعود، قد ذكر السر في العدول فقال: «﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ بنون العظمة على طريق العدول (منها)، أي: من ثوابها ما نشاء أن نُؤْتِيَهُ إِيَّاهُ، كما في قوله عز وجل ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ وهو تعريضٌ بمن شغلته الغنائم يومئذ وقد مر تفصيله ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ أي: بعمله ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ أي: من ثوابها ما نشاء من الأضعاف حسبما جرى به الوعدُ الكريم» (١).

وقال بعض الباحثين في العدول: «هو إشارة إلى علو شأن هذا المؤتي حيث نسبه الله إلى نفسه وحضوره لتقديم هذا الكرم» (٢).

(١) سورة آل عمران، الآية، (١٤٥).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف واختصار، ٩٤/٢.

(٣) العدول في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، خديجة البناي، بتصرف واختصار، ص ٣٣٢.



والمعنى: « ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ يعني الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا ﴿ وَسَنْجَرَى الشُّكْرَيْنِ ﴾ أي الموحيدين المطيعين^(١)».

وقيل: « ﴿ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا ﴾، أي: من يرد بعمله أعراض الدنيا دون ما عند الله يعطه ما قسم الله منها يرزق أيام حياته، ولا حظ له في الآخرة، ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾، أي ما عند الله من الكرامة ﴿ وَسَنْجَرَى الشُّكْرَيْنِ ﴾ أي: سنثيب من أطاعني وقبل أمري، لأن اتباع أمر الله والعمل بطاعته من أعظم الشكر^(٢)».

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التشريف والإشارة إلى علو شأن هذا المؤتي حيث نسبة الله إلى نفسه.

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾^(٣)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، بتصريف، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة: أولى، ٢٠٠٢ م / ٣ / ١٧٩.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه وجمل من فنون علومه، لمكي بن أبي طالب حَمَوَش بن محمد بن مختار القيسي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، طبعة: أولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م / ٢ / ١١٤٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية، (١٥١).



عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَانَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾^(١)، ومقتضى السياق القرآني، أن يقال: (سئَلِي)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الإشارة إلى علو الشأن، لأن المقام يتطلب هذه العظمة والكبرياء والتخويف والترهيب لأنه مقام حرب في غزوة أحد، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير وجدت أن أبي السعود قد ذكر السر في العدول، فقال: «العدول في قوله تعالى: ﴿سئَلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بنون العظمة على طريقة العدول جرياً على سنن الكبرياء لتربية المهابة»^(٢).

وقال الألوسي: «وعبر بنون العظمة على طرق العدول جرياً على سنن الكبرياء لتربية المهابة، والسين لتأكيد الإلقاء»^(٣).

وقال بعض المحدثين: «العدول في قوله تعالى: (سئَلِي) فقد التفت من الغيبة الى التكلم للاهتمام بما يليق به تعالى في قلوبهم»^(٤).

والمعنى: ﴿سئَلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾، أي: بعظمتنا ﴿فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ أي: المقتضي لامتنال ما أمر به

(١) سورة آل عمران، الآية، (١٥٠).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ٩٨/٢.

(٣) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٣٠٠/٢، والجدول في إعراب القرآن الكريم

لمحمود بن عبد الرحيم صافي، بتصرف، ٣٣٤/٤.

(٤) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، بتصرف، ٢/

من الجرأة عليهم وعدم الوهن في أمرهم، كما افتتح القصة بالإيماء إلى ذلك بالأمر بالسير في الأرض والنظر في عاقبة المكذابين، ثم بين سبب ذلك فقال: ﴿يَمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ أي: ليعلموا قطعاً أنه لا ولي لعدوه لأنه لا كفوء له، وبين بقوله: ﴿مَالَمْ يُنَزَّلْ﴾ أي: في وقت من الأوقات ﴿بِهِ سُلْطَانًا﴾ أنه لا حجة لهم في الإشراك، وما لم ينزل به سلطاناً فلا سلطان له، ومادة سلط ترجع إلى القوة، ولما كان التقدير: فعليهم الذل في الدنيا لاتباعهم ما لا قوة به، عطف عليه: ﴿وَمَا وَبَهُمُ النَّارُ﴾ ثم هَوَّل أمرها بقوله: ﴿وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ أي: هي، وأظهر في موضع الإضمار للتعميم وتعليق الحكم بالوصف^(١).

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة، هو أن المقام يتطلب هذه العظمة والكبرياء والتخويف والترهيب، لأن المقام مقام حرب، وفي الجهة الثانية هو تطمين لقلوب المؤمنين الذين هم جند الله في هذه المعركة.

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَخَافُونَ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾^(٣)، ومقتضى السياق أن يقال: (وَخَافُوهُ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، بتصرف، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٥/ ٩١، ٩٢.

٢) سورة آل عمران، الآية، (١٧٥).

٣) سورة آل عمران الآية، (١٧٤).



المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أنه خاطبهم بالخطاب المباشر في قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ حيث المواجهة الحقيقية وهي أسمى مقاصد العدول، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير وجد أن أبا السعود قد ذكر السر في العدول فقال: «﴿وَخَافُونَ﴾ في مخالفة أمري، والمفعول الثاني محذوف أي: الشيطان يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير البارز في ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ للناس، الثاني أي فلا تخافوهم فتعدوا عن القتال وتجنبوا، وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به، والخطاب لفرقي الخارجين والقاعدين، والغاء لترتيب النهي أو الانتهاء على ما قبلها، ففي كون المخوف شيطاناً مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه، (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) وذلك لأنَّ الإيمَانَ يقتضي إثارة خوفِ الله تعالى على خوف غيره، ويستدعي الأمان من شر الشيطان وأوليائه» (١).

والخطاب في الآية للمؤمنين الأقوياء، أي أن الإرهاب والإفزع يكون لأولياء الشيطان، فهو يخوف أوليائه ونصرائه بهذا التخويف وذلك الإفزع، لأن أولئك لا يهمهم إلا الحياة الدنيا، ودائرة سلطان الشيطان عليهم في أن يحملهم على ألا يؤمنوا بالحياة الأخرى، وما دامت الدنيا همهم اللازم فإنه لا يهمهم إلا الفوز الحاضر، ومن هنا يجد الشيطان موضع ثقته ووسوسته، فأولياء الشيطان إذا كانوا قد خُوفوا المؤمنين بالكثرة والعدد والهزيمة القريبة، فذلك هو منطقتهم ومنطق الشيطان، أما المؤمنون فهم أولياء الله ولا يعتمدون إلا عليه، ولهم إحدى الحسنين إما النصر العاجل» (٢).

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ٢/ ١١٥.

(٢) زهرة التفسير، أبو زهرة، بتصرف واختصار، ٣/ ١٥١٣.



التخويف والترهيب، وذلك بإيثار خوفِ الله تعالى على خوف غيره، حيث أن الله خاطبهم بالخطاب المباشر في قوله: (فَلَا تَخَافُوهُمْ) حيث المواجهة الحقيقية وهي أسمى مقاصد العدول.

الموضع الخامس: قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَهُمْ وَعَدَابُ مُهِينٌ﴾^(١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا نُمَلِّ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوَاللَّهَ شَيْئًا﴾^(٢)، ومقتضى السياق أن يقال: (أَنَّمَا يُمَلِّي)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الدلالة على شدة الانتقام، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال بعض المفسرين موجهاً للآية الكريمة: «من تمام المكر بهم، والمبالغة في عقوبتهم أننا نعدبهم وهم لا يشعرون، نستدرجهم من حيث لا يعلمون نملئ لهم فيظنون ذلك إنعاماً، ولا يحسبونه انتقاماً، فإذا برزت لهم كوامن التقدير عند مغاراتها علموا أنهم لفي خسران، وقد اتضح لكل ذي بصيرة أن ما يكون سبب العصيان وموجب النسيان غير معدود من جملة الإنعام»^(٣)

(١) سورة آل عمران، الآية، (١٧٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية، (١٧٧).

(٣) لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم النسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، بتصرف، طبعة: ثالثة، ٢٩٩ / ١



وقال أبو السعود: « إِنَّمَا نُعَلِّي لَهُمْ لِيَزِدُوا إِثْمًا ﴾ (إِنَّ) استئنافاً مبيناً لحكمة الإملاء (وما) كافة (واللام) لامُ الإرادة، وعند المعتزلة (لامُ) العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على إيقاع الفعل عليه وكسرُها فيما سبق على أنه اعتراضٌ بين الفعل ومعموله مفيدٌ لمزيد الاعتناء بإبطال الحسبان، وردّه على معنى لا يحسبن الكافرون أن إملأنا لهم لازدياد الإثم، حسبما هو شأنهم بل إنما هو لتلافي ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الإيمان»^(١).

وقال بعض الباحثين المعاصرين مبينا السر في العدول فقال: « أما نملي ففيها زيادة توعّد وتهديد، تفسرها هذه المواجهة الشديدة الدالة على شدة غضبه - سبحانه - على هؤلاء الأَشقياء، وتأكيدُه على التتكيل بهم»^(٢).

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الدلالة على شدة الانتقام والتهديد والوعيد، فلفظة نُعَلِّي فيها زيادة توعّد وتهديد تفسرها هذه المواجهة الشديدة الدالة على شدة غضبه.

الموضع السادس: قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنزِلُ بِعَضِّكُمْ مِنْ بَعْضِ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي وَفَتَلُوا وَفَتَلُوا لِأَكْفُرْنَ عَنْهُمْ سَعَاتِهِمْ وَلَا ذُخْلَنَهُمْ جَنَّتِ بَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ التَّوَابِ ﴾^(٣).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ أَنِّي لَا أُضِيعُ ﴾ بصيغة التكلم حيث

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٢/ ١١٨.

(٢) العدول في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، خديجة البناي، بتصرف، ص ٣٣٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية، (١٩٥).

عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿رَبُّهُمْ﴾^(١) ومقتضى السياق أن يقال: (لا يضيع) وذلك ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التأكيد على ضمان حق هؤلاء الأبرار وأنه لا يضيع عند الله، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير وجدت أن أبي السعود قد ذكر السر في العدول فقال: «والعدول إلى التكلم والخطاب إنما جاء هنا لإظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب، والمراد تأكيدها ببيان سببها والإشعار بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا لمجرد الدعاء فقط، وتعميم الوعد لسائر العاملين وإن لم يبلغوا درجة أولي الألباب إنما لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة، والتعبير عن ترك الإثابة بالإضاعة مع أنه ليس بإضاعة حقيقية إذ الأعمال غير موجبة للشواب حتى يلزم من تخلفه»^(٢).

وقال الألويسي: «وجعل التكلم في أي والخطاب في منكم من باب العدول، والنكتة الخاصة فيه إظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والتعرض لبيان السبب لتأكيد الاستجابة، والإشعار بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء»^(٣).

وقوله: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ﴾ والجمهور على ﴿لَا أُضِيعُ﴾ من أضع، وقرئ بالتشديد والتضعيف^(٤)، وقوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا

(١) سورة آل عمران، الآية، (١٧٧).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٢/ ١٣٣.

(٣) روح المعاني، للألويسي، ٢/ ٣٧٨، و الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي ٤/ ٤٢٢.

(٤) الباب في علوم الكتاب لعمر بن علي بن عادل الحنبلي ٦/ ١٢٤.



أُضِيعُ يعني أجاب دعاءهم وأعطاهم ما سألوه أَنِّي أي وقال لهم أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلًا عَامِلٍ مِنْكُمْ يعني لا أحبط عملكم أيها المؤمنون بل أثيبكم عليه مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى يعني لا أضيع عمل عامل منكم ذكرا كان أو أنثى^(١).

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو إظهار كمال الاعتناء بشأن استجابة الله لمن دعوه، وتشريف الداعين بشرف الخطاب والتعرض لبيان السبب لتأكيد الاستجابة، والإشعار بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء فقط.

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ / ١ / ٣٣٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ص ١٦٢.



المبحث الرابع سورة النساء

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَيَّ أَدْبَارَهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله ﴿نَلْعَنَهُمْ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، ومقتضى السياق أن يقال: (نَلْعَنَكُمْ) تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو التأنيس، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير وجدت أن من المفسرين من أشار إلى موضع العدول وإلى ما يشبهه في القرآن الكريم من دون التوغل في غايته أو حتى الإشارة إليها وفي مقدمة هؤلاء الإمام الطبري حيث قال: «يعني بقوله جل ثناؤه» ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ أي نلعنكم فنخزيكم ونجعلكم قردة ﴿كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ يقول كما أخزينا الذين اعتدوا في السبت من أسلافكم، قيل ذلك على وجه الخطاب في قوله: (ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ) كما قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَبَئَةٍ وَفَرِحُوا﴾

(١) سورة النساء، الآية، (٤٧).

بِهَا ﴿١﴾، وقد يحتمل ان يكون معناه: من قبل أن نطمس وجوهاً فردها على أديارها أو نلعن أصحاب الوجوه، فجعل الهاء والميم في قوله: ﴿أَوْلَعْنَهُمْ﴾ من ذكر أصحاب الوجوه إذ كان في الكلام دلالة على ذلك» ﴿٢﴾.

وإلى مثل هذا أشار الزمخشري بقوله: «فان قلت: لمن الراجع في قوله: ﴿أَوْلَعْنَهُمْ﴾؟ قلت: للوجوه إن أريد الوجهاء، أو لأصحاب الوجوه لأن المعنى: من قبل أن نطمس وجوه قوم، أو يرجع إلى ﴿أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ على طريقة العدول» ﴿٣﴾.

وقد بين أبو حيان السر في العدول فقال: «قال: والضمير المنصوب في ﴿أَوْلَعْنَهُمْ﴾ قيل: عائد على الوجوه وذلك إن أريد به الوجهاء، أو عائد على أصحاب الوجوه، لأن المعنى: من قبل ان نطمس وجوه قوم، أو على الذين أوتوا الكتاب على طريق العدول، وهذا عندي أحسن، ومحسن هذا العدول هو أنه تعالى لما ناداهم كان ذلك تشريراً لهم، وفي هزّ السماع ما يلقيه إليهم، ثم ألقى إليهم الأمر بالإيمان بما نزل، ثم ذكر أن الذي نزل هو مصدق لما معهم من كتابهم، فكان ذلك أدعى إلى الإيمان، ثم ذكر هذا الوعيد البالغ فحذف المضاف إليه من قوله: من قبل أن نطمس وجوهاً، والمراد: وجوهكم، ثم عطف عليه قوله: ﴿أَوْلَعْنَهُمْ﴾ فأتى بضمير الغيبة، لأن الخطاب حين كان الوعيد بطمس الوجوه وباللعنة ليس لهم، ليبقي التأنيس والهلم والاستدعاء إلى الايمان غير مشوب بمفاجأة الخطاب الذي يوحش السامع ويروع القلب ويصير أدعى إلى عدم القبول، وهذا من جليل المخاطبة وبديع المحاورة» ﴿٤﴾.

(١) سورة يونس، الآية، (٢٢).

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، بتصرف، ٥/٢٤٠ ومدارك التنزيل، النسفي، ١/٢٢٦.

(٣) الكشاف، الزمخشري، بتصرف، ١/٥٣١، وأنوار التنزيل، البيضاوي، بتصرف، ٢/١٩٩.

(٤) البحر المحيط، أبو حيان، بتصرف، ٣/٦٦٥.



وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو، الأانس بالقرب من الله لعباده المؤمنين، وإذهاب تلك الوحشة المتوقعة في نفوس المدعوين.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (١).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿ جَاءُوكَ ﴾، ومقتضى سياق الآية أن يقال: وَأَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ وذلك تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الترخيم لشأن الرسول والتعظيم لاستغفاره، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبيناً سر العدول: «والعدول إنما جاء تخميماً لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً لاستغفاره وتبنيهاً على أن شفاعته إنما هي في حيز القبول» (٢).

وفي الكشاف: «وفي هذا النوع من العدول خصوصية، وهي اشتماله على ذكر صفة مناسبة لما أضيف إليه، وذلك زائد على العدول بذكر الأعلام الجامدة» (٣).

(١) سورة النساء، الآية، (٦٤).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ١٩٧/٢.

(٣) الكشاف للزمخشري ١٠٠/٢، وتتوع صور العدول في القرآن، إسماعيل عبد



وقال الألوسي: «وفي التعبير - باستغفر - دون استغفرت، إنما هو لتفخيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث عدل عن خطابه إلى ما هو من عظيم صفاته على طريق حكم الأمير بكذا مكان حكمت وتعظيم لاستغفاره عليه الصلاة والسلام حيث أسنده إلى لفظ مبنىء عن علو مرتبته»^(١).

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تعظيم وتشريف شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبول استغفاره لمن استغفر له الرسول.

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿إِلَى الرَّسُولِ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿تَقُولُ، فَأَعْرَضَ، وَتَوَكَّلْ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٣)، ومقتضى السياق أن يقال: وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَيْكَ - تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول، تعظيم حق النبي على أمته، وهو أن من دواعي الرد لكونه رسولا وأن من أحق

القادر، بتصرف، ١٥١.

(١) روح المعاني، الألوسي، بتصرف، ٦٨/٣.

(٢) سورة النساء، الآية، (٨٣).

(٣) سورة النساء، الآية، (٨١).



حقوقه أن ترد إليه كافة الأمور، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣ / آراء العلماء:

قال أبو السعود: «والعدول هنا أنه لما بين أنه رسول وأن عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة إلى رأيه صلى الله عليه وسلم، وإلى أولي الأمر منهم وهم كبار الصحابة البصراء في الأمور - رضي الله تعالى عنهم -»^(١).

وأشار الألوسي إلى مثل هذا حين قال: «والتعبير بالرسالة لأجل أنها من موجبات الرد والتحاكم إليه»^(٢).

والمعنى: ولو ردوا الأمر الذي بلغهم إلى الرسول وأولي الأمر وهم - الخلفاء الأربعة ومن يجري على سننهم - لكان هذا دليل تصديقهم له ورسالته، وقيل: لو أمسكوا عن الخوض فيما بلغهم، واستقصوا الأمر من الرسول وأولي الأمر، لعلم حقيقة ذلك الأمر الوارد من له بحث ونظر وتجربة، فأخبروهم بحقيقة ذلك، وأن الأمر ليس جارياً على أول خبر يطرأ.

وقيل: هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال واستبطان الأمور، كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل أذاعوا به، وكانت إذاعتهم لهذا الأمر مفسدة، ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله، وإلى أولي الأمر منهم وهم: كبار الصحابة البصراء بالأمور، أو الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه، لعلم تدبير ما أخبروا به الذين يستتبطونه، أي الذين يستخرجون تدبيره بظنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها، وقيل: كانوا يققون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء، أو على (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ٢/٢٠٨. (٢) روح المعاني، الألوسي، ٣/٩١.



خوف واستشعار، فيذيعونه فينتشر، فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم له مفسدة، ولو رده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر وفوضوه إليهم، وكانوا كأن لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه، وما يأتون ويدرون فيه» (١).

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تعظيم حق الرسول على أمته، وأن من دواعي الرد إليه إنما هو لكونه رسولاً، وأن من أحق حقوقه أن تُرد إليه كافة الأمور.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيحُهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝﴾ (٢)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا﴾ ومقتضى السياق أن يقال: (إننا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أن هذا المقام هو من الغيبات التي لا يعلم كنهها إلا الله وحده وهو المجازي عليها وحده - سبحانه -، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الطبري في حديثه عن الآية: « يعني بذلك جل ثناؤه: فاتوا الذين

(١) البحر المحیط، أبو حیان، بتصرف، ٣ / ٧٢٧.

(٢) سورة النساء، الآية، (٣٣).



عقدت أيمانكم نصيبهم من النصرة والنصيحة والرأي، فإن الله شاهد على ما تفعلون من ذلك، وعلى غيره من أفعالكم، مُراعٍ لكل ذلك، حافظٌ، حتى يجازي جميعكم على جميع ذلك جزاءه، أما المحسن منكم المتبع أمري وطاعتي فبالحسنى، وأما المسيء منكم المخالف أمري ونهيه فبالسوء»^(١).

وقال بعض الباحثين: « وفي هذا تهديد ووعيد للعاصي ووعد وتحفيز للمطيع»^(٢) وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التهديد والوعيد للعاصي لأوامر الله، ووعد بالثواب الجزيل وتحفيز للمطيع لأوامره - سبحانه-، كما أن هذا المقام هو من الغيبيات التي لا يعلم كنهها الا الله وحده وهو المجازي عليها وحده سبحانه.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ سَأَلْنَا بِهِمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾^(٣).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَعَصُوا الرَّسُولَ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ من قوله تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٤)، ومقتضى السياق أن يقال: (وعصوك)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أن ذكر الرسول بعنوان الرسالة تشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

- ١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٨٩/٨.
- ٢) العدول في القرآن الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناني، ٢٢٣.
- ٣) سورة النساء، الآية، (٤٢).
- ٤) سورة النساء، الآية، (٤١).



٣/ آراء العلماء:

أورد أبو حيان رأياً ذكر فيه أن لفظ ﴿الرَّسُولُ﴾ يحتمل أن يكون اسم جنس، وعلى هذا فيكون العدول في الآية الكريمة، التعظيم وعلو الشأن، ورفعة المنزلة، وذلك لما في ذكر الرسول من الشرف التقدير، والتتويه بالرسالة التي هي أشرف ما تحملها الإنسان من الله تعالى إذ هي سبب السعادة الدنيوية والأخروية»^(١).

وجعل (الرسول) هو نبينا محمداً أولى، لأنَّ السياق دالٌّ عليه بكاف الخطاب ويكفينا دليلاً على أن المقصود بـ (الرسول) هو نبينا الكريم ما أخرجه البخاري، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «اقرأ عليّ»، قلت: يا رسول الله، اقرأ عليك، وعليك أنزل، قال: «نعم» فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال: «حسبك الآن» فالتفتُ إليه، فإذا عيناه تذرْفان «^(٢)».

وقال أبو السعود مبيناً السر في العدول: «وإيراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه، فإن حق الرسول أن يؤمن به ويُطاع لا أن يُكفر به ويُعصى»^(٣).

ويرى الباحث من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تشريف الرسول بإرساله برسالته الخاتمة، وكتابه المهيم على ما سبقه من الكتب، لهذا ذكر الرسول بعنوان الرسالة، وفيه زيادة تقبيح حال مكذبيه من قومه.

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكُنْتُمْ ءَأَمْنُوا بِمَا نَزَّلْنَا

(١) البحر المحيط، أبو حيان، بتصرف، ٦٤٥/٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قول المقرئ للقارئ حسبك، ح، رقم (٥٠٥٠). ١٩٦/٦.

(٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، بتصرف، ١٧٨/٢، روح المعاني، الألوسي، بتصرف، ٣٤/١٠.

مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿١١١﴾.

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿نَلْعَنَهُمْ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (وكان أمرنا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تعليل الحكم وتربية المهابة عند السامع، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

ووضح بعض المفسرين عود ضمير الغائب فقال: «وضمير الغائب راجع إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة العدول، فلما لعنهم الله ذكرهم بعبارة الغيبة وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ بإيقاع شيء ما مفعولا نافذاً، وهذا إخبار عن جريان عادة الله في الأنبياء المتقدمين أنه تعالى متى أخبرهم بإنزال العذاب على الكفار فعل ذلك لا محالة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي: لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وإيمان، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾، أي: الشرك في القبح من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة من غير توبة»^(١).

وقال بعض العلماء: «ويرمي هذا العدول من الخطاب إلى الغيبة إلى التهديد العظيم وإيقاع الوعيد بهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ النبتة، لا يحول دونه حائل ولا يردّه راد»^(٢).

(١) سورة النساء، الآية، (٤٧).

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي، بتصرف، تحقيق: محمد أمين الصناوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ، ١/ ٢٠١.

(٣) بيان المعاني، لعبد القادر بن ملاً، بتصرف، الناشر: مطبعة الترقّي، دمشق،



وأرى من خلال العرض السابق لأراء العلماء في تعليلهم للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة، هو التهديد العظيم وإيقاع الوعيد بهم، لتربية المهابة وتعليل الحكم، وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال.

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (بنا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الإشارة إلى عظم مهمة الرسالة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفسير عن سر العدول وجد أن أبا السعود قد ذكر السر في العدول كعادته في توضيح المعنى فقال: «والعدول هنا إنما جيء به لمزيد الاعتناء به، والاهتمام برّد مقالتهم الباطلة، والإيذان بأن مضمونه مبنيٌّ على حكمة دقيقة حقيقية بأن سيتولى بيانها علام الغيوب» (٢)

وأرى أن السر في العدول في الآية الكريمة، هو مزيد الاعتناء به والاهتمام برّد مقالتهم الباطلة التي قالوها في حق النبي.

الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م. ٥ / ٥٦٢.

(١) سورة النساء، الآية، (٧٩).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصريف واختصار، ٢٠٦/٢.



الموضع الخامس: قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ
وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (١).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: (وَكَلَّمَ اللَّهُ) بصيغة الغيبة حيث عدل
عن صيغة التكلم في قوله تعالى: (قَصَصْنَاهُمْ، لَمْ نَقْصُصْهُمْ) (ومقتضى
الظاهر أن يقال: (وكلمنا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التشريف لموسى
عليه السلام، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود موضحاً السر في العدول: «والعدول هنا ينبئ عنه
تغييرُ الأسلوب، والمعنى: أن التكليمَ بغير واسطةٍ منتهى مراتبِ
الوحي، حُصَّ به موسى من بين جميع الأنبياء - عليهم السلام - فلم
يكن ذلك قادحاً في نبوة سائر الأنبياء عليهم السلام فكيف يُتوهم كونُ
نزول التوراة عليه - عليه السلام - جملةً، قادحاً في صحة نبوة من
أنزل عليه الكتابُ مفصلاً مع ظهور أن نزولها كذلك» (٢).

والى مثل هذا ذهب الألوسي فقال: «والعدول هنا ينبئ عن معنى
هام، إذ أن التكليم بغير واسطة يعتبر هو أثبت مراتب الوحي وأعلاها،
وقد حُصَّ به موسى من بين الأنبياء الذين اعترفتهم بنبوتهم أيها
اليهود، لكن هذا لا يقدر في غيره من الأنبياء أصلاً، فكيف يتوهم أن
نزول التوراة عليه جملة قادح في نبوة من أنزل عليه الكتاب مفصلاً
مع ظهور حكمة ذلك كثيراً» (٣).

(١) سورة النساء، الآية، ١٦٤.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ٢/ ٢٥٦.

(٣) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٣/ ١٩٣.



وقال ابن عاشور: « غير الأسلوب فعدل عن العطف إلى ذكر فعل آخر، لأن لهذا النوع من الوحي مزيد أهمية، وهو مع تلك المزية ليس إنزال كتاب من السماء، فإذا لم تكن عبرة إلا بإنزال كتاب من السماء حسب اقتراحهم، فقد بطل أيضا ما عدا الكلمات العشر المنزلة في الألواح على موسى - عليه السلام -»^(١).

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التشريف لموسى (عليه السلام) فهو من الأمور المتناهية في جلالها وجمالها وعظمتها وأسلوب الغيبة جعلها قصة تروى عبر الأجيال وللإشارة إلى ما بين الإيحاء والتكليم من التفاوت ولذلك أكد بالمصدر فقال تكليما.

العدول عن الغيبة إلى التكلم:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾^(٢).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (آتيناهم)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو إظهار كمال العناية بالأمر، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالرجوع إلى كتب التفسير وجدت أن أبي السعود قد ذكر السر

(١) انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور، باختصار، ٦ / ٣٥.

(٢) سورة النساء، الآية، (٥٤).



في العدول فقال: « وإجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق العدول لإظهار كمال العناية بالأمر»^(١). والمعنى: ﴿ أَمْرٍ مَّحْسُودٍ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ قال ابن عباس: حسدوا النبي صلى الله عليه وسلم على النبوة، وحسدوا أصحابه على الإيمان، والمقصود: بل يحسدون النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والمؤمنين على النبوة التي فضل الله بها محمداً، وشرف بها العرب، ويحسدون المؤمنين على ازدياد العز والتمكين؟ ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾، أي: فقد أعطينا أسلافكم من ذرية إبراهيم النبوة وأنزلنا عليهم الكتب وأعطيناهم الملك العظيم مع النبوة كداود وسليمان، فلا شيء تخصون محمداً - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليهم؟^(٢).

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو إظهار كمال العناية بالأمر، ودلالة على عظم مكانة الأنبياء عند ربهم جل في علاه.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٣).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ نُؤْتِيهِ ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله: ﴿ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: ﴿ نُؤْتِيهِ ﴾، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، بتصرف، ١٩٠/٢، روح المعاني، للأوسى، بتصرف، ٥٦/٣، فتح البيان في مقاصد القرآن، للجنوجي، ١٥٠/٣.
(٢) صفوة التفسير، محمد علي الصابوني، ٢٥٨.
(٣) سورة النساء، الآية، (٧٤).

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو، مزيد الاعتناء بهذا الأجر إذ لا يعلم قدره إلا الله، فلا ريب أن عطاء العظيم عظيم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا السر في العدول: «وتعقيب القتال بأحد الأمرين للإشعار بأن المجاهد حقه أن يوطن نفسه بإحدى الحسنين ولا يُخَطَّر بباله القسم الثالث أصلاً، وتقديم القتل للإيدان بتقدمه في استتباع الأجر»^(١).

وقال بعض المفسرين: «وفي العدول مزيد من التعظيم والتبجيل، حتى أنه يكاد لا يعلم أحد كمية وكيفية الأجر من الله للمجاهد، وفي تعقيب القتال بما ذكر تنبيه على أن المجاهد، ينبغي أن يكون همه أحد الأمرين، إما إكرام نفسه بالقتل والشهادة، أو إعزاز الدين وإعلاء كلمة الله تعالى بالنصر، ولا يُحَدِّث نفسه بالهرب بوجهه، ولذا لم يقل: فيغلب، أو يُغلب، بل قدم القتل على الغلبة والنصر، وتقديم القتل للإيدان بتقدمه في استتباع الأجر، وفي الآية تكذيب للمبطل «سوف» هنا لتأكيد نيل الجزاء في المستقبل، وأكثر استعمالاتها في القرآن هي لتأكيد الوقوع في القابل، ولذا لا تدخل على النفي، وقد وصف الجزاء بالعظم للدلالة على مقداره، ونكر للدلالة على أنه لا يحده تعيين، ولا يبينه تعريف، مهما يكن دقيقاً»^(٢).

والتعبير بسوف في قوله فسوف نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا لتأكيد الحصول على الأجر العظيم في المستقبل^(٣).

(١) إرشاد العقل السليم، أبي السعود، بتصرف واختصار، ٢٠١/٢.

(٢) زهرة التفاسير، أبي زهرة، بتصرف، ٤/ ١٧٦١.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ٣/ ٢١٨.



والمعني: حثهم على ترك ما حكي عنهم. (وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) وعد له الأجر العظيم غَلِبَ أَوْ غُلِبَ، ترغيباً في القتال، وتكذيباً لقولهم قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا، وإنما قال فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبُ، تنبيهاً على أن المجاهد ينبغي أن يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة، أو الدين بالظفر والغلبة، وأن لا يكون قصده بالذات إلى القتل، بل إلى إعلاء الحق وإعزاز الدين»^(١).

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو مزيد الاعتناء والاهتمام بهذا الأجر، إذ لا يعلم مقدار أجر المجاهد في سبيل الله، إلا الله فلا ريب أن عطاء العظيم عظيم.

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكُمْ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾^(٢)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: (وَأَرْسَلْنَاكَ) بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (وَأَرْسَلْنَاكَ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو إشارة إلى عظم مهمة الرسالة فلما كانت الرسالة عظيمة ناسبها ضمير العظمة وهو تشريف للرسول وللرسالة معا فمن حق الرسول أن يطاع ولا ينسب إليه سوء ولتربية المهابة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

- ١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، بتصرف، ٢/ ٨٤.
- ٢) سورة النساء، الآية، (٧٩).



قال أبو السعود مبينا السر في العدول: «ثم سَوَّقُ البيانِ من جهته عزَّ وجلَّ بطريقِ تلويينِ الخطابِ وتوجيهه إلى كلِّ واحدٍ من الناسِ والعدولِ لمزيدِ الاعتناءِ به والاهتمامِ برَدِّ مقاتلتهم الباطلةِ والإيذانِ بأن مضمونه مبنِيٌّ على حكمةٍ دقيقةٍ حقيقيةٍ بأن يتولى بيانها علامُ الغيوبِ وتوجيهُ الخطابِ إلى كل واحدٍ منهم دون كلِّهم»^(١).

وفى هذه الآياتِ يبين سبحانه أن ما يصيبك من أمرٍ يحسن عندك، فإنه بفضلِ الله تعالى؛ إذ وفقك إلى سببه، وجعل السببَ منتهيا بالنتيجة وما أصابك من أمرٍ يسوؤك فبسببك وعمل منك، وأن الرسولَ لا يحمل أوزارك، وأن طاعته واجبة في المنشط والمكروه، وأن الذين يظهرون الطاعة بألسنتهم أمامه، ويبيتون العصيان من ورائه، الله بهم عليهم^(٢).

وأرى في ضوء ما سبق، من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو: مزيد الاهتمام بالنبي صلى الله عليه وسلم وتشريفه بإسناد الإرسال إلى الله سبحانه وتعالى في قوله (أرسلناك) لتعظيم مكانته عند المرسل سبحانه.

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ فَدَجَاءَ كُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾^(٣).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا) بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (وأنزل)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٢٠٦/٢.

(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ١٧٧٥/٤.

(٣) سورة النساء آية ١٧٤.



٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أن إسناد إنزاله إليه تعالى بطريق العدول لكمال تشريفه قاله مولانا شيخ الإسلام، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا السر في العدول: « وإسنادُ إنزاله إليه تعالى بطريق العدول لكمال تشريفه هذا على تقدير كون البرهان عبارةً عن القرآن العظيم »⁽¹⁾

وقال الألوسي: « وإسناد إنزاله إليه تعالى بطريق العدول لكمال تشريفه »⁽²⁾.

والخطاب عام لأهل العقول من الناس أجمعين كافرهم وملحدتهم، ومشرکہم ويهودهم ونصاراهم والمؤمنين بالله ورسله، وما أنزل على رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم. والبرهان الذي جاء رب العالمين الناس به هو النبي، وقيل إنه القرآن، وقيل إنه القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم⁽³⁾

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التشريف والتعظيم للمنزل عليه، والمرسل إليهم.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ٢/٢٦٣.

(٢) روح المعاني للألوسي ٣/٢١٦.

(٣) زهرة التفاسير أبو زهرة ٤/١٩٨٩.



المبحث الخامس سورة المائدة

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

الموضع: قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١١).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا - تمشياً مع سابقة.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو والإشعار بالغلبة والإفادة لعموم وصف الإيمان وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو حيان مبينا السر في العدول: «وجاء الأمر بالتقوى أمر مواجهة مناسباً لقوله اذكروا. وجاء الأمر بالتوكل أمر غائب لأجل الفاصلة، وإشعاراً بالغلبة، وإفادة لعموم وصف الإيمان، أي: لأجل تصديقه بالله ورسوله يؤمر بالتوكل كل مؤمن، ولابتداء الآية بمؤمنين (١) سورة المائدة، الآية، (١١).



على جهة الاختصاص وختمها بمؤمنين على جهة التقريب»^(١).

والمعنى العام للآية: أيها المؤمنون، اذكروا نعم الله الكثيرة عليكم، بعد التزام التقوى، ومن أعظم تلك النعم أن الله تعالى حمى نبيكم من فتك الأعداء، وصانكم من القتل حيث كنتم قلة، وأعداؤكم كثرة وقوة، فمدوا إليكم وإلى نبيكم أيديهم وألسنتهم بالسوء، ولكن الله أيّد رسوله ونصر دينه وأتم نوره، وكفاكم الشر والعدوان في أمر بني النضير وفي هزيمة الأحزاب في غزوة الخندق وغيرها، فاتخذوا من تقوى الله وحده عدة وحصنا، تتفعم وتحميكم من الفتن والشرور وعذاب الله، وتوكلوا على الله وحده حق التوكل، بعد اتخاذ الأسباب الدنيوية الواقية من السوء، فمن اتقى الله وتوكل عليه، حماه من شر الناس وعصمه، وكفاه الله ما أهمه، ولا تخشوا الأعداء ولا يغرركم كيدهم وتفننهم في أساليب الخراب والدمار، فالله معكم وناصركم إن كنتم مؤمنين^(٢).

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإشعار بالغلبة لله ومن آمن به وأطاعه، وقهر الكافرين المكذابين لرسوله.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٣).

(١) البحر المحيط، لأبي حيان، ١٩٨/٤.

(٢) التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، بتصرف، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ، ١/٤٣٩.

(٣) سورة المائدة، الآية، (١٢).



١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (وقلنا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تربية المهابة وتأكيد على الوعد، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبيناً السر في هذا العدول: «العدول مع ما فيه من تربية المهابة وتأكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد»^(١).

ووضح الألويسي السر في العدول فقال: «ما فيه من تربية المهابة وتأكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد إتي معكم أسمع كلامكم وأرى أعمالكم وأعلم ضمائرکم فأجازيكم بذلك، وقيل: معكم بالنصرة، وقيل: بالعلم، والتعميم أولى»^(٢).

والمعنى: لئن داومت على إقامة الصلاة، وعلى أدائها على الوجه الأكمل بخضوع وخشوع، وأعطيتم الزكاة لمستحقيها وأمنتكم برُسُلِي إيماناً كاملاً، ونصرتموهم مع تعظيمهم وطاعتهم وأفرضتم الله قرضاً حسناً بأن أنفقتم جانباً من أموالكم في وجوه الخير والبر، لئن فعلتم ذلك لأكفرن عنكم سيئاتكم بأن أغفرها لكم، ولأدخلنكم في الآخرة جنات تجري من تحت أشجارها ويساتينها الأنهار فأنت ترى أن الله تعالى قد كلف بنى إسرائيل بخمسة أمور نافعة ووعدهم على أدائها بتكفير سيئاتهم في الدنيا، وبإدخالهم جناته في الآخرة»^(٣).

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ١٥/٣.

(٢) روح المعاني، للألويسي، بتصرف ٣/ ٢٦٠.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، ٨٠/٤.

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء في تعليلهم للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تربية المهابة وتأكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيءُ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿أَخَذْنَا، فَأَغْرَيْنَا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (ننبئهم)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول في الآية الكريمة المباركة هو تربية المهابة وإدخال الروعة لتشديد الوعيد، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول: «والعدول إلى ذكر الاسم الجديد لتربية المهابة وإدخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للإيدان برسوخهم في ذلك وعن المجازاة بالتنبئة للتنبيه على أنهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الاعمال الشئبة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها في إفادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الإخبار بها» (٢).

ووضح الألويسي السر في العدول في الآية الكريمة فقال: «والعدول

(١) سورة المائدة، الآية، (١٤).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ١٧/٣.



إلى ذكر الاسم الجليل لما مرّ مرارا، والتعبير عن العمل بالصنع للإيذان برسوخهم فيه وَسَوْفَ لتأكيد الوعيد» (١).

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تشديد الوعيد على الكافرين وبيان فساد عقيدتهم، والتعبير عن العمل بالصنع للإيذان برسوخهم في ذلك.

العدول عن الغيبة إلى التكلم.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: ﴿وَبَعَثْتُ﴾، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الجري على سنن الكبرياء، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا السر في العدول: «ولعدول في قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ للجري على سنن الكبرياء أو لأن البعث كان بواسطة موسى عليه السلام» (٣).

(١) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٣/ ٢٦٨.

(٢) سورة المائدة، الآية، (١٢).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ٣/ ١٤.



وقال الألوسي: «والعدول في قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ للجرى على سنن الكبرياء، وتقديم المفعول الغير الصريح على الصريح لما مر غير مرة من الاهتمام والتشويق» (١).

والمعنى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لما ذكر الله تعالى بعض غدر قوم محمد ومحمد ونقضهم عهده اردف بذكر غدر قوم موسى وموسى ونكثهم ميثاقه تسلية له - صلى الله عليهما وسلم - فقال: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ رئيسا وعميدا وزعيما ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أنصركم وأعينكم وأحفظكم من كل سوء يراد بكم ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ الحاضرين معكم موسى وهرون ومن قبلهم ﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾ ووقرتموهم وعظمتموهم ونصرتموهم على أعدائي ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهُ قَرْضًا﴾ بأن تعطوا قسما من أموالكم للفقراء عن طيب نفس بلا من ولا أذى، فإذا قمتم بهذه الأمور الخمسة المذكورة في هذه الآية المؤذنة بالقسم وعزتي وجلالي ﴿لَأُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ولأدخلنكم جنتي تجري من تحتها الأنهار ﴿جزاء قيامكم بها هذا هو جواب القسم العظيم ثم فرغ عنه بقوله ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ العهد ﴿مِنْكُمْ﴾ ونقضه ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ واستحق العقاب المرتب على ذلك (٢).

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء لآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو سعة مغفرة الله لعباده المؤمنين، بإيمانهم بالله ورسله وتعظيمهم وتوقيرهم، لأنهم رسل الله.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ (٣).

(١) روح المعاني، للألوسي، ٣/ ٢٥٨، الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي، ٦/ ٢٩٨.

(٢) بيان المعاني، لعبد القادر بن ملاً حويش، الناشر: مطبعة الترقى - دمشق الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م/ ٦، ٣٠٦، ٣٠٧.

(٣) سورة المائدة، الآية، (٩٢).



١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿رَسُولَنَا﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة

الغيبية في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: ﴿رَسُولَهُ﴾، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تشريف وتعظيم لأمر رسول الله وحجة على من عاداه وعصاه، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا السر في العدول: «إظهارُ الرسولِ مضافاً إلى نونِ العظمةِ في مقامِ إضمارِهِ لتشريفِهِ (عليهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) والإشعارُ بمدارِ الحكمِ الذي هُوَ كَوْنُ وظيفتِهِ (عليهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) محضُ البلاغِ ولزيادةِ تشنيعِ التَّوَلَّى عَنْهُ»^(١)

وفي إضافة الرسول إليه في قوله: ﴿عَلَى رَسُولِنَا﴾. تشريف للرسول وتوكيد لإقراره سبحانه، وبيان أن الرسول ما ينطق إلا عنه، وأن عصيانه عصيان لله تعالى، وفي التعبير بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا﴾. تنبيه بصيغة الأمر، ليتعظوا ويتحملوا تبعه أعمالهم، ويكونوا في حذر مستمر، والله الهادي^(٢)

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التشريف للرسول (عليهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) والإشعارُ بمدارِ الحكمِ الذي هُوَ كَوْنُ وظيفتِهِ.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف ٨ / ٢٥٨، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، ٧ / ٦٠. (٢) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ٥ / ٢٣٥٠.

المبحث السادس سورة الأنعام

العدول عن الغيبة إلى الخطاب.

الموضع: قال تعالى: ﴿الْمُزَوَّرَاتِ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (1)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن

صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿الْمُزَوَّرَاتِ﴾، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: (لهم) لملائمة السياق.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية يجد أن السبب في العدول جاء لمزيد من التأكيد وهذا ما تبينه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير وجد أن بعض المفسرين ذكر العدول في الآية ولم يذكر السر في هذا العدول ومن هؤلاء المفسرين الطبري (2)

(١) سورة الأنعام، الآية، (٦).

(٢) مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ بْنِ يَزِيدَ بْنِ كَثِيرٍ بْنِ غَالِبِ الطَّبْرِيِّ أَبُو جَعْفَرٍ، وُلِدَ فِي طَبْرِسْتَانَ، سَنَةَ ٢٢٤هـ، مُؤَرِّخٌ مَفْسِّرٌ إِمَامٌ، اسْتَوطنَ بَغْدَادَ وَتَوَفَّى بِهَا. سَمِعَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنَ أَبِي الشَّوَارِبِ، وَأَحْمَدَ بْنَ مَنِيعِ الْبَغْوِيِّ، وَأَبَا هَمَامِ الْوَلِيدِ



حيث قال: «فإن قال قائل: فما وجه قوله: «مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم؟ ومن المخاطب بذلك؟ فقد ابتدأ الخبر في أول الآية عن قوم غيبٍ بقوله: «ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن؟»؟ قيل: إن المخاطب بقوله: «ما لم نمكن لكم»، هو المخبر عنهم بقوله: «ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن»، ولكن في الخبر معنى القول، ومعناه: قل، يا محمد، لهؤلاء القوم الذين كذبوا بالحق لما جاءهم: ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرنٍ مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم، والعرب إذا أخبرت خبراً عن غائبٍ، وأدخلت فيه «قولا»، فعلت ذلك، فوجهت الخبرَ أحياناً إلى الخبر عن الغائب، وأحياناً إلى الخطاب، فتقول: «قلت لعبد الله: ما أكرمه»، و«قلت لعبد الله: ما أكرمك»، وتخبر عنه أحياناً على وجه الخبر عن الغائب، ثم تعود إلى الخطاب. وتخبر على وجه الخطاب له، ثم تعود إلى الخبر عن الغائب. وذلك في كلامها وأشعارها كثيرٌ فاش، وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع»⁽¹⁾.

والى مثل هذا ذهب الكرمانى فقال: «كان القياس: نُمَكِّنْ لَهُمْ، لقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ -بالياء-، لكنه لما كان التقدير في الآية ما لم نُمَكِّنْ لَهُمْ ولا لكم فاجتمع الغائب والحاضر، وإذا اجتمع، فالحكم للحاضر دون الغائب، وقيل: هذا على الاتساع، وتلويين الخطاب. ومكنته ومكنت له لغتان، فجمع في الآية من اللعن، والتمكين إعظماً يصح به القول كائناً ما كان»⁽²⁾.

بُن شجاع، وأبا كريب، ومحمد بن بشار، وخلقاً كثيراً من أهل العراق، والشام، ومصر، وعرض عليه القضاء فامتنع، من كتبه: أخبار الرسل والملوك، توفي رحمه الله، ٣١٠ هـ ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة: أولى، ١٤١٢هـ، ١٣ / ٢١٥، والأعلام للزركلي ٦ / ٦٩.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ١١ / ٢٦٤.
(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، دار



أما المخاطب في لكم فقد وضحه ابن عطية بقوله: «والمخاطبة في لَكُمْ هي للمؤمنين ولجميع المعاصرين لهم من سائر الناس، فكأنه قال: ما لم نمكن يا أهل العصر لكم، فهذا أبين ما فيه، ويحتمل أن يقدر في الآية معنى القول لهؤلاء الكفرة، كأنه قال يا محمد قل لهم: أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ، مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَإِذَا أَخْبَرْتَ أَنَّكَ قُلْتَ لِعَائِبٍ أَوْ قِيلَ لَهُ أَوْ أَمَرْتَ أَنْ يُقَالَ فَلَكَ فِي فَصِيحِ كَلَامِ الْعَرَبِ أَنْ تَحْكِيَ الْأَلْفَاظَ الْمَقُولَةَ بَعَيْنِهَا فَتَجِيءَ بِلَفْظِ الْمَخَاطِبَةِ»⁽¹⁾.

ولم يذكر العكبري السر في هذا الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، كرفع الإشكال والتوهم من الضمائر المتشابهة في الآية مثلا كغيره من العلماء فقال: «ما لم نمكن لكم»: رجوع من الغيبة في قوله: «ألم يروا» إلى الخطاب في لكم، ولو قال لهم لكان جائزا»⁽²⁾.

وقد بيّن أبو السعود السر في العدول كعادته في تفسير آيات القرآن الكريم فقال: «قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ كأنه قيل في الأول: مكننا لهم أو في الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف محلها على النصب على المصدرية، أي: مكناهم تمكيناً لم نمكنه لكم والعدول لما في مواجعتهم بضعف الحال مزيد بيان لشأن الفريقين»⁽³⁾.

النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت، ١/ ٣٥٣.

- ١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ، ٢/ ٢٦٩.
- ٢) التبيان في إعراب القرآن، لعبد الله بن الحسين العكبري، بتصرف، تحقيق: علي محمد الجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١/ ٤٨١.
- ٣) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٣/ ١١١.



وذكر بعض العلماء ما ذهب إليه أبو السعود، وأضاف إضافة جديدة فقال: «العدول: في قوله تعالى «ما لَمْ تُمْكِنْ لَكُمْ» لما في مواجهتهم بضعف الحال مزيد بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه من أول الأمر عن مرجعي الضميرين والسياق يقتضي: ما لم نمكن لهم»^(١).

يرى الباحث أن الفائدة من العدول هي مواجهتهم بضعف حالهم ولمزيد من التبكيث لهم، ويضاف إلى ذلك إشعارهم بالصغار والمذلة، وهذا ما ذهب إليه بعض الباحثين حيث قال: «وفائدته البلاغية في مواجهتهم بضعف حالهم ولمزيد من التبكيث لهم، وإشعارهم بالصغار والمذلة لتخف حدة كبريائهم الذي هم عليه كما أن هذه المواجهة تكون لكل واقف على الآية الكريمة فتشد انتباهه وتجعله يتأمل ويقارن حاله بحال تلك الأمم السابقة، ويوقن عندها كل اليقين أن لا ملجأ من الله إلا إليه فهو العظيم المتعال وهذا خير رادع للناس عن الغواية والكبرياء إلى الاستقامة على صراط العزيز الوهاب»^(٢).

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾^(٤)، ومقتضى الظاهر أن يقال: يعرفونك - تمثيلاً مع سابقه.

(١) الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي، ٧ / ٨٦.

(٢) الالتفات في القرآن الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة محمد البناني، بتصرف، ١١٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية، (٢٠).

(٤) سورة الأنعام، آية، (١٩).



٢ / سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو أنهم يعرفون رسول الله بحليته المذكورة، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣ / آراء العلماء:

ذكر السمين الآية ولم يعلل لها فقال: « وإيرادهم بعنوان إيتاء الكتاب للإيدان بمدار ما أسند عليهم بقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾، أي: يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونُعوته المذكورة فيهما»^(١).

وعلل الألوسي للعدول فقال: « يَعْرِفُونَهُ أي يعرفون رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - بحليته ونعوته المذكورة فيهما، وفيه عدول، وقيل: الضمير للكتاب»^(٢).

وقال بعض الباحثين: «ولكنه -سبحانه- أثر صيغة الغيبة لتناسيها مع أسلوب الحكاية التي تروى عبر القرون والأجيال نعيًا على أهل الكتاب الذين جحدوا معرفتهم له - عليه أفضل الصلاة التسليم- رغم أنهم واثقون تمامًا أنه هو النبي -عليه أفضل الصلاة التسليم- الذي بشر به عيسى عليه السلام»^(٣).

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو، التبكيث لأهل الكتاب لكفرهم بالرسول، مع أنهم يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في كتبهم، وتشريف الرسول والرفع من قدره.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٣ / ١١٨.

(٢) روح المعاني، للألوسي، ٤ / ١١٣.

(٣) الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، خديجة البناي، بتصرف، ١٦٦.



الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوْا ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿ أَحَدِكُمْ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: رددتم، تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو إشارة إلى أن الرجوع إلى الله بالبعث حكم عام ينسحب على المخاطبين وغيرهم منذ به الخليقة حتى قيام الساعة، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو حيان: « وجاء عليكم على سبيل العدول لما في الخطاب من تقريب الموعظة من السامعين، ويحتمل أن يعود الضمير في ردوا على أحدكم على المعنى لأنه لا يريد بأحدكم ظاهره من الأفراد إنما معناه الجمع وكأنه قيل: حتى إذا جاءكم الموت، وقرئ ردوا بكسر الراء نقل حركة الدال التي أدغمت إلى الراء والراد المحذر من الله أو بالبعث في الآخرة أو الملائكة ردتهم بالموت إلى الله. وقيل: الضمير يعود على رسلنا أي الملائكة يموتون كما يموت بنو آدم ويردون إلى الله تعالى وعوده على العباد أظهر ومولاهم لفظ عام لأنواع الولاية التي تكون بين الله وبين عبيده من الملك والنصرة والرزق والمحاسبة وغير ذلك، وفي الإضافة إشعار برحمته لهم وظاهر الإخبار بالرد إلى الله أنه يراد به البعث والرجوع إلى حكم الله وجزائه يوم القيام» (٢).

(١) سورة الأنعام، الآية، (٦٢).
(٢) (٣) البحر المحيط، لأبي حيان، بتصرف / ٤ / ٥٤٠.



قال الشوكاني: «والضمير راجع إلى أحد لأنه في معنى الكل مع العدول من الخطاب إلى الغيبة، أي رداً بعد الحشر إلى الله: أي إلى حكمه وجزائه. مولاهم مالكهم الذي يلي أمورهم» (١).

وأرى من خلال العرض السابق لأراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو، التهويل والتخويف للمكذبين باليوم الآخر، والإشارة إلى أن الرجوع إلى الله بالبعث حكم عام ينسحب على المخاطبين.

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَ كُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً مِّنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتٍ اللَّهُ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصِدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصِدِفُونَ ﴾ (٢).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتٍ اللَّهُ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْكُمْ - تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الإشعار بعلّة الحكم والإسقاط لهم، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود: «وُضِعَ الموصولُ موضعَ ضميرهم بطريق العدول تنصيصاً على اتصافهم بما في حيز الصلة وإشعاراً بعلّة التحكيم وإسقاطاً لهم عن رتبة الخطاب ووضع موضع ضميرهم بطريق العدول تنصيصاً على اتصافهم بما في حيز عما جاءهم بآيات الله تهويلاً للأمر وتنبهها على أن تكذيب أي آية كانت من آيات الله تعالى كافٍ في الأظلمية» (٣).

(١) فتح القدير، للشوكاني، ١٤٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية، (١٥٧).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٣/ ٢٠٢.



وقال الألوسي: « الصلة وإشعارا بعلّة الحكم وإسقاطا لهم عن رتبة الخطاب، وعبر عما جاءهم بآيات الله تعالى تهويلا للأمر، وقرئ ﴿كذب﴾ بالتخفيف، والجار الأول متعلق بما عنده، والثاني يحتمل ذلك وهو الظاهر» (١).

وقال بعض المفسرين: « وضع الظاهر موضع المضمّر: في قوله تعالى ﴿مِمَّنْ كَذَبَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ حيث وضع الموصول موضع الضمير ﴿هم﴾ بطريق العدول تنصيحا على اتصافهم بما في حيز الصلة وإشعارا بعلّة الحكم وإسقاطا لهم عن رتبة الخطاب» (٢).

وأرى من خلال العرض السابق لأراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإشعار بعلّة الحكم والإسقاط لهم، لتكذيبهم وبيان أن هذا اعظم الظلم.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿بَيَّاتٍ اللَّهُ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿نَعْلَمُ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: ﴿بِآيَاتِنَا﴾، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تربية المهابة

(١) روح المعاني، للألوسي، ٤ / ٣٠٤.

(٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي، بتصرف ٨، / ٣٤٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية، (٣٣).

واستعظام ما أقدموا عليه من جحود، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء .

٣/آراء العلماء :

بمطالعة كتب التفسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول: «والعدول إلى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما أقدموا عليه من جحود آياته تعالى وإيراد الجحود في مورد التكذيب للإيذان بأن آياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كلُّ أحد، وأن من ينكرها فإنما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الإنكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى:

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤)

وهو المعنيُّ بقول من قال إنه نفِي ما في القلب إثباته أو إثبات ما في القلب نفِيه» (٢).

والمعنى: أن تكذيبهم ليس يرجع إليك فإنهم يعترفون لك بالصدق، ولكن تكذيبهم راجع إلى ما جئت به، ولهذا قال: ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ووضع الظاهر موضع المضمرة لزيادة التوبيخ لهم والإزاء عليهم، ووصفهم بالظلم لبيان أن هذا الذي وقع منهم ظلم بين (٣).

وقال الألوسي: «فوضع المظهر موضع المضمرة تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جحدوه هذا فن من فنونه، وقيل: إن كان المراد من الظلم مطلقه فالوضع للإشارة إلى أن ذلك دأبهم ودينتهم، وأنه علة الجحود لأن التعليق بالمشقة يفيد عليه المأخذ، وإن أريد به الظلم المخصوص فهو عين الجحد وواقع به» (٤).

(١) سورة النمل، الآية، (١٤).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٢٧/٣.

(٣) فتح القدير، للشوكاني، بتصرف، ١٢٧/٢.

(٤) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ١٢٨/٤.

وقال بعض المحدثين: « وقال-سبحانه- وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ ولم يقل وَلَكِنَّهُمْ، لبيان سبب جودهم وهو الظلم الذي استقر في نفوسهم، وفيه فوق ذلك تسجيل للظلم عليهم حتى يكونوا أهلاً لما يصيبهم من عقاب» (١).

ووضح بعض المحدثين العدول في الآية فقال: « وضع الظاهر موضع المضمرة: في قوله تعالى: « وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ»، أي: ولكنهم بآياته تعالى يكذبون، فوضع المظهر موضع المضمرة تسجيلاً عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جودهم هذا فن من فنونه» (٢).

في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة يرى الباحث أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تربية المهابة، واستعظام ما أقدموا عليه من جود آياته تعالى وإيراد الجود في مورد التكذيب.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿نَصَرْنَا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: ﴿لِكَلِمَاتِنَا﴾، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الإشعار بعلّة الحكم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، ٥/ ٦٦.

(٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي، ٧/ ١٣٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية، (٣٤).



٣ / آراء العلماء :

بالبحث في كتب التفسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال

أبو السعود مبينا السر في هذا العدول: « والعدول إلى نون العظمة لإبراز الاعتناء بشأن النصر »^(١)

وقال الألويسي: « والعدول إلى الاسم الجليل - كما قيل - للإشعار بعلّة الحكم، فإنّ الألوهية من موجبات أن لا يغالبه سبحانه أحد في فعل من الأفعال ولا يقع منه - جلّ شأنه - خلف في قول من الأقوال، وظاهر الآية أنّ أحداً غيره تعالى لا يستطيع ان يبدّل كلمات الله عز وجل بمعنى ان يفعل خلاف ما دلّت عليه ويحول بين الله عز اسمه وبين تحقيق ذلك. وأمّا أنه تعالى لا يبدل فلا تدل عليه الآية، والذي دلت عليه النصوص انه سبحانه ربما يبدل الوعيد ولا يبدل الوعد »^(٢).

وقال محيي الدين درويش^(٣): « العدول البديع من ضمير الغيبة الى ضمير المتكلم في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ أَنهٖم نَصْرًا﴾، إذ قبله: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ يَجْحَدُونَ﴾، ولو جرى الكلام على نسقه لقل: نصره، وفائدة هذا العدول - بالإضافة الى تطرية الكلام وتنويعه - إسناد النصر الى ضمير المتكلم المشعر بالعظمة، والحافز على وجوب مداومة الجهاد

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٣/١٢٨.

(٢) روح المعاني، للألويسي، بتصرف ٤/١٣٠.

(٣) محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (١٣٢٦ - ١٤٠٣ هـ = ١٩٠٨ - ١٩٨٢ م) ولد في مدينة حمص (سورية)، وفيها توفي. تلقى علومه في مدارس حمص أنهى دراسته للقرآن الكريم وهو في سن العاشرة. عمل مدرساً للأدب العربي في مدارس حمص التجهيزية. وكان عضواً في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. من أعماله: إعراب القرآن وبيانه، ينظر: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ل فريق من الباحثين المكتبة الشاملة ص ٧١٧٢.

والنضال والصمود في سبيل تحقيق المطمح الكبير، وتأدية الرسالة السامية المثلى»^(١).

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإشعار بعلّة الحكم، وإبراز الاعتناء بشأن النصر.

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا﴾، ومقتضى

الظاهر أن يقال: (إِنِّي حَكِيمٌ عَلِيمٌ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.
٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تفخيم للحجة التي أعطيت لإبراهيم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.
٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول: «وفي وضع الرب مضافاً إلى ضميره عليه السلام موضع نون العظمة بطريق العدول في تضاعيف بيان أحوال إبراهيم عليه السلام إظهاراً لمزيد لطفٍ وعناية به عليه السلام»^(٣).

(١) إعراب القرآن وبيانه لمحبي الدين بن أحمد مصطفى درويش الناشر: دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، سورية، (دار اليمامة، دمشق، بيروت)، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت) الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ، ١/ ١٠١.

(٢) سورة الأنعام، الآية، (٨٣).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٣/ ١٥٧.

وقال الألوسي: « وفي وضع الرب مضافا إلى ضميره عليه - الصلاة والسلام - موضع نون العظمة بطريق العدول في تضاعيف بيان حال إبراهيم عليه السلام ما لا يخفى من إظهار مزيد اللطف والعناية به صلى الله عليه وسلم» (١).

وقال الخطيب « وفي قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ عدول من رب كريم إلى النبي الكريم، وقد نازعته نفسه، وهفت به أشواقه إلى فضل الله وإحسانه، الذي رأى آثاره في إبراهيم عليه السلام.. فجاء قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ ليشعر النبي أنه في ضيافة ربه، وكفى ما يلقاه الضيف الذي ينزل في ضيافة رب العالمين. ﴿الحكيم﴾ في تقدير الأمور ﴿العليم﴾ بعباده، وبمن هم أهل لمزيد فضله، وعظيم إحسانه، ومن فضل الله على إبراهيم - عليه السلام - أن بارك عليه في ذريته، وجعل من نسله الأنبياء والمرسلين «(٢)».

وقال بعض المحدثين: « ففي وضع الرب مضافا إلى ضميره - عليه الصلاة والسلام - موضع نون العظمة بطريق العدول في تضاعيف بيان حال إبراهيم - عليه السلام - ما لا يخفى من إظهار مزيد اللطف والعناية به صلى الله عليه وسلم» (٣).

في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة يرى الباحث أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التفضيم للحجة التي أعطيت لإبراهيم وتشريفه له، ومزيد اللطف، والعناية به صلى الله عليه وسلم.

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَهُمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ جَاهِلُونَ﴾ (٤).

(١) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٤ / ١٩٧.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، بتصرف، ٤ / ٢٢٨.

(٣) الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي، ٧ / ٢٠٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية، (١١١).



١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلّم في قوله تعالى: ﴿زَلْنَا، وَحَشَرْنَا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (أَنْ تَشَاءَ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تربية المهابة وإدخال الروعة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير وجدت أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول بتعاليل، منها قول أبو السعود: «والعدول إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة»^(١).

وقال بعض المحدثين: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ رَبَطَ الْمَشِيئَةَ بِالرَّبُّوبِيَّةِ، وَإِلِضَافَةِ إِلَى الضَّمِيرِ الْعَائِدِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِتَشْرِيفِ مَقَامِهِ، وَالْعَنَاءِ بِهِ، وَتَطْيِيبِ خَاطِرِهِ وَتَسْلِيَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ»^(٢).

في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة يرى الباحث أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تشريف لمقام النبي صلى الله عليه وسلم، والعناية به، وتطبيب خاطره وتسليته لما رأى من تكذيب قومه له.

الموضع الخامس: قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَائِبِينَ الْإِنْسِ وَالْإِنِّ يُوْحَىٰ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يُفْرُونَ﴾^(٣)

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٣/١٧٤.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ٥/٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية، (١١٢).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿شَاءَ رَبُّكَ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (أَنْ نَشَاءَ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو كمال اللطف في التسلية، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول: «والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره (صلى الله عليه وسلم) المعبرة عن كمال اللطف في التسلية»^(١).

وقال الألويسي: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ» رجوع كما قيل إلى بيان الشؤون الجارية بينه (عليه الصلاة والسلام) وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الأنبياء (عليهم السلام) وبين أمهم كما ينبئ عنه العدول، والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره - عليه الصلاة والسلام - المعبرة عن كمال اللطف في التسلية، والضمير المنصوب في فَعَلُوهُ عائد إلى عداوتهم له صلى الله عليه وسلم وإيحاء بعضهم إلى بعض مزخرفات الأقاويل الباطلة المتعلقة بأمره عليه الصلاة والسلام باعتبار افهام ذلك مما تقدم وأمر الأفراد سهل، وقيل: إنه عائد إلى ما ذكر من معاداة الأنبياء (عليهم السلام)»^(٢).

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو كمال اللطف في التسلية، والعناية به صلى الله عليه وسلم.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ١٧٦/٣.
(٢) (١) روح المعاني، للألويسي، بتصرف، ٢٥١ / ٤.



الموضع السادس: قال تعالى: ﴿ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَجْتَنِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (١).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ ءَاتَيْنَهُمُ ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (منا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التعظيم للقرآن الكريم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول: «والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره (صلى الله عليه وسلم) لتشريفه - عليه الصلاة والسلام - والباء في قوله تعالى: ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ متعلقٌ بمحذوفٍ وقع حالاً من الضمير المستكن في مُنَزَّلٌ، أي: ملتبساً بالحق» (٢).

وقال الألوسي: «والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه صلى الله عليه وسلم مع الإيذان بأن نزوله من آثار الربوبية، ومن لا ابتداء الغاية مجازا وهي متعلقة بمنزل، والباء للملابسة وهي متعلقة بمحذوف وقع حالاً من الضمير المستكن في مُنَزَّلٌ، أي: ملتبساً بالحق» (٣).

(١) سورة الأنعام، الآية، (١١٤).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ٣/ ١٧٧.

(٣) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٤/ ٢٥٥.



وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التعظيم للقرآن الكريم، والتشريف للنبي صلى الله عليه وسلم.

الموضع السابع: قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِمَّنْ شُهِدَ كُفْرًا الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١١١).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿بِآيَاتِنَا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (بنا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول جاء لزيادة التشهير بهم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال النسفي مبينا السر في هذا العدول: «﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ من وضع الظاهر موضع المضمرة للدلالة على أن من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى إذ لو اتبع الدليل لم يكن إلا مصدقاً بالآيات موحداً لله» (١١٢).

وأضاف ابن عاشور: «كَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ لَا يُعَادَ اسْمُ الْمُؤْصُولِ لِأَنَّ حَرْفَ الْعَطْفِ مُغْنٍ عَنْهُ، وَلَكِنْ أُجْرِيَ الْكَلَامُ عَلَيَّ خِلَافَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ لِزِيَادَةِ التَّشْهِيرِ بِهِمْ، كَمَا هُوَ بَعْضُ نُكْتِ الإِظْهَارِ فِي مَقَامِ الإِضْمَارِ» (١١٣).

(١) سورة الأنعام الآية، (١٥٠).

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، بتصرف ١/ ٥٤٧.

(٣) التحرير والتنوير، للظاهر بن عاشور، بتصرف، ٨/ ١٥٥.



وقال رشيد رضا: «فَوَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ إِذْ لَمْ يَقُلْ: وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ، لِبَيَانِ أَنَّ الْمُكَذِّبَ بِهَذِهِ الآيَاتِ وَالْحُجَجِ الظَّاهِرَةِ -إِصْرَارًا عَلَى تَقَالِيدِهِ البَاطِلَةِ- إِنَّمَا يَكُونُ صَاحِبَ هَوَى وَظَنٍّ لَا صَاحِبَ عِلْمٍ وَحُجَّةٍ»^(١)،^(٢).

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة جاء للدلالة على أن من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى إذ لو تبع الدليل لم يكن إلا مصداقاً بالآيات موحداً لله.

العدول عن الغيبة إلى التكلم.

الموضع: قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مَخْرُجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشْتَبِهٍ أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٣).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مَخْرُجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (فَأَخْرَجَ بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجَ مِنْهُ خَضِرًا يُخْرَجُ مِنْهُ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

(١) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب (١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ = ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م): صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس. وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ينظر: الأعلام للزركلي ٦/ ١٢٦.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ١٦٠/٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية، (٩٩).

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الإظهار لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود موضحاً السر في العدول: «التفت إلى التكلم إظهاراً لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله» وليدل على أن قائل هذا الكلام الله سبحانه الذي فعل ذلك وليس اخباراً من جهة أخرى»^(١). وقال الألوسي: «وأخرجنا عطف على أنزل والعدول إلى التكلم إظهاراً لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله، وذكر بعضهم نكتة خاصة لهذا العدول غير ما ذكر وهي أنه سبحانه لما ذكر فيما مضى ما ينبهك على أنه الخالق اقتضى ذلك التوجه إليه»^(٢).

وقال بعض المفسرين: «فأخرجنا به التفت إلى التكلم إظهاراً لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله أي: فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء، مع وحدته نبات كل شيء أي: صنف من أصناف النبات والثمار المختلفة الطعوم والألوان»^(٣).

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإظهار لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٣/ ١٦٦.

(٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٤/ ٢٢٤، والجدول في إعراب القرآن، محمود صافي، ٧/ ٢٣٦.

(٣) محاسن التأويل، للقاسمي، بتصرف، ٤/ ٤٤٥.



العدول عن التكلم إلى الخطاب

الموضع: قال تعالى: ﴿قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أُنْبِيَ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَنْزِرُ وَزَرَّ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (١).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿أُنْبِيَ رَبًّا﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ﴾ للمقتضى الظاهر أن يقال: (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّي مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ) ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أنه وجه الخطاب إلى الكل تأكيداً للوعد وتشديداً للوعيد، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بيّن أبو السعود السر في العدول في الآية الكريمة فقال: «تلوين للخطاب وتوجية له إلى الكل لتأكيد الوعد وتشديد الوعيد أي إلى مالك أموركم ورجوعكم يوم القيامة» (٢).

وقال ابن عاشور: «ثم إلى ربكم مرجعكم فَيُنَبِّئُكُمْ بما كنتم فيه تختلفون. ثم للترتيب الرتبي. وهذا الكلام يحتمل أن يكون من جملة القول المأمور به فيكون تعقيباً للمتاركة بما فيه تهديدهم ووعيدهم،

(١) سورة الأنعام، الآية، (١٦٤).

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، بتصرف / ٣ / ٢٠٧.



فكان موقع ثم لأن هذا الخبر أهم. فالخطاب في قوله: إلى ربكم مرجعكم خطاب للمشركين وكذلك الضميران في قوله: بما كنتم فيه تختلفون والمعنى: بما كنتم فيه تختلفون مع المسلمين، لأن الاختلاف واقع بينهم وبين المسلمين، وليس بين المشركين في أنفسهم اختلاف. فأدمج الوعيد بالوعيد. وقد جعلوا هذه الجملة مع التي قبلها آية واحدة في المصاحف»^(١).

وقال بعض الباحثين: « قيل وجه الخطاب إلى الكل تأكيداً للوعد وتشديداً للوعيد»^(٢)

والمعنى: أمر الله تعالى نبيه أن يقول للمشركين في سياق الدليل على أنه لا يعبد سواه، ولا رب سواه، والاستهزاء هنا إنكاري لإنكار الوقوع لا يمكن أن يقع مني أن أبغي غير الله رباً، ويكون تقديم غير الله على الفعل. في معنى القصر أي لا أبغي غير الله تعالى رباً أعبد، وعبر هنا بقوله ﴿رَبًّا﴾، ولم يعبر بكلمة (إلها) مع أن المقصود هو العبادة، إذ المعنى أبغي غير الله إلهاً، وهو رب كل شيء، للإشارة إلى التلازم بين الربوبية والألوهية، إذ أنهم كانوا يعترفون بأن الله تعالى رب كل شيء وخالق كل شيء، ولكنهم يفرقون ذلك عن العبادة، فهم يعتقدون أن الله خالق كل شيء، ولكنهم يعبدون الأوثان، ويقولون: ما نعيدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فقوله تعالى ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا﴾ فيه إشارة إلى الربوبية والخلق والتكوين، والعبادة فالمعبود بحق هو الرب الخالق، لا هذه الأوثان التي تتوهمون فيها سرا وتقريباً، وما هي بشيء»^(٣).

وأرى في ضوء ما سبق أن العدول جاء لتأكيد الوعد وتشديد الوعيد.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٠٠٨/٨.

(٢) الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، ص ٤٣٠.

(٣) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، بتصرف، ٥/٢٧٦٤.



العدول عن الخطاب إلى التكلم

الموضع: قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَجْنَبًا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿لَّيْنٍ أَجْنَبًا﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿تَدْعُونَهُ﴾ لِمُقْتَضَى الظاهر أن يقال: (قائلين لئن أنجبنا) ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول أن صيغة التكلم أولى لينبئهم أنه عالم السر وأخفى، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الداعين لك إلى عبادة أوثانهم: من الذي ينجيكم من ظلمات البر إذا ضللتهم فيه فتحيرتم فأظلم عليكم الهدى والمحجة؟ ومن ظلمات البحر إذا ركبتموه فأخطأتم فيه المحجة فأظلم عليكم فيه السبيل فلا تهتدون له، غير الله الذي مفزعكم حينئذ بالدعاء تضرعا منكم إليه، واستكانة جهرا وخفية؟» (٢).

وقال الرازي: «وَلَقَدْ الْفَضُّ الْآيَةَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عِنْدَ حُصُولِ هَذِهِ الشَّدَائِدِ يَأْتِي الْإِنْسَانُ بِأُمُورٍ: أَحَدُهَا: الدُّعَاءُ. وَثَانِيهَا: التَّصَرُّعُ. وَثَالِثُهَا: الإِخْلَاصُ بِالْقَلْبِ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: وَخُفْيَةً وَرَابِعُهَا: التِّزَامُ الإِشْتِغَالِ بِالشُّكْرِ،

(١) سورة الأنعام، الآية، (٦٣).

(٢) جامع البيان، للطبري، ٩/ ٢٩٤.



وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّهُ يُنَجِّبُهُمْ مِنْ تِلْكَ الْمَخَافِيفِ، وَمِنْ سَائِرِ مُوجِبَاتِ الْخَوْفِ وَالْكَرْبِ. ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ يُقَدِّمُ عَلَى الشِّرْكِ» (١).

وقال أبو السعود معللاً للعدول: «وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا﴾ حال من الفاعل أيضاً على تقدير القول أي تدعونه قائلين لئن أنجيتنا ﴿مِنْ هَذِهِ﴾ الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات» (٢).

وقال ابن عجيبة: «يقول الحق جلّ جلاله: قُلْ مَنْ يُنَجِّبِكُمْ أَي: يُخَلِّصَكُم مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ أَي: من شدائدهما، استعير الظلمة للشدة لمشاركتها في الهول، فقيل لليوم الشديد: يوم مظلم، أو: من الخسف في البر والغرق في البحر، حال كونكم تَدْعُونَهُ تَصْرُعاً وَخَفِيَّةً أَي: جهراً وسراً، قائلين: لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ الظلمة، أي: الشدة، لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ بإقرارنا بوحدانيتك» (٣).

قال بعض الباحثين: «إن هذه الأمور متعلقة بأعمال القلوب، وما تخفي الصدور، ولهذا فصيغة التكلم هي الأنسب في هذا المقام لينبئهم سبحانه بأنه عالم السر وأخفى ولهذا أظهر سبحانه ما أعلنوه وما أخفوه بالصيغة التي صدرت عنهم في الحالتين ليكون قولهم هذا حجة دامغة عليهم تقتضي التسليم والإذعان» (٤) وهذه الآيات الأولى لتوبيخ عبدة الأوثان، وتعريفهم بسوء فعلهم في عبادة الأصنام، وتركهم الذي ينجي من المهلكات، ويلجأ إليه في الشدائد، ومعناها: قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين الغافلين عن آيات التوحيد: من الذي ينجيكم من شدائد البر والبحر، وأحوال السفر ومخاوفه إذا ضللتكم في أنحاء الأرض البرية والبحرية، فإنكم في وقت المحنة لا تجدون

(١) مفاتيح الغيب، للرازي، بتصرف ١٣ / ٢٠.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ٣ / ١٤٥.

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، ٢ / ١٢٩.

(٤) الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، ص ٤٣٦.



غير الله ملجأ تدعونه علانية وسراً، بخشوع وخوف، ومبالغة في الصّراعة والتّذلل والخضوع، حال كونكم تقسمون: لئن أنجانا الله من هذه الشدائد والظلمات وضوائق الأمور، لنكونن من شاكري النعمة، المقرّين بتوحيد الله، المخلصين له في العبادة، دون إشرارك^(١).

في ضوء ما سبق أرى أن سر العدول في الآية الكريمة هو العظمة والجبروت التي هي من صفات الخالق، لهذا جاء صيغة التكلم لينبئهم سبحانه بأنه عالم السر وأخفى ولهذا أظهر ما أعلنوه وما أخفوه بالصيغة التي صدرت عنهم في الحالتين.

(١) التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، ١/ ٥٦٣.



المبحث السابع سورة الأعراف

العدول عن الغيبة إلى الخطاب.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَفْؤَةً وَأَمْرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسِنَهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾^(١).

١/ موضع العدول:

جاء التعبير في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ سَأُورِيكُمْ ﴾ بأسلوب الخطاب وكان مقتضى الظاهر أن يقال: (سأريهم) بصيغة الغيبة لملائمة سياق الغيبة في قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ ﴾، فعدل عن الغيبة إلى الخطاب في الآية الكريمة.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في نص الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تعميم الخطاب لكافة المسلمين، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير تبين للباحث أنه لم يُشر كثير من المفسرين إلى موضع هذا العدول، في حين أشار إليه البيضاوي وأبو السعود، والألوسي، والصابوني-على ما سيأتي- واتفق الثلاثة على أن العدول هنا أفاد: المبالغة في الحمل على الجد في الامتثال فقال أبو السعود: « قوله تعالى: ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ تلويح للخطاب وتوجيه له إلى قومه عليه الصلاة والسلام بطريق العدول حملاً لهم على

(١) سورة الأعراف، الآية، (١٤٥).

الجد في الامتثال بما أمروا به إما على نهج الوعيد والترهيب على أن المراد بدار الفاسقين أرض مصرَ وديارَ عادٍ وثمودَ وأضرابهم فإن رؤيتها وهي الخالية عن أهلها خاويةً على عروشها موجبةً للاعتبار والانزجارِ عن مثل أعمال أهلها كيلاً يجلّ بهم ما حل بأولئك وإما على نهج الوعد والترغيب»^(١).

وصرح الألوسي بالعدول فقال: « وفيه عدول من الغيبة إلى الخطاب، وحسن موقعه قصد المبالغة في الحث »^(٢).

وقال الصابوني: « فيه عدول من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في الحض على نهج سبيل الصالحين، والأصل أن يقال: سأريهم»^(٣).

ويرى الباحث أن العدول عن صيغة الغيبة إلى صيغة الخطاب في الآية الكريمة جاء للمبالغة حملاً لهم على الجد في الامتثال بما أمروا به إما على نهج الوعيد والترهيب.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ ﴾^(٤).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ بصيغة الخطاب، وكان مقتضى السياق أن يقال: (أفلا يعقلون) بصيغة الغيبة لملائمة قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ﴾، ولكن عدل عن الغيبة إلى الخطاب لعله يقتضيها السياق.

٢/ سبب العدول:

- (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ٣/ ٢٧١.
- (٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف ٥/ ٥٧.
- (٣) صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ص ٤٣٧.
- (٤) سورة الأعراف، الآية، (١٦٩).



المتأمل في الآية يجد أن سبب العول هو تشديد التوبيخ كما ستوضحه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بيّن الألوّسي غرض العدول فقال: «وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ اللهُ تعالى ويخافون عقابه فلا يفعلون ما فعل هؤلاء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعلموا ذلك ولا تستبدلوا الأدنى المؤدي إلى العذاب بالنعيم المقيم، وهو خطاب لأولئك المأخوذ عليهم الميثاق الآخذين لعرض هذا الأدنى وفي العدول تشديد للتوبيخ، وقيل: هو خطاب للمؤمنين ولا عدول فيه»^(١).

وقال ابن عاشور^(٢) موضحاً الغرض من العدول: «فخوطبوا بـ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالاستفهام الإنكاري، وقد قرئ بقاء الخطاب، على العدول من الغيبة إلى الخطاب؛ ليكون أوقع في توجيه التوبيخ إليهم مواجهة»^(٣).

وفي صفوة التفسير: «العدول عن الغيبة إلى الخطاب زيادة في التوبيخ والتأنيب»^(٤).

وقال بعض المحدثين: «انتقال من الغيبة إلى الخطاب والمواجهة،

(١) روح المعاني، للألوّسي، ٩٢ / ٥.

(٢) محمد الفاضل بن محمد الطاهر ابن عاشور، ولد سنة ١٣٢٧هـ، أديب خطيب، مشارك في علوم الدين، من طلائع النهضة الحديثة النابيين، في تونس. مولده ووفاته بها. تخرج بالمعهد الزيتوني وأصبح أستاذاً فيه فعميداً، من كتبه أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، والحركة الأدبية والفكرية في تونس، توفي رحمه الله، سنة ١٣٩٠هـ، ينظر: الأعلام للزركلي ٦ / ٣٢٥.

(٣) التحرير والتوير، ابن عاشور، بتصرف، الناشر، دار التونسية للنشر، تونس، ١٦٣ / ٩، ١٩٨٤هـ.

(٤) صفوة التفسير، للصابوني، بتصرف، ص ٤٤٥.



ليلتقت هؤلاء الغافلون إلى ما هم فيه من ضلال وعمى»^(١).

ويرى الباحث من خلال العرض الآراء السابقة أن السر في العدول الزيادة أو الشدة في التوبيخ، والتأنيب.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾^(٢).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (قُلْنَا مَا مَنَعَكَ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول جاء إشعاراً بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول: «استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كأنه قيل فماداً قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه العدول إلى الغيبة إذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة، وفيه فائدة أخرى هي الإشعار بعدم تعلق المحكي

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، ٥/ ٥١٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية، (١١).



بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير»^(١)

وأضاف ابن عاشور قائلا: «كَانَ الْعُدُولُ إِلَى ضَمِيرِ الْغَائِبِ عَدُولًا، نُكْتَتُهُ تَحْوِيلٌ مَقَامَ الْكَلَامِ، إِذْ كَانَ الْمَقَامُ مَقَامَ أَمْرِ لِلْمَلَائِكَةِ وَمَنْ فِي زُمْرَتِهِمْ فَصَارَ مَقَامٌ تَوْبِيخٌ لِإِبْلِيسَ خَاصَةً..»^(٢)

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإشعارُ بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْأَقْرَبَى نَقَضُ عَلَيْهِ مِنَ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلّم في قوله تعالى: ﴿نَقَضُ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (نطبع)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول جاء الحديث بالغيبة إعراضاً عن الكفار واحتقاراً لهم وإذلالاً، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ٢١٦/٣.

(٢) التحرير والتنوير، للظاهر بن عاشور، بتصرف، ٣٩/٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية، (١٠١).



فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول: « وإظهار الاسم الجليل بطريق العدول لتربية المهابة وإدخال الروعة»^(١) وإلى مثل هذا ذهب الألوسي^(٢)

وقال بعض المحدثين: « وضع الظاهر موضع الضمير: في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾، أي: قلوبهم فوضع المظهر موضع المضمّر ليدل على أن الطبع بسبب الكفر، وإظهار الاسم الجليل بطريق العدول لتربية المهابة وإدخال الروعة»^(٣)

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تربية المهابة وإدخال الروعة.

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ، وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٤)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولِهِ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (فآمنوا

بالله وبي)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ٢٥٦/٣.

(٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ١٧/٥.

(٣) الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، ٢٥/٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية، (١٥٨).



المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو استحقاق مَنْ اتصف بتلك الصفات أن يُتبع ويطاع، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣ / آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفسير والبلاغة وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال ابن الأثير مبينا السر في هذا العدول: «قال الزمخشري: «فان قلت: هلا قيل: فأمنوا بالله وبي، بعد قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾؟ قلت: عدل من المضمّر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقة العدول من مزية البلاغة، ولنعلم ان الذي وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المتقل بأنّه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كائناً مَنْ كان أنا أو غيري، إظهاراً للنصفة وتقديراً من العصبية لنفسه» (١)

وقال أبو حيان: «لما ذكر انه رسول الله أمرهم بالإيمان بالله وبه، وعدل من ضمير المتكلم إلى الظاهر وهو العدول، لما في ذلك من البلاغة بانه هو النبي السابق ذكره في قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ وإنه هو المأمور باتباعه الموجود بالأوصاف السابقة» (٢)

وذهب البيضاوي إلى أنه عدل إلى التغيير في الأسلوب لإثبات أن هذه الصفات كفيّلة بان يؤمن به ويتبع. فقال: «وإنما عدل عن التكلم إلى الغيبة لإجراء هذه الصفات الداعية إلى الإيمان به والاتباع له» (٣)

وقال ابن الأثير: «فإنه إنما قال: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، ولم يقل: فأمنوا بالله وبي، عطفاً على قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، لكي

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، بتصرف ١٦٧/٢.

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان، ١٩٧/٥.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٣٨/٣.



تجري عليه الصفات التي أُجريت عليه، ولْيُعلم أنّ الذي وجب الإيمان به والاتباع له هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وبكلماته كائناً مَنْ كان، أنا أو غيري، إظهاراً للنصفة وبعداً من التعصب لنفسه، فقدّر أولاً في صدر الآية: إني رسول الله إلى الناس ثم أخرج كلامه من الخطاب إلى معرض الغيبة، لغرضين: الأول منهما: إجراء تلك الصفات عليه، والثاني: الخروج من تهمة التعصب لنفسه»^(١)

وذكر الزركشي قريباً من ذلك، إذ قال: «ولم يقل: بي، و له فإئدتان: إِحْدَاهُمَا: دَفَعُ التُّهْمَةَ عَن نَفْسِهِ بِالْعَصَبِيَّةِ لَهَا، وَالثَّانِي: تَنْبِيهُهُمْ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ الْإِتِّبَاعَ بِمَا اتَّصَفَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ مِنَ النَّبُوءَةِ وَالْأُمِّيَّةِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى صِدْقِهِ وَأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْإِتِّبَاعَ لِذَاتِهِ بَلْ لِهَذِهِ الْخَصَائِصِ»^(٢)

وقد أدرج الزركشي الآية في عنوان: (أن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف)، ثم ذكر العلة في ذلك فقال: «ليتمكن من إجراء الصفات التي ذكرها من النبي الأمي الذي يؤمن بالله، فانه لو قال ﴿وبي﴾ لم يتمكن من ذلك، لان الضمير لا يوصف، ليعلم ان الذي وجب الإيمان به والاتباع له هو مَنْ وُصِفَ بهذه الصفات كائناً مَنْ كان انا أو غيري، إظهاراً للنصفة وبعداً من التعصب لنفسه»^(٣)

وقال في موضع آخر: (ولم يقل (وبي)، وله فإئدتان: إِحْدَاهُمَا: رَفَعَ التُّهْمَةَ عَن نَفْسِهِ بِالْعَصَبِيَّةِ لَهَا، وَالثَّانِي: تَنْبِيهُهُمْ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ الْإِتِّبَاعَ بِمَا اتَّصَفَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ مِنَ النَّبُوءَةِ وَالْأُمِّيَّةِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى صِدْقِهِ، وَانَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْإِتِّبَاعَ لِذَاتِهِ بَلْ لِهَذِهِ

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، ١٤٤/٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ، ٣١٧/٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بتصرف، ٤٩٢/٢.



الخصائص»^(١) وإلى مثل هذا ذهب السيوطي^(٢) ((٣))

وجعل أبو السعود فائدة العدول هي المبالغة في الامتثال من جهة ومدح للنبي ﷺ من جهة ثانية إذ قال: «وإيراد نفسه عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة على طريقة العدول إلى الغيبة للمبالغة في إيجاب الامتثال بأمره، ووصف الرسول بقوله: (النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ) لمدحه عليه الصلاة والسلام بهما ولزيادة تقرير أمره وتحقيق أنه المكتوب في الكتابين»^(٤)

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو إجراء تلك الصفات عليه، و الخروج من تهمة التعصب لنفسه.

العدول عن التكلم إلى الخطاب.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْوَاجِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَفْوَةً وَأَمْرًا قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾^(٥)

(١) المرجع السابق، ٣/٣١٧.

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. والسيوطي، نسبة إلى أسبوط في صعيد مصر، وُلد سنة ٨٤٩هـ، في القاهرة ونشأ فيها. رحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ثم عاد إلى مصر، تولى مناصب عدة، ولما بلغ الأربعين، اعتزل في منزله، وعكف على التصنيف، ذكر له من المؤلفات نحو ٦٠٠ مؤلف، من أشهر كتبه الجامع الكبير؛ الجامع الصغير في أحاديث النذير البشير؛ الإتيقان في علوم القرآن؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، وغيرها، توفي بالقاهرة ٩١١هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ٣/٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢.

(٣) الإتيقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م ٢/٢٣٠.

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٣/٢٨١.
(٥) سورة الأعراف، الآية، (١٤٥).



١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿فَخَذَّهَا بِقُوَّةٍ﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (وقلنا له خذها بقوة) ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التأكيد على وجوب الالتزام بكل ما أتى منه سبحانه وتعالى فالمقام مقام حزم وجد، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

ورد العدول في قوله تعالى: ﴿فَخَذَّهَا﴾ بصيغة الخطاب المباشر وذلك بعد أن كان الأسلوب للمتكلم في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا﴾ وكان مقتضى السياق في ظننا أن يقال: فقلنا له خذها ولكن جاء هذا العدول ليمثل لنا مشهد غاية في الإجلال والمهابة ويؤكد على وجوب الالتزام بكل ما من شأنه أتى من قبل الله قال الطبري: «وَقُلْنَا لِمُوسَى إِذْ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاخِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ: خُذِ الْأَلْوَاخَ بِقُوَّةٍ. وَأَخْرَجَ الْخَبَرَ عَنِ الْأَلْوَاخِ، وَالْمُرَادُ مَا فِيهَا. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الْقُوَّةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهَا بَجْدٍ»^(١)

وقال بعض المفسرين: «﴿فَخَذَّهَا﴾ على إضمار قولٍ معطوف على كتبنا فقلنا خذها ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدٍ وعزيمة وقيل هو بدلٌ من قوله تعالى فَخُذْ مَا آتَيْتِكَ وَالضَّمِيرُ لِلأَلْوَاخِ أَوْ لِكُلِّ شَيْءٍ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى الْأَشْيَاءِ أَوْ لِلرَّسَالَةِ أَوْ لِلتَّوْرَةِ»^(٢)

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول هو التأكيد على وجوب الالتزام بكل ما أتى منه سبحانه وتعالى فالمقام مقام حزم وجد.

(١) جامع البيان، للطبري، ١٠ / ٤٣٩.

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٣ / ٢٧٠، والاتقتات في القرآن الكريم، خديجة البناني، ٤٣١ / ١١٥.



الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة التكم في قوله تعالى: ﴿مِنْ رَبِّي﴾ للمقتضى الظاهر أن يقال: (مِنْ رَبِّي) ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التأكيد على وجوب الإيمان بها ولتكون حجة عليهم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الألويسي مبينا السر في العدول: «﴿بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بمنزلة البصائر للقلوب بها تُبصر الحق وتدرک الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرةٌ ومن متعلقةٌ بمحذوفٍ هو صفةٌ لبصائر مفيدةٌ لفخامتها أي بصائرٌ كائنةٌ منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد وجوب الإيمان به» (٢)

والى مثل هذا ذهب الألويسي فقال: «وهذا مبتدأ وبصائر خبره، وجمع خبر المفرد لاشتماله على آيات وسور جعل كل منها بصيرة، ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لبصائر مفيدة لفخامتها أي بصائر كائنة منه تعالى، والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد وجوب الإيمان بها» (٣)

(١) سورة الأعراف، الآية، (٢٠٣).

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٣/ ٣٠٩، و الالتفات في القرآن الكريم، خديجة البناني، ٤٣٢.

(٣) روح المعاني، للألويسي، بتصرف، ٥/ ١٤٠.

والمعنى: وإذا لم تأت أيها الرسول هؤلاء المشركين بأية من القرآن وتراخى الوحي بنزولها، أو بأية مما اقترحوه عليك من الآيات الكونية، إذا لم تفعل ذلك قالوا لك بجهالة وسفاهة لولا اجْتَبَيْتَهَا أَي: هلا جمعتها من عند نفسك واخترعتها اختراعاً بعقلك، أو هلا ألححت في الطلب على ربك ليعطيك إياها ويجمعها لك. قل لهم يا محمد على سبيل التبكيت رداً على تهكمهم بك إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي أَي: إنما أنا متبع لا مبتدع فما يوحيه الله إلي من الآيات أنا أبلغه إليكم بدون تغيير أو تبديل. ثم أرشدهم - سبحانه - إلى أن هذا القرآن هو أعظم المعجزات، وأبين الدلالات وأصدق الحجج والبيانات فقال: هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. أَي: هذا القرآن بمنزلة البصائر للقلوب، به تبصر الحق. وتدرك الصواب وهو هداية لكم من الضلالة، ورحمة من العذاب لقوم يؤمنون به، ويعملون بإرشاداته ووصاياه (١)

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول هو التأكيد على وجوب الإيمان بها ولتكون حجة عليهم.

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، ٥ / ٤٦١.

المبحث الثامن سورة الأنفال

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

الموضع: قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾^(١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: وأن لكم - تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الزيادة في تحقيرهم والإيذان لظهور وصفهم بالكفر، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الزمخشري: «والكاف في لك لخطاب الرسول (عليه السلام)، أو لخطاب كل واحد، وفي ذلكم للكفرة، على طريقة العدول»^(٢)

وقال الألويسي: «فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي أصابكم فذوقوه عاجلاً مع أن لكم عذاب النار أجلاً، فوقع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به»^(٣)

(١) سورة الأنفال، الآية، (١٤).

(٢) الكشاف، للزمخشري، ٢/ ٢٠٥.

(٣) روح المعاني، بتصرف، ٥/ ١٦٨.



وقال بعض المفسرين: «العدول: في الآية الكريمة، حيث أن الخطاب فيها مع الكفرة على طريق العدول من الغيبة»^(١)

والمعنى: ذلكم، أي ضرب الأعناق، عقاب الدنيا، وأن لكم عذاب النار في الآخرة مع جميع الكافرين، والذوق مجاز في الإحساس والعلاقة الإطلاق، وقوله: وأن للكافرين عذاب النار عطف على الخبر المحذوف، أي: ذلكم العذاب وأن عذاب النار لجميع الكافرين»^(٢)

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الزيادة في تحقيرهم والإيذان لظهور وصفهم بالكفر. العدول عن الغيبة إلى التكلم.

الموضع: قال تعالى: ﴿كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۗ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾^(٣)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (فأهلكهم)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أن الربوبية تحمل الرحمة مع الخلق، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود موضحا السر في العدول: «وإضافة الآيات إلى

(١) الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، بتصرف، ٩/ ١٨٦.

(٢) (١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٩/ ٢٨٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية، (٥٤).



الرب المضاف إلى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب، والعدول إلى نون العظمة في أهلكنا جرياً على سنن الكبرياء لتهويل الخطب» (١)

والمعنى: ﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كرره لزيادة التشنيع والتوبيخ على إجرامهم أي: شأن هؤلاء وحالهم كشأن وحال المكذبين السابقين حيث غيروا حالهم فغير الله نعمته عليهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾، أي: أهلكناهم بسبب ذنوبهم بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالخسف وبعضهم الحجارة، وبعضهم بالغرق ولهذا قال: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾، أي: أغرقنا فرعون وقومه معه ﴿وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾، أي: وكل من الفرق المكذبة كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرّضوها للعذاب (٢)

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن العدول إلى نون العظمة في أهلكنا جرياً على سنن الكبرياء لتهويل الخطب.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٢٩/٤، وروح المعاني، للأوسى، ٥/ ٢١٧.
(٢) صفوة التفسير، لمحمد علي الصابوني، ٤٧٣.



المبحث التاسع سورة التوبة

العدول عن الغيبة إلى الخطاب.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ، فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مَّعْجِزٌ بِاللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

ورد العدول في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ بصيغة الخطاب بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الغيبة في أول الآية الكريمة عند قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾، وكان مقتضى السياق استمرار طبيعة الغيبة فتكون - فإن تابوا فهو خير لهم.

٢/ سبب العدول:

المطالع لنص الآية الكريمة يتبين له أن سبب العدول هو زيادة التهديد والتشديد وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء

بمطالعة كتب التفسير وجد الباحث أن أبا السعود علل للعدول بقوله: «: عدول من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التهديد والتشديد» (٢)

(١) سورة التوبة، الآية، .

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٤/٤٢.



وقال الشوكاني: «قوله» ﴿فَإِنْ تُبْتِئْ﴾، أي: من الكفر، وفيه عدول من الغيبة إلى الخطاب، قيل: وفائدة هذا العدول زيادة التهديد، والضمير في قوله فهو راجع إلى التوبة المفهومة من تبتم خير لكم مما أنتم فيه من الكفر ﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾، أي: عرضتم عن التوبة، وبقيتم على الكفر فاعلموا أنكم غير معجزى الله أي: غير فائتين عليه، بل هو مدرككم، فمجازيكم بأعمالكم. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هذا تهكم بهم، وفيه من التهديد ما لا يخفى»^(١)

وقال بعض المحدثين: «لما كان امر التوبة والرجوع إلى الله امر عظيم الشأن وهذا الأمر العظيم لا يناسبه إلا الخطاب المباشر يرفه المولى العليّ القدير بنفسه الشريفة إلى عباده الأبيين إليه والنفس تكون أشد قرباً عند المواجهة بالخير لذا أتى الخطاب المباشر ليدعوهم إلى طرق باب التوبة دون تردد ووجل ويؤيد هذا ما جاء في نهاية الآية فقد عاد الأسلوب إلى الغيبة عند ذكر العذاب ليتناسب وحالة الجفاء والخزي لأولئك المبعدين الكافرين»^(٢)

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول هو زيادة التهديد والتشديد.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ فُؤُةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضُّمٌ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣)

(١) فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني، بتصرف، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ، ٢ / ٣٨١.
(٢) الالتفات في القرآن الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناني ص ١٢٢.
(٣) سورة التوبة، الآية، (٦٩).



١/ موضع العدول:

جاء العدول في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ حيث جاء بصيغة الخطاب، وقد عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(١)، وكان مقتضى الظاهر استمرار أسلوب الغيبة بأن يقال: ﴿كالذين من قبلهم﴾.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية يجد أن سبب العدول هو التشديد، وزيادة التقرير والذم.

٣/ آراء العلماء:

ذكر بعض المفسرين العلة في العدول والمتأمل في أقوالهم يجد أن العلة في العدول واحدة وهي التشديد وزيادة التقرير والذم فقال أبو السعود: «عدول من الغيبة إلى الخطاب للتشديد»^(٢)

وإلى مثل هذا ذهب الألوسي فقال مبيناً غرض العدول: «﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ عدول من الغيبة إلى الخطاب للتشديد، والكاف في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف أي أنتم مثل الذين من قبلكم من الأمم المهلكة»^(٣)

وجاء في التفسير الوسيط: «جاء على أسلوب العدول من الغيبة إلى الخطاب لجزر المناققين، وتحريك نفوسهم إلى الاعتبار والاعتاظ، والكاف في قوله: ﴿كَالَّذِينَ﴾ للتشبيه، وهي في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: أنتم -أيها المنافقون- حالكم كحال الذين خلوا من

(١) سورة التوبة، الآية، (٦٨)

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٤/٨١.

(٣) روح المعاني، للألوسي، ٥/٣٢٣.



قلكم من الطغاة في الانحراف عن الحق، والاغترار بشهوات الدنيا وزينتها»^(١)

وقال بعض المعاصرين مبيناً ذلك الباعث: «فيه عدول من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التقرير والذم»^(٢)

في ضوء تعليل العلماء أرى أن العلة في العدول في الآية الكريمة واحدة في الآراء السابقة، وإن اختلفت المسميات عندهم، إلا أنها تظهر السر أنه التقرير والذم.

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْحَيَاةُ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ﴾^(٣)

١/ موضع العدول:

ورد العدول في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾، وكان مقتضى الظاهر استمرار أسلوب الغيبة بأن يقال: (فاستبشروا المؤمنون ببيعكم الذي بايعوا)، ولكن جاء العدول لعلها بينها العلماء.

٢/ سبب العدول

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول من الغيبة إلى الخطاب هو التشريف والرفع من شأن المخاطب.

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى ١٩٩٨، ٦/ ٣٤٥.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ، ١٠/ ٢٩٣.

(٣) سورة التوبة، الآية، (١١١).



٣ / آراء العلماء :

يَبْنُ أبو السعود غرض العدول، فقال: «(فَأَسْتَبْشِرُوا) عدول إلى الخطاب تشریفاً لهم على تشریف وزيادة لسرورهم على سرور» (١)

وإلى مثل هذا ذهب بعض العلماء (٢)

وزاد بعض المفسرين على قول أبي السعود: « وفيه زيادة تقرير بيعهم وإشعار بكونه مغايراً لسائر البياعات، فإنه بيع للفاني بالباقي وكلا البديلين له سبحانه وتعالى» (٣)

وذهب بعض الباحثين إلى أن السر في العدول هو أن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه القبيح قط، ولا ترى في الجهاد أحسن منه وأبلغ (٤)

في ضوء ما سبق من كلام العلماء أرى أن الغرض في العدول من الغيبة إلى الخطاب هو التشریف، فتحول السياق من الغيبة إلى خطاب المؤمنين في قوله: ﴿فَأَسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بآيتم به﴾؛ لأن في خطابهم بذلك تشریفاً لهم.

(١) ارشاد العقل السليم، لأبي السعود، بتصرف، ٢ / ٤٥١

(٢) روح المعاني، للألوسي، ٦ / ٢٩، والجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ، ٤١/١١.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان القنوجي، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ٤٠٦ / ٥.

(٤) بلاغة فن الالتفات في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه للطالب/ ظاهر الدين، ص ٦٣.



الفصل الثالث
أسلوب العدول من سورة يونس
وحتى سورة مريم
وتحته تسعة مباحث



المبحث الأول سورة يونس

العدول عن الغيبة إلى الخطاب.

الموضع: قال تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ اِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا اَنْتَقُولُوْنَ عَلٰى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ۗ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

ورد العدول في قوله تعالى: ﴿اِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ ۗ﴾، فقد عدل عن الغيبة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿عِنْدَكُمْ﴾ وذلك لعله يقتضيها السياق.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية يتبين له أن السبب في العدول هو المبالغة والتأكيد كما سنوضحه في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفسير تبين للباحث ما ذهب إليه المفسرون فقال البيضاوي موضعا غرض العدول: «مبالغة في تجهيلهم وتحقيقاً لبطان قولهم» (٢)

والمقصود بالمبالغة في تجهيلهم، أن الله أراد أن يوضح أنهم قد وصلوا حداً في الجهالة كبيراً، وقد استدعى هذا الحد من الجهالة المجيء

(١) سورة يونس، الآية، (٦٨).

(٢) أنوار التنزيل، للبيضاوي، بتصرف، ٢٠٠٨/٣.

بأسلوب يدل عليه من جهة، ويؤكد بطلانه من جهة أخرى.

وقال أبو السعود والأوسى: «والعدول إلى الخطاب لمزيد المبالغة في الإلزام والإفحام من التوبيخ والنقريع على جهلهم واختلافهم»^(١)

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن فائدة العدول هي مزيد المبالغة في الإلزام والإفحام.

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيب.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِّرْكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ رِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُجِيبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿يُسِّرْكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: وجرين بكم - تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو المبالغة كأنه تعالى يذكر حالهم لغيرهم لتعجبهم منها، ويستدعى منهم مزيد الإنكار، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٤/١٥١، وروح المعاني، للأوسى، ١٥٥/١١.

(٢) سورة يونس، الآية، (٢٢).



قال بعض العلماء: «والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب، قال الله جل وعز: (حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِحَمِّ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) كانت المخاطبة للأمة، ثم صرفت إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) إخباراً عنهم، وقال عنتره (١):

شَطَّطَ مَزَارُ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِراً عَلَيَّ طِلَابُكَ ابْنَةُ مَخْرَمٍ (٢)

فكان يحدث عنها ثم خاطبها (٣)

وقال ابن فارس: «باب تحويل الخطاب من الشاهد إلى الغائب العربُ تخاطبُ الشاهدَ، ثم تحول الخِطَابُ إلى الغائب، وذلك كقول النَّابِغَةِ (٤):

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالسَّنْدُ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ (٥)

(١) عنتره بن شداد بن عمرو بن معاوية العبسي، (ت نحو ٢٢ ق هـ) الأعلام ٩١/٥.

(٢) البيت من الكامل ينظر: ديوان النابغة الذبياني اعتنى به حمدو طمَّاس طبعة دار المعرفة بيروت لبنان طبعة ثانية ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م، ص ١٨٦، ومخرم اسم رجل، وقيل: اسمه مخرمة ثم رخم في النداء، ومعناه: شطت عيلة مزار العاشقين، أي: بعدت مزارهم شرح المعلقات التسع لأبي عمرو الشيباني تحقيق وشرح عبد المجيد همّو، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت طبعة أولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م، ص ٢٢٠.

(٣) ١ الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم نشر/ دار الفكر العربي طبعة الثالثة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م ١٧/٣..

(٤) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ينظر: طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي تحقيق/ محمود محمد شاكر نشر/ دار المدني - جدة بدون تاريخ ١/ ٥١، والأعلام للزركلي ٣/ ٥٤.

(٥) البيت من البسيط، ينظر: ديوانه، ص ٣٢، طبعة دار المعرفة، بيروت لبنان، طبعة ثانية ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م، والعلياء: مكان مرتفع من الأرض، والسند: سند الوادي في الجبل وهو ارتفاعه حيث يسند فيه، أي: يصعد فيه شرح المعلقات التسع لأبي عمرو الشيباني ٨٤، ٨٥.



فخاطب، ثم قال: أقوت، وفي كتاب الله - جلّ ثناؤه -: ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِحَمِّ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ (١)

وقال الزمخشري: « فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت: المبالغة، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح (٢)»

وقال الرازي: ما الفائدة في صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة؟ الجواب فيه وجوه: الأول: المقصود هو المبالغة كأنه تعالى يذكر حالهم لغيرهم لتعجبهم منها، ويستدعي منهم مزيد الإنكار والتقبيح، والثاني: إن مخاطبته تعالى لعباده، هي على لسان الرسول (عليه الصلاة والسلام)، فهي بمنزلة الخبر عن الغائب، وكل من أقام الغائب مقام المخاطب، حسن منه أن يرده مرة أخرى إلى الغائب، الثالث: وهو الذي خطر بالبال في الحال، أن الانتقال في الكلام من لفظ الغيبة إلى لفظ الحضور فإنه يدل على مزيد التقرب والإكرام، وأما ضده وهو الانتقال من لفظ الحضور إلى لفظ الغيبة، يدل على المقت والتبعيد (٣)

وقال أبو حيان: « والذي يظهر - والله أعلم - أن حكمة العدول هنا هي أن قوله: هو الذي يسيركم في البر والبحر، خطاب فيه امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين، والمسирون في البر والبحر مؤمنون وكفار، والخطاب شامل، فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح على الشكر. ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع، فلما ذكرت حالة آل الأمر في آخرها إلى أن الملتبس بها هو باغ في الأرض بغير الحق، عدل عن الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصدور مثل

(١) الصحابي في فقه اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، طبعة المكتبة السلفية القاهرة ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م ١٨٣.

(٢) الكشاف، للزمخشري، بتصرف، ٢/ ٣٢٣.

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي، ١٧/ ٥٦.



هذه الحالة التي آخرها البغي»^(١)

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو المبالغة كأنه تعالى يذكر حالهم لغيرهم لتعجبهم منها، ويستدعي منهم مزيد الإنكار.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَكُمُ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَآذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٢)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿مَآذَا يَسْتَعْجِلُ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَكُمُ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: ماذا تستعجلون منه - تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو أن الله سبحانه أعرض عنهم وجعلهم في عداد الغائبين، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الزمخشري: «فإن قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه؟ قلت: أريد الدلالة

على موجب ترك الاستعجال وهو الإجمام، لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وإن أبطأ فضلا أن يستعجله»^(٣)

(١) البحر المحيط، لأبي حيان، ٦/ ٣٣.

(٢) سورة يونس، الآية، (٥٠).

(٣) الكشاف، للزمخشري، ٢/ ٢٥١، أنوار التنزيل، للبيضاوي، ٢٨١.

والمعنى: تتدموا على الاستعجال، أو تعرفوا الخطأ منكم فيه وقيل: إن الجواب قوله: أثم إذا ما وقع وتكون جملة: ماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضاً، والمعنى: إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان. والأول أولى. وإنما قال: يستعجل منه المجرمون، ولم يقل يستعجلون منه، للدلالة على ما يوجب ترك الاستعجال، وهو الإجماع، لأن من حق المجرم أن يخاف من العذاب بسبب إجرامه، فكيف يستعجله؟^(١)

وقال بعض الباحثين: «وكان مقتضى الظاهر أن يقال: ماذا تستعجلون منه ولكنه - سبحانه - أعرض عنهم وجعلهم في عداد الغائبين»^(٢)

وأرى من خلال العرض السابق لأراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن الله سبحانه أعرض عنهم وجعلهم في عداد الغائبين.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع: قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا كُنَّا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (عنا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

(١) فتح القدير، للشوكاني، ٢/ ٥١٣.

(٢) الالتفات في القرآن الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناني، بتصرف، ١٨٦.

(٣) سورة يونس، الآية، (٦١).

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التعرض لعنوان الربوبية من الإشعار باللطف ما لا يخفى، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبيناً السر في هذا العدول: «التعرض لعنوان الربوبية من الإشعار باللطف ما لا يخفى»^(١)

وإلى مثل هذا ذهب الألوسي^(٢)

وقال بعض الباحثين: «إن صيغة الغيبة تناغمت مع العزوب وتناسبت وانسجمت وصيغة الغيبة أدخلت على الموقف الرهبة والخشية من الشيء المجهول»^(٣)

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التعرض لعنوان الربوبية من الإشعار باللطف ما لا يخفى.

العدول عن الغيبة إلى التكلم

الموضع: قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَسْرَارَهُمْ سَتَعَجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٤)

١/ موضع العدول:

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٥٨/٤.

(٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ١٣٦/٦.

(٣) الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، خديجة البنانى ص ٢٧٧.

(٤) سورة يونس، الآية، (١١).



جاء العدول في قوله تعالى: ﴿فَنذُرُ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (فيذر)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو للدلالة على التشديد في الوعيد، وهذا ما كشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود: «﴿فَنذُرُ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد، وهو عطف على مقدر تنبئ عنه الشرطية، كأنه قيل: لكن لا نفع ذلك لما تقتضيه الحكمة فنتركهم إمهالاً واستدراجاً»^(١)

وقال الألويسي: «وقوله سبحانه: ﴿فَنذُرُ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، أي: نتركهم إمهالاً واستدراجاً في طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء وإنكار البعث والجزاء وما ينفرع على ذلك من الأعمال السيئة والمقالات الشنيعة يَعْمَهُونَ أي يترددون ويتحIRON»^(٢)

والمعنى: يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده، أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم أو أولادهم بالشر، في حال ضجرهم وغضبهم، وأنه يعلم منهم عدم القصد إلى إرادة ذلك، فلهذا لا يستجيب لهم والحالة هذه لطفاً ورحمة، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأولادهم بالخير والبركة^(٣)

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو للدلالة على التشديد في الوعيد، ومعناه:

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٤/ ١٢٥.

(٢) روح المعاني، للألويسي، ٦/ ٧٥.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير، لمحمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م / ٢ / ١٨٥.



نتركهم إمهالا واستدرجا في طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء وإنكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك.
العدول عن التكلم إلى الخطاب.

الموضع: قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿تَوَفَّاكُمْ﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿أَعْبُدُ اللَّهَ﴾ للومقتضى الظاهر أن يقال: (أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم) ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو المبالغة في الوعيد والتهديد والتشديد، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الرازي: « فَإِنْ قِيلَ: مَا الْحِكْمَةُ فِي ذِكْرِ الْمَعْبُودِ الْحَقِّ فِي هَذَا الْمَقَامِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ: الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ. قُلْنَا فِيهِ وَجُوهٌ الْأَوَّلُ: يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنِّي أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ أَوَّلًا ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ثَانِيًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثَالِثًا، وَهَذِهِ الْمَرَاتِبُ الثَّلَاثَةُ قَدْ قَرَرْنَاهَا فِي الْقُرْآنِ مِرَارًا وَأَطْوَارًا فَهَهُنَا كُنْتُمْ بِذِكْرِ التَّوْفِيِّ مِنْهَا لِكُونِهِ مُنْبَهًا عَلَى الْبُتُوَاقِي.

الثَّانِي: أَنَّ الْمَوْتَ أَسَدُ الْأَشْيَاءِ مَهَابَةً، فَخُصَّ هَذَا الْوَصْفَ بِالذِّكْرِ فِي هَذَا الْمَقَامِ، لِيَكُونَ أَقْوَى فِي الرَّجْرِ وَالرَّدْعِ. الثَّالِثُ: أَنَّهُمْ لَمَّا اسْتَعْجَلُوا نُزُولَ الْعَذَابِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ

(١) سورة يونس، الآية، (١٠٤).

فَبِهِمْ قُلٌ فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ فَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يُهْلِكُ أَوْلِيكَ الْكُفَّارَ وَيُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ وَيَقْوِي دَوْلَتَهُمْ فَلَمَّا كَانَ قَرِيبَ الْعَهْدِ بِذِكْرِ هَذَا الْكَلَامِ لَا جَرَمَ قَالَ هَاهُنَا: وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّأَكُمْ وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا قَرَّرَهُ وَبَيَّنَّهُ فِي تِلْكَ الْآيَةِ كَأَنَّهُ يَقُولُ: أَعْبُدْ ذَلِكَ الَّذِي وَعَدَنِي بِإِهْلَاكِهِمْ وَبِإِنْقَائِي» (١٢)

وقال أبو السعود مشيراً إلى السر في العدول: «وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقاً بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للإيدان بأن أقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب» (١٣)

وقال القاسمي: «وفي تخصيص التوفي بالذكر، متعلقاً بهم - ما لا يخفى من التهديد، إذ لا شيء أشد عليهم من الموت» (١٤)

وقال بعض المحدثين: «وقدم - سبحانه - ترك عبادة الغير على عبادته - عز وجل -، إيداناً بمخالفتهم من أول الأمر، ولتقديم التولية على التحلية، وتخصيص التوفي بالذكر، للتهديد والترهيب، أي: ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم فيفعل بكم ما يفعل من العذاب الشديد، ولأنه أشد الأحوال مهابة في القلوب.» (١٥)

والمعنى: قل يا محمد للناس جميعاً: يا أيها الناس إن كنتم تشكون في ديني فأنتم مخطئون، فإن الله لا يشك فيه، وإنما الشك في دينكم، ولا تعبدون الله، وإني لا أعبد أحداً غيره، فلا أعبد شيئاً على الإطلاق

(١) سورة يونس، الآيتان، (١٠٢، ١٠٣).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي، ١٧ / ٣٠٨، و الالتفات في القرآن الكريم الى آخر سورة الكهف، ص ٤٣٣.

(٣) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، بتصرف، ٤ / ١٧٩.

(٤) محاسن التأويل، للقاسمي، ٦ / ٦٧.

(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، ٧ / ١٤٠.



مما تعبدون من دون الله، من الأصنام والأوثان، من حجارة ومعادن وغيرها لأنها لا تضر ولا تنفع، وإنما أعبد الله الخالق البارئ القادر الذي يتوفاكم كما أحياكم، ثم إليه مرجعكم، وأمرني ربي أن أكون من المصدقين به تصديقا تامًا، عارفاً به تمام المعرفة. وقوله سبحانه: وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ تذكير بالموت الذي قهر الله به العباد، وفرغ النفوس به، وإيضاح أن المصير إلى الله بعد الموت. والتوفي دليل على بدء الخلق والإعادة جميعاً. (١)

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول هو المبالغة في الوعيد والتهديد والتشديد.

العدول عن الخطاب إلى التكلم.

الموضع: قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أكونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أكونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (وَأُمِرْتُمْ أَنْ تكونوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التصديق بأنه لا إكراه في الدين ولا جبر على أحد أن يدخله دون اقتناع، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

جاء العدول في الآية في قوله تعالى: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أكونَ ﴾ بصيغة

(١) التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، بتصرف، ٢/ ١٠١٥.

(٢) سورة يونس، الآية، (١٠٤).

التكلم، وذلك بعد صيغة الخطاب في ﴿يتوفاكم﴾ ولكن لأن الأمر بالإيمان خاص به صلى الله عليه وسلم عدل إلى صيغة التكلم في أمرت، وهذا يدل على أن دين الله من الوضوح والبيان ما يجعله عنى عن الإكراه فيدخل فيه من يدخل دون جبر ولا قسر ولكن يتسابق إليه العقلاء بعد اقتناعهم به الاقتناع التام بأنه الحق الذي لا بديل له ومن أصر على كفره فهو كالأنعام بل أضل سبيلا فلو سار السياق كسابقه لجاء المقطع وأمرتم أو أمرنا أنا وأنتم أن تكون من المؤمنين، ولكن هذا بخلاف المقصود حيث قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدَّبْتِنَ الرُّشْدِ مِنَ الْغَيِّ﴾ (١) (٢)

قال الشوكاني: «وأمرت أن أكون من المؤمنين، أي: بأن أكون من جنس من آمن بالله وأخلص له الدين» (٣)

وعليه فهذا الخبر العظيم لا يدخل فيه المخاطبون بقوله تعالى: يتوفاكم، والمعنى: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جاء ذكر الأمر ولم يذكر الأمر سبحانه وتعالى الذي يعرفون أنه الخالق وحده؛ لأنه حاضر في النفس دائما؛ لأن الأمر من الله يكون معه أمر العقل والإدراك المستقيم، والبرهان الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالأمر إذا جاء من الله الخالق الواحد الأحد جاء من العقل المدرك وجاء من الآيات البيّنات، وقوله تعالى: ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه (أن) مصدرية، والأمر بالكينونة بهذه الصفة يفيد أن يكون مندمجا بها في المؤمنين في جمعهم الطاهر البعيد عن الوثنية (٤)

في ضوء ما سبق أرى أن سر العدول في الآية الكريمة هو التصديق بأنه لا إكراه في الدين ولا جبر على أحد أن يدخله دون اقتناع.

(١) سورة البقرة، الآية، (٢٥٦).

(٢) الالتفات في القرآن الكريم الى آخر سورة الكهف، ص ٤٣٧.

(٣) فتح القدير، للشوكاني، بتصرف، ٢/ ٥٤٢.

(٤) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ٧/ ٣٦٤٣.



المبحث الثاني سورة هود

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيب.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيَّ يُمَغِّبْكُمْ مَنَعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ. وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾^(١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَوَلَّوْا﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: ماذا تستعجلون منه - تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو أن الله سبحانه صرف سبحانه المخاطبة عنهم عند توليهم وغياب ضمانتهم وبعدهم عن الحق إلى الضلالة، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وإن أعرضوا عما دعوتهم إليه، من إخلاص العبادة لله، وترك عبادة الآلهة، وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة إليه، فأدبروا مؤلّين عن ذلك، ﴿فَأِنِّي﴾، أيها القوم، ﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾، شأنه عظيم هوّله، وذلك يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون»^(٢)

(١) سورة هود، الآية، .

(٢) جامع البيان، للطبري، بتصرف، ١٥ / ٢٣١.

وقال ابن عطية: «وقرأ جمهور «وإن تولوا» بفتح التاء واللام، فبعضهم قال الغيبة، أي فقل لهم: إني أخاف عليكم، وقال بعضهم معناه فإن تتولوا فحذفت التاء والآية كلها على مخاطبة الحاضر»^(١)

وقال بعض الباحثين: «أن الله سبحانه صرف سبحانه المخاطبة عنهم عند توليهم وغياب ضمائرهم وبعدهم عن الحق إلى الضلالة»^(٢)

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن الله صرف المخاطبة عنهم عند توليهم وغياب ضمائرهم.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخَفُوا مِنْهُ الْأَجِينَ يَسْتَعْشُونَ يَا بَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾^(٣)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾، من قوله تعالى ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤)، ومقتضى الظاهر أن يقال: ألا إنكم تتنون - تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو أن الله سبحانه أعرض عنهم الله جل ثناؤه بعد أن خاطبهم لإعراضهم، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

- ١) المحرر الوجيز، لابن عطية، ٣/ ١٥٠.
- ٢) الالتفات في القرآن الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناي، ١٨٦.
- ٣) سورة هود، الآية، (٥).
- ٤) سورة هود، الآية، .

قال الزمخشري: «يَتَنَوَّنَ صُدُورُهُمْ يَزُورُونَ عن الحق وينحرفون عنه، لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدرة، ومن ازورَّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ يعني: ويريدون ليستخفوا من الله، فلا يطلع رسوله والمؤمنين على أوزارهم»^(١)

وقال القاسمي^(٢): «ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى إِعْرَاضَهُمْ بِجِسْمِهِمْ أَيْضًا، إِلَى الْإِشَارَةِ إِلَى تَوَلِّيهِمْ بِقَلْبِهِمْ، بِقَوْلِهِ: أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنَ صُدُورَهُمْ أَي: يَزُورُونَ عَنِ الْحَقِّ وَاسْتِمَاعَهُ بِصُدُورِهِمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَلْمُ مَا يُسِرُّونَ أَي فِي قُلُوبِهِمْ وَمَا يُعْلِنُونَ أَي: يَجْهَرُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَي بِمَا فِي ضَمَائِرِ الْقُلُوبِ، وَنَظِيرُ مَا حَكَى هُنَا عَنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ مِنْ كِرَاهَتِهِمْ لِاسْتِمَاعِ كَلَامِهِ تَعَالَى»^(٣)

وقال بعض الباحثين: «وأكد سبحانه على شدة غضبه عليهم بتغيير الأسلوب من الخطاب إلى الغيبة»^(٤)

وأرى من خلال العرض السابق لأراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن الله سبحانه أعرض عنهم الله جل ثناؤه بعد أن خاطبهم لإعراضهم.

العدول عن الغيبة إلى التكلم.

الموضع: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَحْنُ لَهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٌ﴾^(٥)
١) الكشاف، للزمخشري، ٢/ ٣٧٩.

٢) جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط، ولد بدمشق، سنة ١٢٨٣هـ، إمام أهل الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الأدب، كان سلفي العقيدة لايقول بالتقليد، توفي رحمه الله بدمشق، سنة ١٣٣٢هـ. الأعلام للزركلي ٢/ ١٣٥.

٣) محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ، ٦/ ٧٤.

٤) الالتفات في القرآن الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة اللبناني، ١٨٨.

٥) سورة هود، الآية، (٥٨).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿بَجَيْنًا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجِّنَهُمْ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾^(١)، ومقتضى الظاهر أن يقال: (فيذر)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو للدلالة على التفضيم والتهويل، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود موضحاً سر العدول: «وفي التعبير عنه بالأمر مضافاً إلى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفضيم والتهويل أو ورد أمرنا بالعذاب»^(٢)

والمعنى: بين - سبحانه - نزول العقاب بالكافرين ونجاة المؤمنين برحمة كريمة منه، وحسبها شرفاً أنها من رب العالمين، وبين سبحانه أن النجاة كانت عظيمة؛ لأنها نجاة من عذاب شديد، كما بين سبحانه أن العذاب غليظ أي شديد لا رفق فيه^(٣)

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن التعبير عنه بالأمر مضافاً إلى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفضيم والتهويل.

(١) سورة هود، الآية، (٥٧).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ٤/ ٢١٩.

(٣) زهرة التفسير، لأبي زهرة، بتصرف، ٧/ ٣٧٢٠.



العدول عن الخطاب إلى التكلم.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (إِنَّ رَبِّي وَرَبِّكُمْ) ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول أنه من باب الاحتراس وأمن اللبس فلو لا هذا الأسلوب العدولي لفهم دخول آلهة القوم المزعومة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود في حديثه عن الآية: «﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ يعني: أنكم وإن بذلتم في مُضَارَّتِي مجهودكم لا تقدرن على شيء مما تريدون بي فإنني متوكِّلٌ على الله تعالى وإنما جيء بلفظ الماضي لكونه أدلَّ على الإنشاء المناسب للمقام وواثق بكلاءتي وحفظي عن غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني أمرٌ إلا بإرادته ومشيتته ثم برهن عليه بقوله: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾، أي: إلا هو مالكٌ لها قادرٌ عليها يُصْرِفُهَا كيف يشاء غير مستعصية عليه فإن الأخذ بالناصية تمثيلٌ لذلك ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ تعليلٌ لما يدل عليه التوكُّل من عدم قدرتهم على إضراره أي هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم عليّ إذ لا يضيع عنده معتصمٌ ولا يفتاتٌ عليه ظالمٌ والاقتصارُ على إضافة الربِّ إلى (١) سورة هود، الآية، (٥٦).

نفسه إما بطريق الاكتفاء لظهور المراد وإما لأن فائدة كونه تعالى مالكا لهم أيضاً راجعةً إليه (عليه الصلاة والسلام)»^(١)

وقال القاسمي: «وقوله تعالى: إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تعليل لما يدل عليه التوكل، من عدم قدرتهم على إضراره. أي هو على طريق الحق والعدل في ملكه، فلا يسلطكم عليّ، إذ لا يضيع عنده معتصم به، ولا يفوته ظلم»^(٢)

وقال بعض الباحثين معللاً للعدول في الآية الكريمة: « قيل من باب الاحتراس وأمن اللبس فلولا هذا الأسلوب العدولي لفهم دخول آلهة القوم المزعومة ومكنه أغلق وأوصد الباب أمام هذا الوسواس تمييزاً للآله الحق عن غيره من آلهة القوم الباطلة»^(٣)

والمعنى: إن ربي قد اقتضت سنته أن يسلك في أحكامه طريق الحق والعدل وما دام الأمر كذلك فلن يسلطكم على لأنه - حاشاه - أن يسلط من كان متمسكا بالباطل، على من كان متمسكا بالحق، واكتفى هنا بإضافة الرب إلى نفسه، للإشارة إلى أن لطفه - سبحانه - يشمل هودا وحده ولا يشملهم، لأنهم أشركوا معه في العبادة آلهة أخرى^(٤).

في ضوء ما سبق أرى أن سر العدول في الآية الكريمة هو من باب الاحتراس وأمن اللبس فلولا هذا الأسلوب العدولي لفهم دخول آلهة القوم المزعومة ومكنه أغلق وأوصد الباب أمام هذا الوسواس تمييزاً للآله الحق عن غيره من آلهة القوم الباطلة.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾^(٥)

- ١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود، بتصرف، ٤/٢١٨.
- ٢) محاسن التأويل، القاسمي، بتصرف، ٦/١٠٩.
- ٣) الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، ٤٣٨.
- ٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، ٧/٢٢٧.
- ٥) سورة هود، الآية، (٩٠).



١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ للومقتضى الظاهر أن يقال: (إِنَّ رَبَّكُمْ) ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تحريض لهم على مشاركته في الانتساب إلى هذا الرب الرحيم الودود، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال ابن عاشور مشيراً إلى سر العدول: «وجملة إن ربي رحيم ودود تعليل الأمر باستغفاره والتوبة إليه، وهو تعليل لما يقتضيه الأمر من رجاء العفو عنهم إذا استغفروا وتابوا، وتقنن في إضافة الرب إلى ضمير نفسه مرة وإلى ضمير قومه أخرى لتذكيرهم بأنه ربهم كيلا يستمروا على الإعراض وللتشرف بانتسابه إلى مخلوقيته»^(١)

وقال بعض المحدثين مبيناً سر العدول: «وفي العدول عن لفظ (ربكم) الذي يقتضيه النظم - إلى قوله: (ربي) تحريض لهم على مشاركته في الانتساب إلى هذا الرب الرحيم الودود، رب شعيب الذي أضاف نفسه إليه، ونال ما نال من رحمته وودّه»^(٢)

وذكر بعض المحدثين العدول في الآية ولم يعلل له فقال: «عدول من الخطاب إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾^(٣)»^(٤)

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، بتصرف، ١٢/ ١٤٧

(٢) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، ٦/ ١١٩١

(٣) سورة هود، الآية، (٩)

(٤) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى



والمعنى: يطلب إليهم أن يستغفروا ربهم، بأن يطلبوا مغفرته عما ارتكبوا ويرتكبون من شرك، وسوء في المعاملات، وعسى الله أن يغفر لهم، ثم يتوبوا إليه، أي يرجعوا إليه بعد أن بعدوا، وكانت التوبة بعيدة عن الاستغفار، وكذا عطف بـ (ثُمَّ) للدلالة على عظم ما ارتكبوا، وقبح ما فعلوا، ولكن الله تعالى يغفر، وقد كلل قبوله التوبة، ومغفرته بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ أي إنه بسبب رحمته بخلقه، وقربه منهم بالمودة يغفر لهم، ويقبل توبتهم، فبين شعيب الرفيق باب الرجوع إليه، ويعرفهم أنه قريب من عباده، قيل أن ينزل بهم عقاب يوم شديد. (١)

في ضوء ما سبق أرى أن سر العدول في الآية الكريمة هو تحريض لهم على مشاركته في الانتساب إلى هذا الرب الرحيم الودود، رب شعيب الذي أضاف نفسه إليه.

الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت ص ٢١٢.
زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ٧/ ٣٧٤٣.



المبحث الثالث سورة يوسف

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع: قال تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الدلالة على فخامة شأنه عز وجل، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول: «والعدول إلى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز وعلا وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى» (٢١).

(٢) سورة يوسف، الآية، (٧٦).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٢٩٨/٤



وقال الألويسي: «والعدول إلى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز شأنه وجلالة مقدار علمه المحيط جل جلاله ما لا يخفى. وإن جعل عبارة عن التعليم المستتبع للإفتاء فالرفع عبارة عن ذلك التعليم، والإفتاء وإن كان لم يكن داخلا تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم، والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ إلى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الإفتاء الذي سيصدر عن إخوته إذ لم يكن متمكنا من غرضه في أخيه إلا بذلك»^(١)

وأرى من خلال كلام العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الدلالة على فخامة شأنه تعالى وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى.

(١) روح المعاني، للألويسي، بتصرف، ٧ / ٢٩.



المبحث الرابع سورة الرعد

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيب.

الموضع: قال تعالى: ﴿وَسِيحُ الرِّعْدِ بِمَحْمَدِهِ وَأَمَلَتِكُمْ مِنْ خِيفَتِهِ. وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾^(١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ نَجْح﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ﴾، من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثُّقَالَ﴾^(٢)، ومقتضى الظاهر أن يقال: وأنتم تجادلون - تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو للإيذان بإسقاطهم عن درجة الخطاب والإعراض عنهم، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود موضحاً السر في العدول: «وقد التفت إلى الغيبة إيذاناً بإسقاطهم عن درجة الخطأ وإعراضاً عنهم وتعديداً لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كأنه قيل هو الذي يفعل أمثال هذه الأفاعيل

(١) سورة الرعد، الآية، (١٣).

(٢) سورة الرعد، الآية، (١٢).



العجيبة من إراءة البرق وإنشاء السحابِ الثقَالِ وإرسالِ الصواعقِ الدالةِ على كمالِ علمه وقدرته ويعقلُها مَنْ يعقلُها من المؤمنين أو الرعدُ نفسه أو الملكُ الموكلُ به والملائكةُ ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوفِ من هيئته تعالى وهم أي الكفرة الذين حُكيت هَنَاتُهُمْ مع ذلهم وهوانهم وحقارة شأنهم»^(١)

وإلى مثل هذا ذهب القاسمي فقال: «وقد التفت إلى الغيبة إيدانا بإسقاطهم عن درجة الخطاب وإعراضاً عنهم، وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب. كأنه قيل: هو الذي يفعل أمثال هذه الأفاعيل العجيبة، من إراءة البرق وإنشاء السحابِ الثقَالِ وإرسالِ الصواعقِ الدالة على كمالِ علمه وقدرته. ويعقلها من يعقلها من المؤمنين أو الرعد نفسه والملائكة، ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيئته تعالى و(هم) أي الكفرة الذين حُكيت هَنَاتُهُمْ مع ذلهم وهوانهم وحقارة شأنهم، يجادلون في شأنه تعالى، بإنكار البعث واستعجال العذاب، استهزاء واقتراح الآيات. قالوا ولعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى: هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ»^(٢)

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن العدول إلى الغيبة إيدانا بإسقاطهم عن درجة الخطاب وإعراضاً عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَا فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِنَتَلَّوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾^(٣)

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ١٠/٥.

(٢) محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، بتصرف، ٦/٢٧٠.

(٣) سورة الرعد، الآية، (٣٠).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿بِالرَّحْمَنِ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة

التكلم في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَاكَ، أَوْحَيْنَا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (علينا)،

ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو المبالغة في الرحمة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبيناً السر في هذا العدول: «والعدول إلى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث إنا الإرسال ناشئ منها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ فلم يقدرُوا قدره ولم يشكروا نعمه لاسيما ما انعم به عليهم بأرسال مثلك إليهم، وإنزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدينية عليهم»^(١)

وقال الألوسي: (إلا أنه التفت إلى الظاهر وأوثر هذا الاسم الدال على المبالغة في الرحمة، للإشارة إلى أن الإرسال ناشئ منها كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾)^(٢)

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة أنه قد أثر هذا الاسم الدال على المبالغة في الرحمة، للإشارة إلى أن الإرسال ناشئ منها.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٢١/٥.

(٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ١٥٢/١٣.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَلَّهٌ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: (وَأَلَّهٌ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (علينا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

بمطالعة كتب التفسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبيناً السر في هذا العدول: «وفي العدول من التكلم إلى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وترتبة المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالإشارة إلى العلة ما لا يخفى» (٢)

٣/ آراء العلماء:

قال محيي الدين الدرويش «فيه عدول بليغ، وقد سبق ذكر العدول مشفوعاً بالأمثلة والشواهد ونزيده هنا بسطاً بصدد ما يتعلق بالآية فقول: الرجوع عن خطاب النفس إلى الغيبة في الآية وبناء الحكم على الاسم الجليل ينطوي على أعظم الأسرار وأبهرها فإنه لما أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة المشوبة بالتحذير كان لا بد أن يتوجه إليهم بالخطاب ليريهم مكان القوة والعظمة لديه، عاد إلى تصوير الفخامة والمهابة، وتحقيق مضمون الخبر بالإشارة إلى العلة التي هي السبب في إتيان الأرض وانتقاص أطرافها وأدالة الأمر من قوم لقوم، ونقل السيطرة من الظالمين بالأمس إلى المظلومين (١) سورة الرعد، الآية، (٤١).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ٢٨/٥.



ومن الغالبين بالأمس إلى المغلوبين وهذه الفخمية لا تتأتى إلا بإيراد الكلام في معرض الغيبة فقال ملتفتا والله يحكم في خلقه بما يشاء لا راد لحكمه ثم أردف ذلك بقوله لا معقب لحكمه ولا مبطل لمشيئته وثالث بقوله وهو سريع الحساب فكل شيء محسوب لديه واما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا»^(١)

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة جاء للدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر، وبالإشارة إلى العلة ما لا يخفى.

(١) (٢) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش، ١٣٦/٥، ١٣٧.



المبحث الخامس سورة إبراهيم

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيب.

الموضع: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُعَلِّمُ وَمَا يُخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: وما يخفي عليك من شيء تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو إظهار علة الحكم وهو عدم خفاء شيء على الله، ولتربية المهابة، وهذا ما سنتبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود في سر العدول: «والعدول من الخطاب إلى اسم الذات

المستجمعة للصفات لتربية المهابة والإشعار بعلّة الحكم» (٢). وأما عن نسبة قوله تعالى: ﴿وَمَا يُخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فقال الشوكاني:

(١) سورة إبراهيم، الآية، (٣٨).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٥/ ٥٣.



وأما قوله: ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فقال جمهور المفسرين: هو من كلام الله سبحانه تصديقا لما قاله إبراهيم من أنه سبحانه يعلم بما يخفيه العباد وما يعلنونه، فقال سبحانه: وما يخفى على الله شيء من الأشياء الموجودة كائنا ما كان، وإنما ذكر السموات والأرض لأنها المشاهدة للعباد، وإلا فعلمه سبحانه محيط بكل ما هو داخل في العالم، وكل ما هو خارج عنه لا تخفى عليه منه خافية. قيل: ويحتمل أن يكون هذا من قول إبراهيم تحقيقا لقوله الأول، وتعميما بعد التخصيص، ثم حمد الله سبحانه على بعض نعمه الواصلة إليه «(١)» وقال الألوسي مبينا سر العدول: «والعدول من الخطاب إلى الاسم الجليل للإشعار بعلّة الحكم والإيذان بعمومه لأنه ليس بشأن يختص به أو بمن يتعلق به بل شامل لجميع الأشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدئية الكل» «(٢)»

وأرى من خلال العرض السابق لأراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تربية المهابة والإشعار بعلّة الحكم.
العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ «(٣)»

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: (أَنْزَلْنَاهُ)، ومقتضى الظاهر أن يقال: (بِإِذْنِنَا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

(١) فتح القدير، للشوكاني، بتصرف، ٣ / ١٣٥.

(٢) روح المعاني، للألوسي، ٧ / ٢٢٨.

(٣) سورة إبراهيم، الآية، .



٢ / سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تعظيم لأمر الإذن فالإذن بمثابة تصريح بالمرور، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣ / آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال الألوسي مبينا السر في هذا العدول: «وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة الى ضميرهم اظهرهم مزيد اللطف بهم»^(١)

وأضاف بعض المحدثين: «ففي وضع الرب مضافا الى ضميره (عليه الصلاة والسلام) موضع نون العظمة بطريق العدول في تضاعيف بيان حال إبراهيم (عليه

السّلام) ما لا يخفى من إظهار مزيد اللطف والعناية به (صلى الله عليه وسلم)»^(٢)

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة جاء لإظهار مزيد اللطف والعناية به (صلى الله عليه وسلم).

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^(٣)

(١) روح المعاني، للألوسي، ٧ / ٢٠٠.

(٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي، بتصرف، ٧ / ٢٠٩.

(٣) سورة إبراهيم، الآية، (٥).



١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿بِأَيِّمٍ لِّلَّهِ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: ﴿بِأَيَّامِنَا﴾، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو فخامة الأيام، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبيناً السر في هذا العدول: «والعدول من التكلم إلى الغيبة بإضافة الأيام إلى الاسم الجليل للإيذان بفخامة شأنها والإشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما توهمه الإضافة إلى ضمير المتكلم أي عظمهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد»^(١)

وقال الألوسي «والعدول من التكلم إلى الغيبة بإضافة الأيام إلى الاسم الجليل للإيذان بفخامة شأنها والإشعار - على ما قيل - بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه الإضافة إلى ضمير المتكلم»^(٢)

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة جاء للإشعار بفخامة شأن الأيام.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٣٣/٥.

(٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٧/ ١٧٨.



العدول عن الغيبة إلى التكلم.

الموضع: قال تعالى: ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾^(١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا ﴾^(٢)، ومقتضى الظاهر أن يقال: (قُلْ لِعِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو لكمال العناية بالصلاة والزكاة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال بعض المفسرين موضحاً سر العدول: « وفي قوله تعالى: «قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً» عدول عن الخطاب إلى الغيبة، إذ كان من مقتضى النظم أن يجيء الأمر هكذا: «قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً» فما سر هذا؟

والسر في هذا -والله أعلم- هو أنه لكمال العناية بالصلاة والزكاة، جعل الله سبحانه وتعالى الأمر بهما متوجهاً منه جل شأنه إلى عباده، الذين شرفهم بإضافتهم إليه بقوله: «قُلْ لِعِبَادِيَ» ولم يشأ سبحانه أن يقطعهم عنه، وأن يجعل النبي - صلوات الله وسلامه عليه - هو الذي يتولى أمرهم بقوله: «يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً»

(١) سورة إبراهيم، الآية، (٣١).

(٢) سورة إبراهيم، الآية، (٣٠).



وإنما جعل الرسول ناقلاً خطابه إلى عباده، كما يأمرهم ربهم به! (١)

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة جاء
لكمال العناية بالصلاة والزكاة، جعل الله سبحانه وتعالى الأمر بهما
متوجهاً منه جل شأنه إلى عباده، الذين شرفهم بإضافتهم إليه.

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب، بتصرف، ١٨٤/٧.



المبحث السادس سورة النحل

العدول عن الغيبة إلى الخطاب.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾^(١)

١/ موضع العدول:

ورد العدول في قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُونِ ﴾ حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿ نَزَّلُ ﴾، وقد جاء العدول لعله يقتضيها السياق.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية يجد أن السبب في العدول هو التخويف والتحذير وهذا ما ستوضحه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

ذكر الشوكاني العلة في العدول فقال: «أقول لكم أنذروا، أي: أعلموا الناس أنه لا إله إلا أنا أي: مروهم بتوحيدي وأعلموهم ذلك مع تخويفهم لأن في الإنذار تخويفا وتهديدا، والضمير في أنه للشأن فاتقون الخطاب للمستعجلين على طريق العدول، وهو تحذير لهم من الشرك بالله»^(٢)

وقال بعض المحدثين موضحا السر في العدول: «في الآية عدول

(١) سورة النحل، الآية، .

(٢) فتح القدير، للشوكاني، بتصرف، ١١٧/٣.



من الغيبة إلى الخطاب، تدبر معي قوله تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ حيث جاء النص بأسلوب الغيبة ثم جاء النص بالأمر بالتقوى ولكن بأسلوب الخطاب ﴿فَاتَّقُونَ﴾، ودلالة هذا العدول من الغيبة إلى الخطاب هو إبراز أهمية التقوى؛ لأن إنزال الملائكة وبعث الرسل كله لأجل أن ننقي ربنا، فلا نشرك به شيئاً ولا نعصيه، ولذا تغير الأسلوب؛ فإن من دلالات أسلوب العدول من الغيبة إلى الخطاب إعلاء شأن موضوع الخطاب»^(١).

وعليه من خلال العرض السابق لآراء العلماء أرى أن السر في العدول في الآية الكريمة عن الغيبة إلى الخطاب التخويف والتحذير من الشرك، وإبراز أهمية التقوى.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آٰنَيْتَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٢)

١/ موضع العدول:

ورد العدول في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَتَمْتَعُوا﴾ حيث عدل عن الغيبة في

قوله تعالى: إلى الخطاب، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: ﴿فيتمتعوا﴾، لملائمة السياق.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية يجد أن سبب العدول هو التهديد والوعيد، وسوف يتضح ذلك من خلال آراء العلماء.

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، لسامي وديع عبد الفتاح، بتصرف، ٥.

(٢) سورة النحل، الآية، (٥٥).



٣ / آراء العلماء

ذكر البيضاوي أن الخطاب للتهديد فقال: «لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْكُفْرِ عَنْهُمْ كَأَنَّهُمْ قَصَدُوا بِشُرْكِهِمْ كُفْرَانَ النِّعْمَةِ، أَوْ إِنكَارِ كُونِهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. فَتَمَتَّعُوا أَمْرَ تَهْدِيدٍ. فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ أَعْلَظَ وَعَيْدِهِ، وَقُرئَ فِيمَتَّعُوا مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ عَطْفًا عَلَى لِيَكْفُرُوا، وَعَلَى هَذَا جَازٌ أَنْ تَكُونَ اللَّامُ لِأَمْرِ الْوَارِدِ لِلتَّهْدِيدِ وَالْفَاءُ لِلجَوَابِ»^(١)

وقال أبو السعود موضحاً الغرض من العدول: «﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ أَمْرٌ تَهْدِيدٌ وَالْعُدُولُ إِلَى الْخَطَابِ لِلإِذَانِ بِتَآهِي السَّخَطِ وَقُرئَ بِالْيَاءِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ عَطْفًا عَلَى لِيَكْفُرُوا عَلَى أَنْ يَكُونَ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ وَالتَّمَتُّعُ غَرْضًا لَهُمْ مِنَ الإِشْرَاقِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّامُ لِأَمْرِ الْوَارِدِ لِلتَّهْدِيدِ»^(٢) وَإِلَى مِثْلِ هَذَا ذَهَبَ الْأَلُوسِيُّ^(٣)

وصرح الشوكاني بأن العدول في الآية للتهديد والترهيب فقال: «ثم قال سبحانه على سبيل التهديد والترهيب ملتقاً من الغيبة إلى الخطاب فتمتعوا بما أنتم فيه من ذلك فسوف تعلمون عاقبة أمركم وما يحل بكم في هذه الدار وما تصيرون إليه في الدار الآخرة»^(٤)

وقال ابن عاشور: «والخطاب للفريق الذين يشركون بربهم على طريقة العدول. والأظهر أنه مقول لقول محذوف. لأنه جاء مفرعاً على كلام خوطب به الناس كلهم كما تقدم، فيكون المفرع من تمام ما تفرع عليه. وذلك ينافي العدول الذي يقتضي أن يكون مرجع الضمير إلى مرجع ما قبله»^(٥)

- ١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، بتصرف، ٣ / ٢٣٠.
- ٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٥ / ١٢٠.
- ٣) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٧ / ٤٠٦.
- ٤) فتح القدير، للشوكاني، ٣ / ٢٠٣.
- ٥) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٤ / ١٧٩.



وذهب بعض المحدثين أن السبب في العدول هو التهديد؛ لأن أسلوب الخطاب أبلغ في التهديد، فقال: «(فتمتعوا) أي بهذه الدنيا، وهذه الصيغة هي صيغة أمر (فتمتعوا)، ولكن يقصد بها تهديد الكفار، بأن قيل: لهم تمتعوا في الدنيا كما تشاءون فالعذاب قادم وسوف تعلمون، وقع في الآية عدول من الغيبة ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ إلى الخطاب ﴿فتمتعوا فسوف تعلمون﴾؛ زيادة في التهديد؛ لأن أسلوب الخطاب أبلغ في التهديد»^(١)

وأرى من خلال ما سبق من أقوال العلماء أن العدول جاء في الآية الكريمة للتهديد، وذلك لأن أسلوب الخطاب أبلغ في التهديد»

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَشُنْئُنَا عَمَّا كُتِبَ تَفَرُّونَ﴾^(٢)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَشُنْئُنَا عَمَّا كُتِبَ تَفَرُّونَ﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (ليسألن) لملائمة السياق.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو قصد التهديد كما سنوضحه في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود بعد ان ذكر الموضع: «وفي تصدير الجملة بالقسم وصرْفِ الكلام من الغيبة إلى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى»^(٣)

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، لسامي وديع عبد الفتاح، ص ١١١.

(٢) سورة النحل، الآية، (٥٦).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٢١/٥، و تنوع صور الالتفات في القرآن الكريم ومقاصده البلاغية والإعجازية، رسالة ماجستير،

وقال ابن عاشور مبينا الغرض من العدول: «ثم وجه الخطاب إليهم على طريقة

العدول لقصد التهديد. ولا مانع من العدول هنا لعدم وجود فاء التفرع وتصدير جملة التهديد والوعيد بالقسم لتحقيقه، إذ السؤال الموعود به يكون يوم البعث وهم ينكرونه فناسب أن يؤكد، والقسم بالتاء يختص بما يكون المقسم عليه أمرا عجيبا ومستغربا»^(١)

وقد وضح بعض المحدثين الغرض من العدول فقال: «هذا تهديد للكفار، وجاء العدول من أسلوب المتكلم ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾ إلى أسلوب الخطاب ﴿لِتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾؛ لما مر غير مرة بأن أسلوب الخطاب أعظم في التهديد؛ لما يحمل في معناه من المواجهة وتقصير المسافة المشعرة - في مثل هذا المقام - بالخوف لمن كان له قلب»^(٢)

وأرى من خلال كلام العلماء السابق أن الغرض من العدول في الآية الكريمة هو قصد تهديد الكفار وتوبيخهم لتكذيبهم الأنبياء.

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾، حيث عدل عن الغيبة في (وَيَعْبُدُونَ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ) في قوله تعالى:

إسماعيل الحاج عبد القادر، جامعة السودان أم درمان، كلية اللغة العربية ٢٠٠٨م، ص ١٣٣.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، بتصرف، ١٤ / ١٨١.

(٢) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي، بتصرف، الناشر: دار الوضاح، الأردن، عمان، ص ١١٣.

(٣) سورة النحل، الآية، (٧٤).



﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾^(١) وكان مقتضى الظاهر أن يقال: (فلا يضربوا) لملائمة السياق.

٢/ سبب العدول:

المطالع لآية يتبين له أن السبب في العدول هو الاهتمام بما نُهوا عنه وسيوضح ذلك السبب في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا الغرض من العدول بعد أن ذكر موضع العدول: (عدول)

إلى الخطاب للإيذان بالاهتمام بشأن النهي، أي لا تشركوا به شيئاً، والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد إلى النهي عن الإشراف به تعالى في شأن من الشؤون)^(٢)

وبين الألويسي أن وجود الفاء هنا للدلالة على ترتيب النهي على ما عدد الله عليهم من نعمه، إذ قال: «عدول إلى الخطاب للإيذان بالاهتمام بشأن النهي، والفاء للدلالة على ترتيب النهي على ما عدد من النعم الفائضة عليهم منه تعالى»^(٣)

ويرى الباحث أن السر في العدول من الغيبة إلى الخطاب في الآية الكريمة هو الاهتمام بشأن النهي، وهذا ما وضحه بعض المحدثين فقال: «وسبب العدول أن أسلوب الخطاب أبلغ في مقام الأمر والنهي؛ لأنه يختصر المسافات الذهنية، ويكون مباشراً وقوياً، بينما جاء سابقاً الإخبار بأسلوب الغيبة؛ للإعراض عن الكفار بسبب ما هم فيه من الضلال»^(٤)

(١) سورة النحل، الآية، (٧٣).

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، بتصرف، ١٢٨/٥.

(٣) روح المعاني، للألويسي، ١٩٣/١٤.

(٤) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق، سامي وديع، ص ١٤٩.

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: عما تشركون - تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبيناً سر العدول: «والعدول إلى الغيبة للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين تفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهي عنه بالمنتزه عنه»^(٢)

وقال الألوسي: «والتعبير بالمضارع للدلالة على تجدد إشراكهم واستمراره والعدول إلى الغيبة للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم للغير وهذا لا يتأتى على تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين»^(٣)

وقال ابن عاشور: «وقرأ الجمهور يشركون بالتحية على طريقة

(١) سورة النحل، الآية، .

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٩٥/٥.

(٣) روح المعاني، للألوسي، ٣٣٦/٧.



العدول، فعدل عن الخطاب ليختص التبرؤ من شأنهم أن ينزلوا عن شرف الخطاب إلى الغيبة»^(١)

وقال بعض المحدثين: «وعبر عن قرب إتيان أمر الله - تعالى - بالفعل الماضي (أتى) للإشعار بتحقق هذا الإتيان، وللتنويه بصدق المخبر به، حتى لكان ما هو واقع عن قريب، قد صار في حكم الواقع فعلا. وفي إبهام أمر الله، إشارة إلى تهويله وتعظيمه، لإضافته إلى من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وقوله: (فلا تستعجلوه) زيادة في الإنذار والتهديد، أي: فلا جدوى من استعجالكم، فإنه نازل بكم سواء استعجلتم أم لم تستعجلوا، والظاهر أن الخطاب هنا للمشركين، لأنهم هم الذين كانوا يستعجلون قيام الساعة، ويستعجلون نزول العذاب بهم، وقد حكى القرآن عنهم ذلك في آيات»^(٢)

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَّمَتِ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٣)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:

وبالنجم أنتم تهتدون - تمشياً مع سابقه.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، بتصرف، ٩٨/١٤.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، ٨/ ١٠٠.

(٣) سورة النحل، الآيتان، (١٥، ١٦).



٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو التنديد على قريش،

وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

ذكر المفسرون أن الموضع أفاد التخصيص، فقد ذكر الزمخشري أن الكلام إنما تلَوْن بهذا الأسلوب لأن قريشاً كان لهم علم بالنجوم لم يكن لغيرهم مثله إذ قال: (فان قلت: وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه (النجم) مقحم فيه (هم)، كأنه قيل: وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون فمن المراد ب (هم)؟

قلت: كانه أراد قريشاً، كان لهم اهتداء بالنجوم في مسائرهم، وكان لهم علم بذلك لم يكن مثله لغيرهم، فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصّصوا^(١)

والى مثل ذلك أشار أبو حيان^(٢) والبيضاوي^(٣) وأبو السعود بقوله: «وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم وإقحام الضمير للتخصيص، كأنه قيل: وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم وأوجب عليهم»^(٤)

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التنديد بقريش وتهديدهم لتكذيبهم الرسول.

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٥)

(١) الكشاف، للزمخشري، ٤٠٤/٢، و مدارك التنزيل، للنسفي، ٢٠٥٢/٢.

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان، ٥٠٥/٦.

(٣) أنوار التنزيل، للبيضاوي، ٣٩١/٣، ٣٩٠.

(٤) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ١٠٤/٥، وروح المعاني، للألوسي

١٦٧/١٤.

(٥) سورة النحل، الآية، (٧٢).



١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: تشركون، تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الإيذان باستيجاب مالهم للإعراض عنهم وصرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

يتبين من خلال دراسة كتب التفسير أن أبا السعود قد وضع العدول في الآية فقال: «والعدول إلى الغيبة للإيذان باستيجاب حالهم للأعراض عنهم، وصرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين تعجباً لهم مما فعلوه»^(١)

وإلى مثل هذا أشار الألوسي^(٢)، وغيره^(٣)

إن كون الموضع أفاد التعجب، على ما أشار المفسرون، فيه مزيد إنكار على الكفر مما يستوجب معه التعجب من هذا الكفر، وسياق الآيات يوضح هذا الأمر، لأن الله تعالى قد بين لهم مسيرة حياة الناس ونهاية مالهم فقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُنَوِّفُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَوَّلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾^(٤)

ثم بين أن الناس غير متساوين في الرزق بل هناك تفضيل بينهم لعلة أو حكمة الله يعلمها، ولما كان السؤال عن هذا التفضيل غير

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ١٢٨/٥.

(٢) روح المعاني، للألوسي، ١٩٢/١٤.

(٣) (٦) أسرار التكرار في القرآن، للكرماني، بتصرف، ١٢٥/١.

(٤) سورة النحل، الآية، (٧٠).



جائز ويجب التسليم به من دون إنكاره، وبخهم بقوله: ﴿أَفِينِعْمَةَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^(١)، أي: كيف يكون منهم جحد لهذه النعمة التي هي الخلق من العدم وتقدير الرزق؟.

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإيذان باستيجاب ما لهم للإعراض عنهم وصرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين.
العدول عن الغيبة إلى التكلم.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾^(٢)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿فِي اللَّهِ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو زيادة تأكيد المعنى ونقل هذا الوعد العظيم وهذه البشرية السارة بنفسه إلى المهاجرين، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال بعض المحدثين موضحا سر العدول: « في قوله تعالى ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ عدول من الغيبة إلى المتكلم، وتأمل معي سياق الآية، ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾.

(١) سورة النحل، الآية، (٧١).

(٢) سورة النحل، الآية، (٤١).



الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)، وهذا العدول لتأكيد وعد المؤمنين بخيري الدنيا والآخرة ولتعظيم أمره. - ولما كانت الهجرة بترك الأوطان والسكن، جاء أجر المهاجرين بتهيئة السكن لهم (والذين هاجروا في الله... لنبوئنهم)، وهذا ما يسمى في المحسنات اللفظية بالطباق^(١)

وقيل العدول لزيادة تأكيد المعنى ونقل هذا الوعد العظيم وهذه البشرية السارة بنفسه إلى المهاجرين^(٢)

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو زيادة تأكيد المعنى ونقل هذا الوعد العظيم وهذه البشرية السارة بنفسه إلى المهاجرين.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُ الْإِنْسَانَ إِلَهًا إِلَّا أَنْ يُرِيدَ اللَّهُ ذُلًّا لَوْ لَا فَاكِرًا فِي آيَاتِهِ ﴾^(٣)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (لَيَبُوتَنَّهْمُ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو المبالغة في التخويف والترهيب، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الزمخشري موضحاً سر العدول: « فَأَيَّيَ فَأَرْهَبُونَ نقل للكلام

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، لسامي وديع عبد الفتاح شحادة القومى، بتصرف، ص ٨٣.

(٢) الالتفات في القرآن الكريم الى آخر سورة الكهف، ٣٩٦.

(٣) سورة النحل، الآية، (٥١).



عن الغيبة إلى التكلم، وجاز لأنَّ الغالب هو المتكلم، وهو من طريقة العدول، وهو أبلغ في الترهيب من قوله: وإياه فارهبوه، ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم»^(١) قال الرازي: «وَهَذَا رُجُوعٌ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْحُضُورِ، وَالتَّقْدِيرُ: أَنَّهُ لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ الْإِلَهَ وَاحِدٌ وَتَبَيَّنَ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَهُهُ، فَحِينَئِذٍ تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ لِلْعَالَمِ إِلَّا الْمُتَكَلِّمُ بِهَذَا الْكَلَامِ، فَحِينَئِذٍ يَحْسُنُ مِنْهُ أَنْ يَعْدِلَ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْحُضُورِ، وَيَقُولَ: فَإَيَّيَ فَارْهَبُونَ وَفِيهِ دَقِيقَةٌ أُخْرَى وَهُوَ أَنَّ قَوْلَهُ: فَإَيَّيَ فَارْهَبُونَ يُفِيدُ الْحَضَرَ، وَهُوَ أَنَّ لَا يَرْهَبُ الْخَلْقَ إِلَّا مِنْهُ، وَأَنْ لَا يَرْغَبُوا إِلَّا فِي فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ»^(٢)

وقال بعض المحدثين: «وفي الآية عدول من الغيبة» وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد» إلى المتكلم ﴿فإياي﴾، ولم يأت النص «فإياه فارهبوا»؛ لأن العدول من الغيبة إلى التكلم يدل على كمال الاعتناء بالأمر^(٣)

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن العدول من الغيبة إلى التكلم يدل على كمال الاعتناء بالأمر، كيف لا، والأمر هو أمر توحيد الله؟! وكأن الله يقول لهم: أنا ذلك الإله الواحد فارهبوني.

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرِئَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ بصيغة التكلم حيث عدل

(١) الكشف، للزمخشري، ٢/ ٦١٠.

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي، بتصرف، ٢٠/ ٢٢٠.

(٣) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، لسامي وديع القدومي، بتصرف، ١٠٣.

(٤) سورة النحل، الآية، (٦٣).



عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿ تَاللَّهِ ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (لَقَدْ أَرْسَلْ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو زيادة تأكيد الفعل والتشريف للرسول والمرسلين وما أرسلوا به، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال بعض المحدثين مبينا السر في العدول: «وما هذا العدول وهذا التعظيم إلا لأن شأن اعتناء الله بهؤلاء البشر الضعفاء أمر عظيم، فأرسال الرسل من الله سبحانه وتعالى ليس كإرسال رسل من البشر إلى البشر، لأن أمر إرسال الله رسله عظيم بكل جوانبه وتفصيله: بالمرسل سبحانه وتعالى، وبالرسالة المنزلة من عنده جل وعلا، وبما يترتب على الرسالة من عذاب وعقاب، وبالذي يحمل الرسالة من البشر، إلى غير ذلك من جوانب العظمة في قضية الإرسال»^(١)

وقال بعض الباحثين: « قيل السر في العدول هو زيادة لتأكيد الفعل والتشريف للرسول والمرسلين وما أرسلوا به»^(٢)

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو زيادة تأكيد الفعل والتشريف للرسول والمرسلين وما أرسلوا به.

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَاكَ حَسَنًا فَهُوَ يَفْقُهْ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٣)

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، سامي وديع القدومي، بتصرف، ١٢٧.

(٢) الالتفات في القرآن الكريم الى آخر سورة الكهف، ص ٣٩٩.

(٣) سورة النحل، الآية، (٧٥).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿رَزَقْنَاهُ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (رزقه الله)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تعظيم أمر الرزق الذي لا يتأتى إلا من عظيم لا يدانيه في عظمته أحد، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير يتبين أن السر في العدول هو تعظيم أمر الرزق الذي لا يتأتى إلا من عظيم لا يدانيه في عظمته أحد.

وقد أشار أبو السعود إلى موضعه من دون التطرق إلى غايته، إذ قال: (من) موصوفة معطوفة على (عَبْدًا)، أي: رزقناه بطريق الملك، والعدول إلى التكلم للإشعار باختلاف حالتي ضرب المثل والرزق^(١).

وزاد الألوسي على ما ذكره أبو السعود فقال: «وفي اختيار ضمير العظمة تعظيم لأمر ذلك الرزق ويزيد ذلك تعظيماً قوله سبحانه: ﴿مِنَّا﴾، أي: من جانبنا الكبير المتعالي»^(٢) فالأمر إذن هو للتعظيم كما عرفنا، ولكن لم حصل مثل هذا التعظيم في الرزق من دون غيره؟

وعليه المتأمل في سياق الآيات التي سبقت هذه الآية يجد الكلام منصباً على الرزق خاصة، فالله سبحانه ذكر نعمة إنزال الماء وإحياء الأرض بعد الموت وحث السامعين والمشاهدين على التفكير ولما كان الكلام منصباً على الرزق وتفريعاته وبيان ان الرازق هو الله، كان لا بد

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، بتصرف، ١٢٩/٥.

(٢) روح المعاني، للألوسي، ١٩٥/١٤.



من تغاير الأسلوب والتحول من الغيبة إلى التكلم ليكون أدخل في الإسماع وأشد تعظيماً لهذا الرزق.

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تعظيم أمر الرزق الذي لا يتأتى إلا من عظيم لا يدانيه في عظمته أحد.

الموضع الخامس: قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَحَبُّهُ وَهُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢)، ومقتضى الظاهر أن يقال: (رزقه الله)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو إظهار عظمة الهبة والواهب والموهوب، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود موضحاً السر في العدول: «والعدول إلى التكلم لإظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه عليه الصلاة والسلام»^(٣) وقال الألويسي: «والعدول إلى التكلم لإظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه عليه السلام»^(٤)

(١) سورة النحل، الآية، (١٢٢).

(٢) سورة النحل، الآية، (١٢١).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٤٩/٥.

(٤) روح المعاني، للألويسي.



والمعنى: هذا مثل من الأمثال التي يضربها الله.. وفيه الحجة البالغة، والبيان المبين، لما بين الحق والباطل، من بعد بعيد! فهذا عبد مملوك.. هو في يد مالكه، لا يملك من أمر نفسه شيئاً.. وهذا إنسان رزقه الله رزقا حسنا، ليس لأحد عليه سلطان، فهو ينفق من هذا الرزق الحسن كيف يشاء، سرا وجهرا.. يعطى من يشاء مما في يده، ويحرم من يشاء! فهل يستوى هذا، وذاك؟ هل يستوى العبد والسيد؟ هل يستوى المملوك والمالك؟ ثم هل يستوى المخلوق والخالق؟ هل يستوى من لا يملك ومن يملك؟ هل يستوى من لا يرزق ومن يرزق؟ العقلاء يحكمون بدهاة أن لا مساواة بين هذين النقيضين.. ثم يخرجون من هذا إلى الاتجاه إلى الله بالحمد على أن كشف لهم الطريق إليه، وعرفهم به (١)

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو إظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانته عليه السلام.

(١) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، ٧ / ٣٣٢.



المبحث السابع سورة الإسراء

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيب.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿ أَفَأَصْفِكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ لِيَذَكَّرُوا ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: لتذكروا، تمشياً

مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الاعراض عنهم والتشهير بما يفعلونه، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

ذكر المفسرون أن الموضع كان للإيذان باقتضاء حالهم مما يستوجب معه الإعراض من النبي - عليه الصلاة والسلام- عنهم، وأن يحكي للسامعين ما يحصل لهؤلاء من النفور من هذا القرآن فقال أبو السعود: «والعدول إلى الغيبة للإيذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكي للسامعين هناتهم، وقرئ بالتحنية من الذكر بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بـ (هذا القرآن) ما نطق ببطلان مقالته المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على أساليب مختلفة» (٢)

(١) سورة الإسراء، الآيتان، (٤٠، ٤١).

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ١٧٤/٥

وقال ابن عاشور: «فهو عدول من الخطاب إلى الغيبة، أو من خطاب المشركين إلى خطاب المؤمنين، وقوله: وما يزيدهم إلا نفورا تعجب من حالهم»^(١)

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الاعراض عنهم والتشهير بما يفعلونه.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمُ بِخَيْكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ الْأَغْرُورًا﴾^(٢)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ الْأَغْرُورًا﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعَتْ﴾، ومقتضى

الظاهر أن يقال: وعدهم وما تعدهم - تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو تقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود في تفسيره عن العدول في الآية: «والعدول إلى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه»

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٥ / ١٠٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية، (٦٤).



وبيان شأنه للناس، ومن الإشعار بعلية شيطنته للغرور وهو تزيينُ الخطأ بما يوهم أنه صواب» (١)

وقيل هي علي طريقة الاستخفاف به وبمن تبعه (٢)

وقال بعض المحدثين: «عدول من الخطاب إلى الغيبة، إهمالا لشأن الشيطان، وبيانا لحاله مع بني آدم حتى يحترسوا منه ويحذروه» (٣)

وأرى من خلال العرض السابق لأراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإشعار بخطر الشيطان وصدّه عن الطريق المستقيم، وتزيينه الخطأ بما يوهم أنه صواب لمن يتبعونه.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٤)

٢/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (الَّذِي بَارَكَ حَوْلَهُ لِيُرِيَهُ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٨٤/٥. وأيضا روح المعاني، للألوسي، ١٠٧/٨.

(٢) فتح القدير، للشوكاني، ٢٨٨/٣.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، ٨ / ٣٩١.

(٤) سورة الإسراء، الآية .

٢ / سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو ازدياد تلك البركات تشریفاً وتعظيماً ودليلاً على الاقتدار، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣ / آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفسير والبلاغة وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال ابن الأثير مبيناً السر في هذا العدول: «وهو خطاب غائب ولو جاء الكلام على مساق الأول لكان: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي ببارك حوله ليريه من آياته هو السميع البصير.. كان ذلك اتساعاً وتفنناً في أساليب الكلام، ولمقصد آخر معنوي هو أعلى وأبلغ، وسأذكر لك ما سنح لي فيه فأقول: لما بدأ الكلام بـ (سبحان) ردفه بقوله: ﴿الَّذِي أُسْرِيَ﴾ إذ لا يجوز ان يقال: الذي اسرينا. فلما جاء بلفظ الواحد، والله تعالى أعظم العظماء وهو أولى بخطاب العظيم في نفسه الذي هو بلفظ الجمع، استترك الأول بالثاني فقال: باركنا، ثم قال: لنزيه من آياتنا. فجاء بذلك على نسق ﴿بَارِكْنَا﴾ ثم: ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾، عطفاً على ﴿أُسْرِيَ﴾، وذلك موضع متوسط الصفة، لان السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره، وتلك حال متوسطة، فخرج بهما عن خطاب العظيم في نفسه إلى خطاب غائب فانظر إلى هذه الالتفاتات المترادفة في هذه الآية الواحدة التي جاءت لمعان اختصت بها، يعرفها من يعرفها ويجهلها من يجهلها»^(١)

وأضاف البيضاوي قائلاً: «وصرف الكلام من الغيبة إلى التكلم، لتعظيم تلك البركات والآيات»^(٢) وإلى مثل هذا ذهب أبو السعود^(٣)

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، ١٣٩/٢.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، ٢٤٨/٣.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٥٥/٥.



وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو ازدياد تلك البركات تشريفاً وتعظيماً ودليلاً على الاقتدار.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَتُوْلَاءَ وَهَتُوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿نُمَدُّ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (يمدّ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

التأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الاعتناء بشأنه تعالى والإشعار بعظمته وقدرته المطلقة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفسير وجدت أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبيناً السر في هذا العدول: «وإنما أُظْهِرَ إظهاراً لمزيد الاعتناء بشأنه وإشعاراً بعليته للحكم... والتعرض لعنوان الربوبية في الموضوعين للإشعار بمبدئيتها لما ذكر من الإمداد وعدم الحظر» (٢).

و إلى مثل هذا ذهب الألوسي فقال: «والإظهار في موضع الإضمار لمزيد الاعتناء بشأنه والإشعار بعليته للحكم.. والتعرض لعنوان الربوبية للإشعار بمبدئيتها لكل من الإمداد وعدم الحظر» (٣).

(١) سورة الإسراء، الآية، (٢٠).

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، بتصرف. ١٦٥/٥.

(٣) روح المعاني، للألوسي، ٤٨/١٥.

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تعظيم الله وبيان قدرته المطلقة على عباده.

العدول عن الغيبة إلى التكلم.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿بَرَكْنَا﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿الَّذِي﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (بارك حوله)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التشريف والتعظيم والدليل على الاقتدار، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

أشار المفسرون إلى موضع العدول وذكروا غايته من دون التوسع في شرحها، لكننا نجد في الجهة المقابلة أن ابن الأثير في (المثل السائر) قد توسع في تفصيل هذا الموضوع، إذ قال: (وهو خطاب غائب ولو جاء الكلام على مساق الأول لكان: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي برك حوله ليريه من آياته هو السميع البصير.. كان ذلك اتساعاً وتفنناً في أساليب الكلام، ولمقصد آخر معنوي هو أعلى وأبلغ، وسأذكر لك ما منح لي فيه فأقول: لما بدأ الكلام بـ ﴿سبحان﴾ ردفه بقوله: ﴿الَّذِي أَسْرَى﴾ إذ لا يجوز أن يقال: الذي أسرينا. فلما جاء بلفظ الواحد، والله تعالى أعظم

(١) سورة الإسراء، الآية .



العظماء وهو أولى بخطاب العظيم في نفسه الذي هو بلفظ الجمع، استدرك الأول بالثاني فقال: باركنا، ثم قال: لنريه من آياتنا. فجاء بذلك على نسق ﴿بَرَكْنَا﴾ ثم: ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾، عطفاً على ﴿أَسْرَى﴾، وذلك موضع متوسط الصفة، لأن السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره، وتلك حال متوسطة، فخرج بهما عن خطاب العظيم في نفسه إلى خطاب غائب فأنظر إلى هذه الالتفات المترادفة في هذه الآية الواحدة التي جاءت لمعان اختصت بها، يعرفها من يعرفها ويجهلها من يجهلها»^(١)

وما فصله ابن الأثير أجمله غيره من المفسرين، إذ نجد أبا حيان يقول: «وهو عدول من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم»^(٢)

فهو لم يصرح بفائدته، بل اكتفى ببيان موضعه، في حين نجد البيضاوي يذكر الفائدة بقوله: «وصرف الكلام من الغيبة إلى التكلم، لتعظيم تلك البركات والآيات»^(٣)

ومثله أبو السعود الذي قال: «والعدول إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات»^(٤)

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التشريف والتعظيم والدليل على الاقتدار.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنْفِقُونَ﴾ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبِكَمَا وَصَّمَا مَا وَوَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتِ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴿٥٠﴾

(١) المثل السائر، لابن الأثير، ٦/٢.

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان، بتصرف، ٥/٧.

(٣) أنوار التنزيل، للبيضاوي، ٤٣١/٣.

(٤) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ١٥٥/٥.

(٥) سورة الإسراء، الآية، (٩٧).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (ويحشرهم)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الإظهار لبشاعة هذه الصورة وهذا المنظر غير المؤلف ولا المعهود، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا السر في العدول: « عدول من الغيبة إلى التكلم إيداناً بكمال الاعتناء بأمر الحشر»^(١)

وقال الألويسي: « وفيه عدول من الغيبة إلى التكلم للإيدان لكمال الاعتناء بأمر الحشر»^(٢)

والمعنى: يقول الحق جلّ جلاله: وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ إلى الحق الذي جاء من قبله على أيدي الرسل، فَهُوَ الْمُهْتَدِ إليه، وإلى ما يؤدي إليه من الثواب، أو فهو المهتدي إلى كل مطلوب، وَمَنْ يُضِلُّ أَي: يخلق فيه الضلال، كهؤلاء المعاندين، فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ينصرونهم من عذابه، أو يهدونهم إلى طريقه، ويوصلونهم إلى مطالبهم الدنيوية والأخروية. ووجد الضمير أولاً في قوله: ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾: مراعاة للفظ «من»، وجمع ثانياً في ﴿لَهُمْ﴾ مراعاة لمعناها تلوياً بوحدة طريق الحق، وتعدد طرق الضلال، وَنَحْشُرُهُمْ، فيه عدول من الغيبة إلى التكلم إيداناً بكمال الاعتناء بأمر الحشر، أي: ونسوقهم يوم القيامة

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٩٦/٥.
(٢) روح المعاني، للألويسي، ٨/ ١٦٥.



عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ أَي: كَابِبِينَ عَلَيْهَا سَخْبًا»^(١)

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن عدول من الغيبة إلى التكلم للإيذان لكمال الاعتناء بأمر الحشر لهؤلاء المكذبين، وفيه تفخيم وتهويل من أمره.

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، ٢٣٥/٣.



المبحث الثامن سورة الكهف

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

الموضع: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (١)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ، لَكُمْ عَدُوٌّ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: بئس لكم - تمثيلاً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو إظهار الصورة القبيحة والبشعة لفسق هذا اللعين، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود موضحاً السر في العدول: «وفي العدول إلى الغيبة مع وضع الظالمين موضعَ الضمير من الإيذان بكمال السُّخْطِ والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلمٌ قبيحٌ ما لا يخفى» (٢)

(١) سورة الكهف، الآية، (٥٠).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٥/٢٢٨.



وقال ابن عاشور: « وَالْعُدُولُ فِي قَوْلِهِ: عَنِ أَمْرِ رَبِّهِ إِلَى التَّعْرِيفِ بِطَرِيقِ الْإِضَافَةِ دُونَ الضَّمِيرِ لِتَفْطِيحِ فَسْقِ الشَّيْطَانِ عَنِ أَمْرِ اللَّهِ بِأَنَّهُ فَسَقَ عَبْدٌ عَنِ أَمْرِ مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ طَاعَتُهُ لِأَنَّهُ مَالِكُهُ»^(١)

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو إظهار الصورة القبيحة والبشعة لفسق هذا اللعين إبليس.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع: قال تعالى: ﴿ وَعَرَضُوا عَلَيَّ رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾^(٢)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ عَلَيَّ رَبِّكَ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ سُرِرُوا وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ ﴾ من قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾^(٣)، ومقتضى الظاهر أن يقال: (علينا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تربية المهابة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول: « وفي العدول إلى

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٣٤١/١٥.

(٢) سورة الكهف، الآية، (٤٨).

(٣) سورة الكهف، الآية، (٤٧).

الغيبية وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم من تربية المهابة والجري على سنن الكبرياء وإظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى»^(١)

وإلى مثل هذا ذهب ابن عجيبة^(٢) فقال: «وفي العدول إلى الغيبة، وبناء الفعل للمفعول، مع التعرض لعنوان الربوبية، والإضافة إلى ضميره - عليه الصلاة والسلام - من تربية المهابة، والجري على سنن الكبرياء، وإظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى»^(٣) وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة جاء لتربية المهابة، والجري على سنن الكبرياء، وإظهار اللطف بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى.

العدول عن الغيبة إلى التكلم.

الموضع: قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(٤)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿بِرَبِّهِمْ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (وزادهم)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، بتصريف، ٥/ ٢٢٦، روح المعاني، للأوسى، بتصريف، ٨/ ٢٧٤.

(٢) أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الحسني الأنجزي (١١٦٠ - ١٢٢٤ هـ = ١٧٤٧ - ١٨٠٩ م): مفسر صوفي مشارك. من أهل المغرب. دفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان) له كتب كثيرة، منها (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد)، ينظر: الأعلام ١/ ٢٤٥.

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن عجيبة، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة الطبعة: ١٤١٩ هـ / ٣ / ٢٧٧.

(٤) سورة الكهف، الآية، (١٣).



٢/ سبب العدول:

الم تأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التعظيم لأمر الفتية وإظهار كمال الهداية بهم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود موضحاً سر العدول: « وفيه عدول من الغيبة إلى ما عليه سبك النظم سباقاً وسياقاً من التكلم »^(١)

وقال الألوسي: « وفي زِدْنَاهُمْ عدول من الغيبة إلى التكلم الذي عليه سبك النظم الكريم سباقاً وسياقاً، وفيه من تعظيم أمر الزيادة ما فيه »^(٢)

وافتح الجملة بحرف التأكيد لمجرد الاهتمام لا لرد الإنكار، وزيادة الهدى يجوز أن يكون تقوية هدى الإيمان المعلوم من قوله: آمنوا برهبهم بفتح بصائرهم للتفكير في وسائل النجاة بإيمانهم وألهمهم التوفيق والثبات، فكل ذلك هدى زائد على هدى الإيمان، ويجوز أن تكون تقوية فضل الإيمان بفضل التقوى^(٣)

والمعنى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾، أي: إنهم جماعة من الشبان آمنوا بالله فثبتناهم على الدين وزدناهم يقيناً^(٤)

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التعظيم لأمر الفتية وإظهار كمال الهداية بهم.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٥/٢١٠.

(٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٨/٢٠٨.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٥/٢٧١.

(٤) صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، ٢/١٧٠.

المبحث التاسع

سورة مريم

العدول عن الغيبة إلى الخطاب.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾^(١)

١/ موضع العدول:

ورد العدول في قوله تعالى: ﴿جِئْتُمْ﴾ حيث وردت اللفظة بصيغة الخطاب، بعد صيغة الغيبة في ﴿وَقَالُوا﴾ من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أُنْخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾^(٢) وهذا العدول لعله يقتضيها المقام.

٢/ سبب العدول:

المطالع لنص الآية يتضح له أن سبب العدول هو سيادة التسجيل عليهم بالجرأة وهذا ما سيتضح في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الزمخشري موضحاً سر العدول: «وهو الذي يسمى العدول في علم البلاغة، زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه، وتنبيه على عظم ما قالوا»^(٣)

ونذكر ابن الأثير^(٤) هذه الآية في معرض كلامه على أقسام العدول

(١) سورة مريم، الآية، (٨٩).

(٢) سورة مريم، الآية، (٨٨).

(٣) الكشاف، للزمخشري، ٥٢٤/٢.

(٤) نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب، ولد بجزيرة ابن عمر، سنة ٥٥٨هـ،



فذكر القسم الذي نحن بصده فقال معللاً: « وإنما قيل: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾ وهو خطاب للحاضر بعد قوله: ﴿ وَقَالُوا ﴾ وهو خطاب للغائب لفائدة حسنة، وهي زيادة التسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى والتعرض لسخطه وتنبيه لهم على عظم ما قالوه، كأنه يخاطب قوماً حاضرين بين يديه منكرًا عليهم وموبخاً لهم»^(١).

المطالع للنص السابق يتضح له أن الفائدة عند ابن الأثير لا تقتصر على أمر واحد بل تشتمل على أمرين: الأول: زيادة التسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى وهذا أمر اتفق فيه الجميع، والثاني: الإنكار عليهم والتوبيخ لهم، وهذا أمر انفرد به ابن الأثير، فلم يشر أحد منهم إلى الفائدة الثانية.

وزاد البيضاوي على ما ذكر فجعل الأمر للذم المبالغ فيه، فقال معللاً: « للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى»^(٢).

وذكر أبو السعود أنّ هذا الأسلوب جاء ردّاً لمقالتهم الباطلة وتهويلاً لأمرها، فقال: «ردّاً لمقالتهم الباطلة وتهويل لأمرها بطريق العدول المنبئ عن كمال السخط وشدّة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح، وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجرأة»^(٣).

وذكر الألوسي كلام أبي السعود وزاد عليه فقال: «وقيل: لا عدول والكلام بتقدير: قل لهم لقد جئتم»^(٤).

من العلماء الكتاب المترسلين. وتعلم بالموصل حيث نشأ أخواه المؤرخ (علي) والمحدث (المبارك)، من مؤلفاته، المثل السائر في آداب الكاتب والشاعر، كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، وتوفي رحمه الله سنة، ٦٣٧هـ، ينظر: الأعلام ٨/ ٣٠، ٣١.

١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة، ٥/٢.

٢) أنوار التنزيل، للبيضاوي، بتصرف، ٤/٣٥.

٣) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، بتصرف، ٥/٥٨٢.

٤) روح المعاني، للألوسي، ١٦/١٣٩.



وجعل النسفي^(١) الكلام محتملاً لأمرين: إما العدول من غير تقدير، أو لا عدول في الكلام بعد تقدير: قل لهم فقال النسفي: «خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة، وهو عدول، أو أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ذلك، والإدّ العجب أو العظيم المنكر^(٢)»

من خلال عرض كلام العلماء أرى أن الهدف من العدول هو رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لأمرها بطريق العدول المنبئ عن كمال السخط وشدّة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح، وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجرأة.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾^(٣)

١/ موضع العدول:

ورد العدول في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ حيث عدل الكلام من الغيبة في ﴿لنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ و﴿لنَحْضُرَنَّهُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنَحْضُرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ حِثًّا﴾^(٤) إلى الخطاب المتمثل في (منكم).

(١) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين، فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيدج (من كور أصبهان) ووفاته بها، نسبتها إلى «نسف» ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند، له مصنفات جليلة، منها «مدارك التنزيل في تفسير القرآن، وكنز الدقائق في الفقه، وتوفي رحمه الله سنة ٧١٠هـ، ينظر: الأعلام للزركلي ٤/ ٦٧.

(٢) مدارك التنزيل، لعبد الله بن أحمد النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، طبعة: أولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. ٣/ ٤٨، فتح القدير، للشوكاني، بتصريف، ٣/ ٣٥١.

(٣) سورة مريم، الآية، (٧١).

(٤) سورة مريم، الآية، (٦٨).



٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يتبين له أن سبب العدول هو الاعتناء بمضمون الكلام، وهذا ما ستبينه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

ويبين أبو السعود غرض العدول، فقال: «﴿وَإِنْ مِنْكُمْ﴾ عدول لإظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام، وقيل: هو خطاب للناس من غير عدول إلى المذكور»^(١)

وأشار الشوكاني إلى مثل هذا فقال: «﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ الخطاب للناس من غير عدول، أو للإنسان المذكور فيكون عدولاً، أي: ما منكم من أحد إلا واردةا»^(٢)

وأضاف ابن عاشور أن العدول عن الغيبة إلى الخطاب ارتقاء في المواجهة بالتهديد حتى لا يبقى مجال للالتباس المراد من ضمير الغيبة فإن ضمير الخطاب أعرف من ضمير الغيبة. ومقتضى الظاهر أن يقال: وإن منهم إلا واردةا. وعن ابن عباس أنه كان يقرأ وإن منهم^(٣)

وأرى أن العدول في الآية الكريمة هو إظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام كما ذكر أبو السعود.

العدول عن الغيبة إلى التكم

الموضع: قال تعالى: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾^(٤)

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٢٧٦/٥.

(٢) فتح القدير، للشوكاني، بتصرف، ٣٤٤/٣.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٦/ ١٤٩.

(٤) سورة مريم، الآية، (٩).



١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتَنَّاكَ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (وَقَدْ خَلَقَكَ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الجري على سنن الكبرياء لنزبه المهابة وإدخال الروعة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا السر في العدول: «أخرج القول الثاني مُخْرَجَ العدول جرياً على سنن الكبرياء لنزبه المهابة وإدخال الروعة كقول الخلفاء أمير المؤمنين يرسم لك مكان أنا أرسم ثم أسند إلى اسم الرب المضاف إلى ضميره (عليه السلام) تشريفاً له وإشعاراً بعلّة الحُكم فإن تذكير جريان أحكام ربوبيته تعالى عليه الصلاة والسلام من إيجاده من العدم وتصريفه في أطوار الخلق من حال إلى حال شيئاً فشيئاً إلى أن يبلغ كماله اللائق به مما يقلع أساس استبعاده عليه الصلاة والسلام لحصول الموعود ويورثه عليه الصلاة والسلام الاطمئنان بإنجازه لا محالة ثم نُفِقت من ضمير الغائب العائد إلى الرب إلى بقاء العظمة إيداناً بأن مدار كونه هيناً عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام خاصة وتمهيداً لما يعقبه» (١).

والمعنى: وليس خلق الغلام الذي وعدتك أن أهبه لك مع كبر سنك وعقم زوجك بأعجب من خلق البشر جملة من العدم، فإن خلق آدم ما هو إلا نموذج لسائر أفراد الجنس، مستتبع لجريان آثاره عليه، فأبداعه عليه السلام على هذا النمط إبداع لجميع أفراد ذريته، والقادر على خلق الذوات والصفات من العدم المحض يكون أجدر بالقدرة (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٢٥٧/٥.



على تبديل الصفات بخلق الولد من الشيخ والشيخة^(١)

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الجري على سنن الكبرياء لنزبه المهابة وإدخال الروعة.

(١) تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، ٣٦/١٦.



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله، وصحبه ذوي الهمم العاليات وسلم تسليماً، فأحمد الله الذي سهل إتمام هذا البحث على هذا النحو فبعون من الله وتوفيقه قد انتهيت من دراستي لأسلوب العدول في القرآن الكريم (الضمائر أنموذجاً) دراسة تحليلية من سورة الفاتحة وحتى سورة مريم.

أولاً: النتائج

أولاً: أن أسلوب العدول في الضمائر القرآنية، من صيغة إلى أخرى ومن أسلوب إلى أسلوب آخر في القرآن الكريم، يغلب وقوعها في الآيات التي تتحدث عن أمور الآخرة والمعاد وأمور الحساب والجزاء، وموقف الخلق بين يدي خالقهم يوم الدين، بما تستوجبه من عظيم الصفات، ورفيع الدرجات، وهذا دليل على فخامة هذا الأسلوب، وذلك لاستحضار الأمور العظيمة وحكاية الحال الماضية، وهما إنما يكونان فيما يستعظم من الأمور، ولعل ذلك يرجع إلى سعة الأفق الدلالي لأسلوب العدول في الضمائر، فتكسب الأسلوب جزالة، وتكسوه روعة وجمالاً.

ثانياً: كانت تلك الآيات الكريمة التي عشت معها في هذا البحث المتواضع، والتي تتضمن أسلوب العدول والمخالفة لسياق الكلام، تدعو لتهديب النفس، وتتغلغل في أعماقها، فتبعث فيها الكوامن التي أودعتها الفطرة من الرهبة والخوف والطمع والخشوع والتذلل والتسليم، وليس بعد تلك العبر والعظات والمشاهد والآيات الباهرة مجال لزيغ

النفس البشرية التي جعلت القرآن منها لها، إلا من كتب الله عليه الشقاء.

ثالثا: أن هذا الأسلوب -العدول- الجزل، والكلام المتميز الرفيع، بما احتواه من مخالفة مقتضى الظاهر فيما يبدو للقارئ، والعدول عن صيغة إلى أخرى من صيغ العدول في الضمائر، وعلى وجه الأخص بالإخبار عما هو للوقوع بأنه واقع؛ لا يقع إلا ممن يملك أن يجعل الغائب حاضرا، والبعيد قريبا، ويملك أن يفعل ما يقول، ويملك أن يقول للشيء كن فيكون - سبحانه وتعالى -.

رابعا: إن من يريد أن يشتغل بكلام الله - سبحانه وتعالى - لا بد له من التعمق في علوم العربية بأنواعها، من لغة وبيان وبديع ونحو وصرف وغيرها، وذلك لأن الكثير من الأحكام الشرعية الفقهية والعقدية، في الكتاب الكريم ما لا ينكشف إلا بتأمل تركيب الآيات، وأساليبها، وسبب مجيئها على ذلك الوجه دون غيره، فالسر البلاغي والنكتة البلاغية التي يحملها ذلك التركيب تحمل في ثناياها حكما ومقصدا شرعيا لولا ذلك الوجه البلاغي لما ظهر الحكم.

خامسا: إن الاختلاف الأسلوبي القرآني بين مخاطبة المؤمنين والحديث في شأنهم، وبين مخاطبة الكافرين والمنافقين، يبين مدى تعظيم القرآن الكريم للمؤمن فتجده يلاطفه ويلين له الخطاب أحيانا، وأحيانا أخرى يقدم الكلام بما يشعر المؤمن بحب الله له، ورحمته به، وتشريفه إياه، حتى إنه ليطلب من النبي أن يلفظ في خطابه للمؤمنين، وأن يلين لهم، كذلك نجد الغلظة في خطاب الكافرين، والإخبار عنهم وتحقير منزلتهم، وتهديدهم وكلامه لهم بما يُشعر بوضاعتهم، حتى أنه يترك خطابهم إلى خطاب غيرهم فيسقط منزلتهم ويصرف الكلام عنهم، ويوجهه إلى من هو أولى به، وأسمع له.

سادساً: إن الكثير من المواطن القرآنية التي يظن القارئ لها، أن فيها إشكالات لقصر فهمه لها، إنما هي مواطن لأسرار البلاغة في القرآن الكريم، وهي دلالة واضحة على علو شأنه، وهذه المواطن لا تظهر دقائقها ومعانيها ومكنوناتها إلا بتأمل وتدبر، وقد حث الكتاب الكريم على التدبر في آياته، والنظر في مكنونه لأنه أودع أسراراً لا تبرز إلا لمن آتاه الله علماً واستنباطاً.

سابعاً: احتوى البحث على عدد كثير من شواهد لأسلوب العدول في الضمائر التي جاءت في الآيات القرآنية، مما يؤكد حقيقة ثراء الآيات القرآنية بالشواهد، ويزيل شبهة محدودية الأمثلة البلاغية في الضمائر القرآنية.

ثامناً: ظهر من خلال الدراسة أن تلك الإيحاءات التي أحيتها الدراسات البيانية لأي القرآن العظيم، يمكن أن تستثمر لتربية النشء الحافظ للقرآن على معرفة الأساليب القرآنية وما فيها من البلاغة والنكات البيانية والتي تعين الجميع على التدبر في كتاب الله.

تاسعاً: أن للعدول غرضاً رئيساً عاماً واحداً وهو رفع السامة من الاستمرار على أسلوب واحد في كلامهم، فيعدلون من أسلوب إلى أسلوب آخر؛ إذ الكلام المتوال على نسق واحد لا يستطاب في لغة العرب.

عاشراً: جاء العدول في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وقد تنوعت أغراضه تنوعاً واسعاً، ومن هذه الأغراض التهديد والتخويف والتشريف والرفع من شأن المخاطب، والتنشيط للسامع وقصد المبالغة في الحث على الشيء.

ثانياً: التوصيات

أولاً: أوصي أهل البلاغة والمهتمين باللغة العربية بدراسة النصوص القرآنية دراسة متأنية، وذلك بخوض غمارها واستخراج ما فيها من دقائق لغوية، ونكات بلاغية يحتاج لها دارسي القرآن الكريم.

ثانياً: أوصي نفسي والباحثين بالانكباب إلى كتاب الله ونهلهم من العلوم التي أودعها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ثالثاً: النكات البلاغية، وأساليب القرآن الكريم التي عدل عنها إلى غيرها والتي ظهرت من خلال هذه الدراسة، تدل دلالة واضحة على سعة آفاق اللغة العربية وتعدد أساليبها، مما جعلها أهلاً لأن ينزل الله القرآن بها دون سواها.

رابعاً: يمكن أن تُستثمر أمثال هذه الدراسة وغيرها لتربية النشء الحافظ للقرآن على معرفة الأساليب القرآنية وما فيها من البلاغة والنكات البيانية والتي تعين النشء على الحفظ، كما أنها تعين الجميع على التدبر في كتاب الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



الفهارس

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: كتب التفسير وعلوم القرآن

- الإتيان في علوم القرآن للسيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لمحمود بن حمزة بن نصر الكرمانلي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار النشر: دار الفضيلة.
- إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش الناشر: دار الإرشاد للثئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- بحر العلوم لنصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي تحقيق: د. محمود مطرجي دار النشر: دار الفكر - بيروت.
- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.



- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد أحمد بن محمد بن عجيبة، تحقيق: أحمد القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، طبعة: ١٤١٩هـ.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين الفيروز آبادي تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- بيان المعاني لعبد القادر بن ملاً الناشر: مطبعة الترقى - دمشق الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥م.
- التبيان في إعراب القرآن لعبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- التحرير والتنوير لابن عاشور الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
- تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن عبد الرحمن الإيجي دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.
- التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق، سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي المعاني الناشر: دار الوضاح، الأردن - عمان، ص ١١٣.
- تفسير السمعاني لمنصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني



- تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.
 - التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.
 - تفسير القشيري لطائف الإشارات لعبد الكريم بن عبد الملك القشيري تحقيق: إبراهيم البسيوني الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر الطبعة: الثالثة.
 - تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦.
 - التفسير المظهري لمحمد ثناء الله المظهري تحقيق: غلام نبي التونسي الناشر: مكتبة الرشدية - باكستان الطبعة: ١٤١٢ هـ.
 - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
 - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.
 - التفسير الواضح لمحمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد - بيروت طبعة: عاشر، ١٤١٣ هـ.



- التفسير الوسيط، د. وهبة الزحيلي الناشر: دار الفكر - دمشق، طبعة: أولى - ١٤٢٢هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم د. محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى ١٩٩٨، ٦ / ٣٤٥.
- تفسير عبد الرزاق لعبد الرزاق بن همام الصنعاني الناشر: دار الكتب العلمية دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق: عبد الرحمن اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة طبعة: أولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري تحقيق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ.
- حاشية الشَّهابِ عَلَى تَفْسِيرِ البَيْضَاوِي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، نشر: دار صادر - بيروت.
- روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى، الناشر: دار الفكر - بيروت.
- روح المعاني، الألويسي، تحقيق علي عبدالباري، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى ١٤١٥هـ.



- زهرة التفاسير لأبي زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى دار النشر: دار الفكر العربي.
- صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة الكرمانى، نشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد القمي تحقيق: الشيخ زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ.
- فتح البيان في مقاصد القرآن ل محمد صديق خان القنوجي عني بطبعه وقدم له وراجعاه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.
- كشف المعاني في المتشابه من المثنائي لابن جماعة الكناني الشافعي، بدر الدين تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف الناشر: دار الوفاء. المنصورة طبعة: أولى، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الأولى ٢٠٠٢ م.



- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.
- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي تحقيق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٠م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت طبعة: أولى - ١٤٢٢هـ.
- مختصر تفسير ابن كثير لمحمد علي الصابوني الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.
- مدارك التنزيل لعبد الله بن أحمد النسفي حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت طبعة: أولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- مراح لبید لكشف معنى القرآن المجید لمحمد بن عمر نووي الجاوي، تحقيق: محمد أمين الصناوي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٧ هـ.



- معاني القرآن لأبي الحسن المجاشعي الأخفش الأوسط تحقيق: الدكتورة هدى محمود قزاعة الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل الزجاج تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- مفاتيح الغيب للرازي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه لمكي بن أبي طالب بن مختار القيسي تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة ط أولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد ل محمد بن علي الواحدي، النيسابوري تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرضه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- وظيفة الصورة الفنية في القرآن لعبد السلام أحمد الراغب الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.



ثالثاً: كتب الحديث النبوي

• الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

رابعاً: كتب التراجم والتاريخ

• الأعلام لخير الدين بن محمود الزركلي الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.

• البداية والنهاية لابن كثير القرشي الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

• بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان: صيدا.

• تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي، الناشر: المكتبة التوفيقية.

• تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم. للمفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو. الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة الطبعة: الثانية ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

• طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ) تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان دار النشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ.



- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي تحقيق/ محمود محمد شاكر نشر/ دار المدني - جدة بدون تاريخ.
- العبر في خبر من غبر، لشمس الدين الذهبي تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي تحقيق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين فريق من الباحثين موقع المكتبة الشاملة.
- معجم الشيوخ الكبير للذهبي، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف/ المملكة العربية السعودية، طبعة: أولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- خامساً: كتب اللغة العربية:
- الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني الشافعي تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل - بيروت الطبعة: الثالثة.
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق/ مجموعة من المحققين نشر/ دار الهداية.



- ديوان النابغة الذبياني طبعة دار المعرفة بيروت لبنان طبعة ثانية ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- ديوان ذي الرمة اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي طبعة دار المعرفة بيروت طبعة أولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
- شرح المعلقات التسع لأبي عمرو الشيباني تحقيق وشرح عبد المجيد همّو منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت طبعة أولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق/أحمد محمد شاکر نشر/ دار الحديث، القاهرة طبعة ١٤٢٣هـ.
- الصاحبى في فقه اللغة أبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا طبعة المكتبة السلفية القاهرة ١٣٢٨هـ ١٩١٠م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
- العدول عن النمطية في التعبير الأدبي، عبد الموجود متولي بهنسي، عام ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- العدول في الجملة القرآنية د. عبد الله خضر حمد دار القلم للطباعة والنشر بيروت.
- عروس الأفراح، بهاء الدين السبكي شروح التلخيص، القاهرة، عام ١٩٣٧هـ.
- العين، الخليل الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، و إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال.



- الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم نشر/ دار الفكر العربي طبعة الثالثة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، نشر: عالم الكتب، الطبعة الخامسة ٢٠٠٦.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة.
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده تحقيق د/ عبد الحميد هندواي نشر/ دار الكتب العلمية طبعة ٢٠٠٠ م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات الطبعة الأولى، عام ١٤٢٧ هـ.
- مفتاح العلوم لمحمد بن علي السكاكي ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق وضبط/ عبد السلام هارون، طبعة دار الفكر بدون تاريخ.
- سادساً: الرسائل الجامعية:
- أسلوب العدول في البلاغة القرآنية: للدكتور حسن طبل، دار الفكر العربي، بتاريخ ١٩٩٨ م.
- العدول في القرآن الكريم الى آخر سورة الكهف رسالة ماجستير/ خديجة محمد أحمد البناني كلية اللغة العربية جامعة أم القرى ١٤١٤ هـ.
- بلاغة فن العدول في القرآن الكريم رسالة دكتوراه / ظاهر الدين جامعة بشاور باكستان ١٩٩٣ م.



• تراث أبي الحسن الخزالي المراكشي في التفسير الخزالي أبو الحسن علي بن أحمد مستخرجة من تفسير البقاعي «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، تصدير: محمد بن شريفة، عضو أكاديمية المملكة المغربية تقديم وتحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، أستاذ بكلية أصول الدين تطوان الناشر: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي - الرباط الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

• تنوع صور العدول في القرآن الكريم ومقاصده البلاغية والإعجازية رسالة ماجستير للطالب/إسماعيل الحاج عبد القادر جامعة السودان أم درمان، كلية اللغة العربية ٢٠٠٨ م.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



فهرس

٤.....	شكر وعرفان
٥.....	مستخلص البحث
٦.....	مقدمة الكاتب
٩.....	تقديم
١٢.....	أسباب اختيار الموضوع
١٣.....	أهمية الموضوع
١٤.....	أهداف البحث
١٤.....	منهج البحث
١٨.....	الفصل الأول القرآن الكريم ومفهوم العدول
١٩.....	المبحث الأول القرآن الكريم أهميته وفضله
٢٥.....	المبحث الثاني المفهوم العام للعدول لغة واصطلاحاً
٢٩.....	مفهوم العدول في الاصطلاح
٣٢.....	الفصل الثاني أسلوب العدول من سورة الفاتحة وحتى سورة التوبة
٣٣.....	المبحث الأول سورة الفاتحة
٤٠.....	المبحث الثاني سورة البقرة
٧٨.....	المبحث الثالث سورة آل عمران
٩٩.....	المبحث الرابع سورة النساء
١١٦.....	المبحث الخامس سورة المائدة
١٢٣.....	المبحث السادس سورة الأنعام
١٤٧.....	المبحث السابع سورة الأعراف
١٥٩.....	المبحث الثامن سورة الأنفال
١٦٢.....	المبحث التاسع سورة التوبة
١٦٧.....	الفصل الثالث أسلوب العدول من سورة يونس وحتى سورة مريم
١٦٨.....	المبحث الأول سورة يونس
١٨٠.....	المبحث الثاني سورة هود
١٨٨.....	المبحث الثالث سورة يوسف
١٩٠.....	المبحث الرابع سورة الرعد



- المبحث الخامس سورة إبراهيم..... ١٩٥
المبحث السادس سورة النحل..... ٢٠١
المبحث السابع سورة الإسراء..... ٢١٨
المبحث الثامن سورة الكهف..... ٢٢٧
المبحث التاسع سورة مريم..... ٢٣١

الخاتمة..... ٢٣٧
أولاً: النتائج..... ٢٣٧
ثانياً: التوصيات..... ٢٤٠
الفهارس..... ٢٤١



السيرة الذاتية للمؤلف / عبد الجواد السيوطي

. الولادة والنشأة والتعليم:

وُلِدَ / أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْجَوَادِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمُوَلَّى بْنِ مُوسَى السُّيُوطِيُّ المِصْرِيَّ، فِي نَجْعِ سُوَيْلِمَ، مَرْكَزِ دَيْرُوطَ بِمَحَافِظَةِ أَسْيُوطَ - مِصْرَ. يَوْمَ الإِثْنَيْنِ ٣/٥/١٣٩٥ هـ الْمَوَافِقَ ٩/٦/١٩٧٥ مَ، وَمَقِيمٌ حَالِيًا بِمَرْكَزِ حَجْرَ، بِمَحَافِظَةِ رَابِعَ، بِالْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ مُشْرِفًا عَلَى حَلَقَاتِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ، تَلَقَّى تَعْلِيمَهُ فِي الْمَعَاهِدِ الْأَزْهَرِيَّةِ النَّظَامِيَّةِ حَتَّى تَخَرَّجَ مِنَ الثَّانَوِيَّةِ الْأَزْهَرِيَّةِ، وَالتَّحَقَّ بِكَلِيَّةِ أَصُولِ الدِّينِ وَالدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِأَسْيُوطَ جَامِعَةَ الْأَزْهَرِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْهَا فِي عَامِ ٢٠٠١ مَ، ثُمَّ التَّحَقَّ بِكَلِيَّةِ الشَّرِيعَةِ بِجَامِعَةِ الْأَزْهَرِ بِأَسْيُوطَ وَتَخْرُجَ مِنْهَا عَامَ ٢٠٠٦ مَ، وَتَعَلَّمَ كَذَلِكَ بِمَعَاهِدِ الْقِرَاءَاتِ الْأَزْهَرِيَّةِ فَحَصَلَ عَلَى شَهَادَةِ عَالِيَةِ الْقِرَاءَاتِ عَامَ ٢٠٠٤ مَ ثُمَّ انْتَقَلَ لِمَرْحَلَةِ التَّخْصِصِ وَحَصَلَ عَلَى شَهَادَةِ تَخْصِصِ الْقِرَاءَاتِ عَامَ ٢٠٠٧ مَ. وَلِحَرْصِهِ وَمَثَابِرَتِهِ عَلَى التَّعْلِيمِ أَكْمَلَ مَشُورَاتِ دِرَاسَاتِهِ الْعَلِيَا وَالتَّحَقَّ لِدِرَاسَةِ الْمَاجِسْتِيرِ حَتَّى حَصَلَ عَلَى دَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ جَامِعَةِ «الْقُرْآنِ وَتَأْصِيلِ الْعُلُومِ» بِالسُّودَانِ، وَبَاحِثَ دِكْتُورَاهِ بِنَفْسِ الْجَامِعَةِ بِالسُّودَانِ، وَكَذَلِكَ حَصَلَ عَلَى الْمَاجِسْتِيرِ بِجَامِعَةِ مَنِيَسُوتَا بِأَمْرِيكََا، بَاحِثَ دِكْتُورَاهِ بِنَفْسِ الْكَلِيَّةِ. كَمَا حَصَلَ عَلَى دِبْلُومِ تَأْهِيلِ مَعْلَمِي الْحَلَقَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ. وَمَا زَالَ صَابِرًا مُتَعَلِّمًا وَمُعَلِّمًا لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَنَشَأَ فِي أُسْرَةٍ مَحَبَّةٍ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَتَأَثَّرَ بِمَنْ حَوْلَهُ وَأَقْبَلَ عَلَى تَلَاوَتِهِ وَحِفْظِهِ، فَحَفِظَ الْقُرْآنَ وَهُوَ فِي عَمْرٍ مَبْكَرَةً عَلَى يَدِ خَالِهِ الشَّيْخِ مِصْطَفَى مُحَمَّدٍ مَنْصُورٍ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَانَ لَهُ الْفَضْلُ بَعْدَ اللَّهِ فِي تَعْلِيمِهِ الْقُرْآنَ وَكَثِيرٌ مِنْ أَقْرَانِهِ، ثُمَّ بَدَأَ فِي رِحْلَةِ تَلْقَى الْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَقَدْ تَلَقَى الْقِرَاءَاتِ الْعِشْرَ



الصغرى كاملة إفراداً وجمعا على يد عدد من الشيوخ ومنهم (الشيخ بهاء
رصد، محمود السعيد زرينة، محمد متولي سالم، عبد الفتاح المقالدي، هاني
بركات، علاء بعور، على الهندساوي، عبد الفتاح مدكور، وعبد الباسط
هاشم، والدكتور توفيق النحاس، الدكتور سعيد زعيمة، ومصباح الدسوقي،
والشيخ رفعت البسطويسي، الدكتور أحمد عيسي المعصراوي شيخ المقارئ
الأسبق، وتناظر النجولي وغيرهم) وكان أيضاً يستفيد من المشايخ الآخرين
في تلقى المتون والعلوم العربية والشرعية. الشيخ المُسنَد عبد الوكيل عبد
الحق الهاشمي. الشيخ توفيق ابراهيم ضمرة الأردني. الشيخ محمد البدري
السكندري. الشيخ عثمان عادل بن خميس بن سرور الحضرمي اليمني.
بعض المؤلفات :

- ١- كتاب (مالا تعرفه عن الهجرة) قيم تربوية «مطبوع»
- ٢- كتاب (أيها الشباب لا تفقدوا الأمل) «مطبوع» .
- ٣- العدول في القرآن (من الفاتحة للكهف) دراسة وتحليل «مطبوع».
- ٤- (أسرار الالتفات في سورة النحل) مطبوع.
- ٥- دروس من حياتهم
- ٦- كيف نقرأ القرآن؟ (قصة حروف الهجاء من الألف إلى الياء) مخطوط
- ٧- (أسرار الالتفات في سورة الإسراء) مخطوط.
- ٨- كتاب (تنبيه الأنام بشرح حديث غربة الإسلام) مخطوط.

. الوظائف الحالية:

- مُقَرِّئٌ ومُشرف التعليمي بجمعية تحفيظ القرآن بمحافظة رابع.
- إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف المصرية.
- وظائف وخبر اتأخرى.
- مؤسس قسم القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية القرغيزية.



- مدرس مواد شرعية وتاريخ إسلامي بالجامعة الإسلامية بجمهورية
قيرغيزستان .
- حاصل على شهادة أفضل أستاذ بالجامعة الإسلامية بجمهورية قيرغيزستان
٢٠٠٩ م.
- عضو مقراًة بوزارة الأوقاف المصرية منذ عام ١٩٩٨ م .
- مدرس قرآن وتجويد بمعهد القراءات ببحر العرب سابقاً .
- مدرس قرآن وتجويد بمعاهد نور الإسلام الأزهرية النموذجية .
- رئيس لجنة التحكيم بالمسابقات الدولية للقرآن الكريم بدول وسط آسيا
(٢٠٠٩/٢٠٠٨)
- وغير ذلك من الأنشطة القرآنية.



عن الدار ومشروع النشر الحر

دار لوتس للنشر الحر هي أول دار نشر حرة يملكها كل كاتب، تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر ومساعدة الكاتب للنشر بطريقة تمنحه الحرية الكاملة وكل الحقوق والصلاحيات للتعامل مع كتابه دون استغلاله مادياً أو معنوياً، ودون احتكار لمجهوده الفكري في عملية تجارية.

هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد دون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

دار لوتس للنشر الحر

مصرية مغربية، تأسست في مايو 2017

www.lotusfreepub.com



إصدارات المشروع

عهد	فلاكا	قلم عطر
نبض حرف لا يخون	الآدم وهي	وعادت ريمًا
عبد اللاه	أحلام فجر	مثل ليلة حب
ساكني الكهوف	مفاهيم إدارية لثالث ألفية	وكانني أحبك
أخبرت البحر عنك	عاشق الضي	عالم قراطيس قراطيس
أحرفي تتراقص	أنامل قصصية	أوتار
لا تحزني	مملكة روح	دماء على ثوب أبيض
حلم عاشق	ماهر وسماهر وبنر النسيان	أموات فوق الأرض
إحساس درويش	الضلال	يقلم رصاص
أقلام حانرة	خليج بلا وافرين	حريق على الجسر
خشوع بمحراب الحب	في ليلة شتا	القدرات السحرية
قمر الدم (رحيل الألهة)	الشیطانة وعصا الجحيم	العالم لن ينتظرك
أرض الفيروز	أنين وردة	عندما ينتحب الياسمين
عبرات ضاحكة	لا تتعجلي الرحيل	مرايا
أنا يحيى	بدون	البوهيمي
نظم المعلومات المحاسبية	من الأكاديمية إلى الفيلا	أيها الشباب لا تفقدوا الأمل
حكاياتي المحروسة	بردية رع (ذهاب وعودة)	خريف مريم
حروف من قلبي	كاتب ونساء وعبث	حلم صريع
على الأعراف	جيهينا	متيم
زواج افتراضي	مذكرات خادمة من مونار	يوميات رجل محسود
رجما بالغيب	رجما عن العالم	هدوء ما قبل الانفجار
المانتا	قمر الدم (العودة)	المووودة
خواطر مع الريح	سمنت الغربية	أنين المساجد
شمعة وقلم أحمر	هكذا ضعنا	صوت السماء
أسلوب العدول في القرآن الكريم	حلم	طبق كشري
الفسستان الأزرق	شيء من قلبي	أحبيبتك بعين قلبي
سيجار ولص ومأذنة	قطوف وحروف	ما لا تعرفه عن الهجرة
الحب المفقود	عائدة من الموت	الأيام الأخيرة
القيامة الوردية	شياطين السموم	موانئ الرغبة
كلمات متقاطعة بالشمع الأحمر	حوار في الأفكار	١٠٣
لماذا رحلت؟	وآد الزهور	زمن الحنين
جدال	أغاني البادية	أوراق على دفتر الحنين
التقارير المالية	الفراشة البيضاء	أحبيبت شبحاً
موسم التوت	مدينة حرف	حكايات من التاريخ
عبث	عذرية ما قبل الواحدة صباحا	كلمات ربي (ج ١)
سلسلة المحاسب المتميز - ج ١	حواديت مدينة الرحاب	وشم على كتف الحياة
هل ستغفر لي	الضحية	كينو ياكيفو
سفاح المدينة	غيمات حبر وحب	يتيمة بأبوين
ناروبري	كفف الجحيم	مائة عام على كوكب الأرض
حببية أمها	الحبيب المستحيل	نبوءة عاشق
التيسير في علم التأسيس	تنمية التفكير الابتكاري للطفل	رصيف نمرة ٢
هسمات ونسمات	المنهج الإصلاحي	قمر الدم
الملاك الأسود	نفيش	حنين الحنين
ملكوت السلطنة	ورد وشطايا	نساء وقيود
أنات عاشق	ولوج	الآهات المكبوتة
ساعة من الزمن	الفن مين يعرفه	عن الذي استدان ليشثري الشقاء
زمن غادرنا	كريتوس	كتبك أحبك



خفقات قلب	طرقتُ باب هواك	رقة النسائم
زهرة الصحراء	لحظة داخل إنسان	سبعة أحلام
في ظل الحبر - ج ٢	الذين أخفوا الشمس	في انتظار المد
على ضفاف الذاكرة	أقلام نابضة	نداء القلوب
محسن المصدوق	حكايًا منتصف الليل	درب الحكايات
إسراء - أصفار العهد القديم	برواز علي جدار القلب	ضجيج البحر
وعليها السلام	كبير العيلة	من تربة الورد خلقت
انتقام الشر	وصمة عار	شبهوات العقل
الأحلام الوردية	خريشات كاتب مجنون	قطرات منثورة
أنت الحياة ودونك الموت	اعتصاب أعشاب البحر	أكرو فوبيا
رسائل بحيص	في ظل الحبر - ج ١	جدر مسلوب
ميراث الماضي	أصعب فراق	دروب ملتوية
بداية حياة	للحب أكتب (أحمد وأحلام)	سوط الذكريات
سلة التفاح	للحب أكتب (نادر ونورهان)	الأخيدة
فضة	للحب أكتب (فارس ونادين)	المأدبة
قانون الحب	أعرف دينك (ج ١)	سيناء أرض العبور
على الهامش	علماء صاروا شهداء	الذكاءات المتعددة
بين الجبران	ضفاف	دكتاتورية الحب
سرطانية	تأشيرة حياة	الغراشات لا تسكن القبور
العملاء	مجانيين لا يدخلون الجنة	تذكرة سفر
حنايا الروح	وجوه عابرة	وخشعت قلوبهم
غربة حرف	امراة خرافية	وطن الجوماتجي
غدا يوم جديد	فيلم كرتون	نموذج بابي البناي
أروقة الحنين	أحوال منطقة أزواغ	المدينة الهادئة
إحساس محمود	محاولات	السفينة
أنين سديم	أربعون عام من الفقر	رشفة عشق
الأتينيوي	حطام زاحف	المسكالكين
طلسم عشق	فوق السحاب	حرف تايه
على شرف المحبرة	كلمات الحياة	حروف نابضة
رباعيات	إعصار الدم	الراقدون فوق التراب
معزوفة حرف	العشق المنتظر	أيقونة حروف عربية
في ظل الحبر - ج ٣	احترف فن كتابة الرواية	ولاد الشيخ
أقول الأوهام	بذور الدم	فضفضة
حديث الروح والقلب	حديث إلى النفس	كالبحر يتنفس موجا
أرض الأحلام	موشور اللا متناهية	بانعة اللبن
ملوك وتيجان	قصائد على خد الورد	مركب شرع
داون ٢١	عازف على ضفاف الشوق	غشاء حضارة
فين عصايتك	وإني أشتهي وصلا	عظماء في الظل
من برلين إلى مارلين	وانفرطت حبات السحر	الوصايا
حببتي أميرة البحار	هذا ما حدث بالفعل	معك دانما
رسائل أحرقتها العواصف	انتبه إلى يمينك لعله يسار	نون وبياء
أفكار للتأمل	ماذا علمتني الأيام	اليمني
الجنى العجوز	قهوة سادة	عندما يفوح الياسمين
أحببت قمرا	ثم أشرقت الشمس	عنوان مجهول
أرض الأجداد	دين السياسة	ترانيم
قلوب من الجنوب	عيونك دربي	من بعد غياب
بداخلي غصن زيتون	في حجر الأرانب	الرحيل إلى الداخل
كلام ابن عم حديث	النارية	ليالي باريس الحزينة
عذرا أيتها الخنساء	في الحافلة	هكذا تكلم أبي
فليبق الأمل	نساء على ضفاف الحلم	النحو الميسر
لا سكاكين وجع في هذه المدينة	تفريدة الروح والدم	قيد الماس
سر الملكوت	ديوان الحب والحكمة	أرض دي بلو



حكاياتي هذا الزمان	بلدة على أطراف العالم	قرة عيني
مميز بالأسود	بين طيات الهوى	عينك
صحفية على هامش الحب	أسرار الالتفات في سورة النحل	يا.. سين
قطوف أندلسية	سكين ودماغ	بداية جديدة لكل أم
دراويش وكرامات	رجة عقل	وقتي من ذهب
قبل النهاية	تاج	القائد الصغير
كبير العيلة ٢	كاولين	سمير وهدفة النبيل
دينامية المشروع الشخصي	صديقي عزوب	لأتك مني
كبير العيلة ٢	حكايات شارع العمدة	قابلتك في المترو
كما سقطت الفراشة	محاولات في القافية	قبة الحياة
كانت لنا أيام	دور المجمع العلمي العراقي	ماريوه
مكاملة خاطنة	عاليا يا عرب	لقاء غريب
أغنيات الرحيل	حروف مبعثرة	وحينما افترقنا
حكايات الشهيد	القرآن خارج الصندوق	دوانر
وجع الذاكرة	نعم أحبه.. ولكن	آخر قطرات الحنين
الحليبة	فرس على جبل	اليوم الأجل لم يأت بعد
كبير العيلة ٣	لامار	عندما ينطق الحرف
وتناثر الأجزاء	عندما يعشق الزيتون	الغروب الأخير
العالم متر في متر	أخر الحلم	رانت الأيام
دليل المتفوقين في اللغة العربية- ٣	حواء تحت الهامش	أبعد من الكلمات
شهقة نبض	سيكولوجية النهاية	اتجاه إيجابي
اعتذار غير مجدي	عتكبوت اللهفة	قصة عشق - ج ١
ظلال المرني	حديث لا يقبل الرحيل	سجود المشاعر
طفولة بلا زواج	ذات الرداء السماوي	رسائل لم تصل
أسطورة قلبي	العنقاء	بين أجنحة الكاردينال
دلني على السوق	ضمير الشيطان	أسيرة روح
كلمة أم حكاية	الحياة في ريفانا	صغيرتي
بقايا ذاكرة	امتنان	حكايات رحال
رحلتي إلى السودان	سقوط بطي	جوري
تدريس اللغة العربية	السر الأسن	غربة روح
رحلتي إلى السودان	شيفرة القدر	توعم الشعلة
أطلال أحلام	لسان التماسح	عادي في بيتها
لم يعد قلبي لغيرك	ليليان	رسائل منسية
في ظل الحبر	بطل بلا عنوان	خلف القلوب الصامتة
جريمة أبريل	مشكاتي تنزف عشقا	وقابلت شيطاننا
الجدور	نحو مقاربة جديدة لإعادة التربية	تزوجيني أولا
عالم الشياطين	ظلال على جدار الروح	لم أكن أتوهم
آمال	إعدام القيود	ملك أنت أم بشر؟
دليل المتفوقين في اللغة العربية- ١	أنت قدرتي	العملية كويرا
دليل المتفوقين في اللغة العربية- ٢	هذه هي أنا	ذلك الغريب
1- Lets Learn connect plus	التدقيق في عروق الذاكرة	عاشقة على سفح القمر
١-٢ Lets Learn connect plus	من بين عيونك باتولد	احترس هناك بشر
سيد الشر	صدفة	قسمة ونصيب
حنين إلى الدهشة الأولى	خواطر قلبية	مع العصفور
لظى الثلج	مبرر نهائي	برادلي ولغز أهل النجوم
بدون مقابل	موسم الأحلام	أزرق داكن
رسائل اشتياق	حقيقة وما بعدها	غموض عنوان
المقدس سره	صوت وصمت	مخطوطة إبليس
مملكة في رحم امرأة	خواطر الثامنة مساء	حبر الألم
الكونتيسة	أحلام مبتورة	متاهات الحجر المغلقة
مصريخ	دموع الشتاء	طريقي بقربك
ملاهاياني	حينما فاض قلبي	موعذنا ذات صباح



بطعم الحب
طرقات مختلفة
سامح على اسم خاله
ضواحي المدينة
خريف ٢٠٩٤
أشواق مبعثرة
التربية على قيم حقوق الإنسان
جنينة العكاشة
سرابيل الخوف
الحب كما يجب أن يكون
حلمي حلمك
رحلة طبيب إلى الحج
للحب كلمة أخيرة
طيور في سماء الإحساس





www.lotusfreepub.com

رقم الإيداع

2018MO5491

الترقيم الدولي ISBN

978-9920-790-63-5

الترخيص

مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي - نسب المصنّف

٤,٠ - دولي



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف



هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة
www.alukah.net